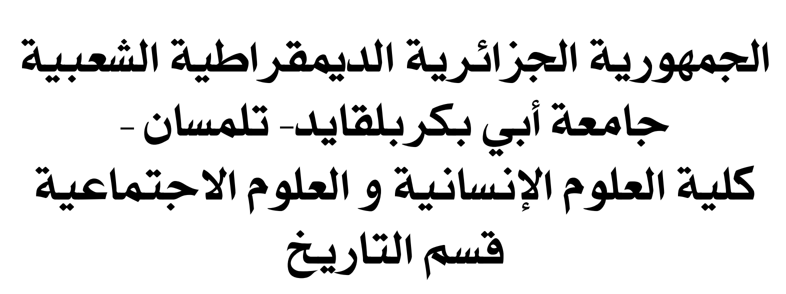




الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبي بكربلقايد- تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ



المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي و دورها في التواصل الفكري

من القرن(07-09 هـ/ 13-15م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:

✓ مريم سكاكو

إشراف الأستاذ الدكتور:

✓ مبخوت بودواية

لجنة المناقشة

د.بن داود نصر الدين	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د.مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
د. وهراني قدّور	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
د.سي عبد القادر عمر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
د.دريس بن مصطفى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سعيدة	عضوا
أ.د.بلبشير عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا

السنة الجامعية :1438-1439هـ/2017-2018م





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبي بكربلقايد- تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي و دورها في التواصل الفكري

من القرن(07–09 هـ/ 13–15م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص تاريخ المغرب الإسلامي

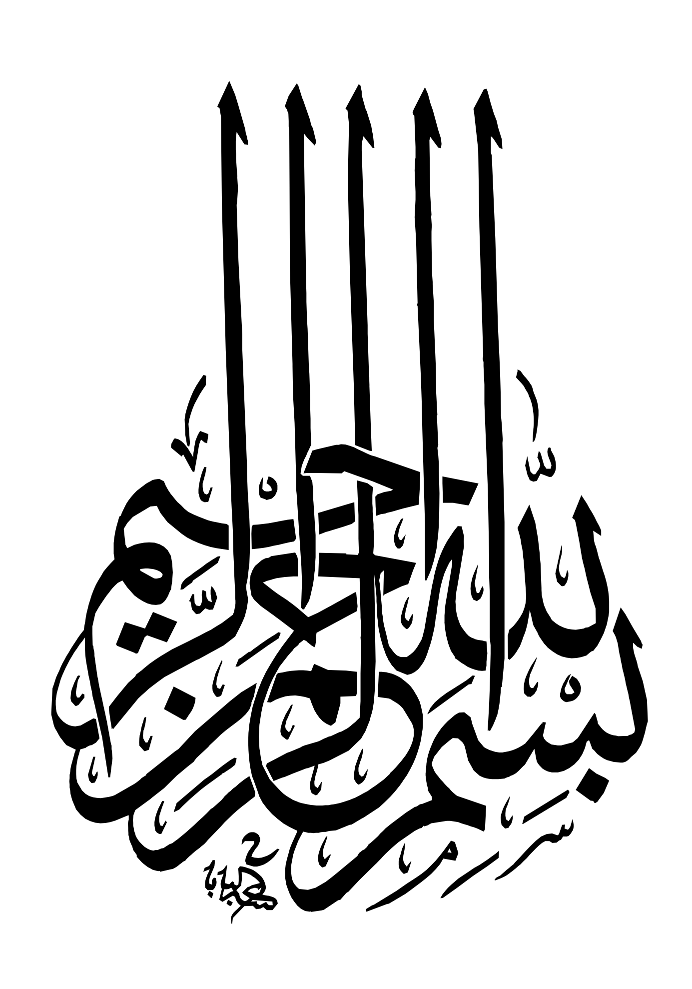
إعداد الطالبة:

✓ مريم سكاكو

إشراف الأستاذ الدكتور:

✓ مبخوت بودواية

السنة الجامعية :1438–1439هـ/2017–2018م


بسم الله الرحمن الرحيم



أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية

لإشرافه على هذا العمل ولنصائحه وتوجيهاته القيمة.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمة، وكل من

ساعدني من قريب أو بعيد.



إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمريهما ورزقهما الصحة والعافية لما قدماه من تضحيات في سبيل تربيتنا وتعليمنا.

إلى زوجي السيد محمد جديد ووالديه الكريمين

إلى ابنتي نهى وإخلاص

والى أخواتي و أزواجهن وأبنائهن وكل الأهل والأحباب من عائلتي سكاكو و جديد.

مريم

المقدمة

عرفت العلوم والآداب خلال فترة حكم الدولة الموحدية ازدهارا ملحوظا، وهو حال الدول التي خلفتها في حكم بلاد المغرب الإسلامي بين بني حفص بالمغرب الأدنى وبني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبني مرين بالمغرب الأقصى وما بقي من الحكم الإسلامي في غرناطة مع بني الأحمر، ومن أهم مظاهر ذلك الازدهار حرص حكام وسلاطين هذه الدول على عقد مجالس علمية في دورهم وقصورهم وإثارة مختلف القضايا العلمية وطرحها للنقاش؛ وفي هذا الإطار حرصوا على أن تضم بلاطاتهم أكبر عدد من العلماء والفقهاء والشعراء وبذلوا لذلك جهودا عظيمة وأظهروا بالغ الاهتمام لدرجة ظهور منافسة كبيرة من أجل استقطاب أولئك العلماء بل والسعي إلى اجتذاب علماء وأدباء الدولة المنافسة ولعل هذا الأمر يندرج في إطار مساعي كل دولة إلى الظهور بمظهر القوة والعظمة من جهة واستكمالا لأبهة الملك وحتى التباهي من جهة ثانية.

ويواكب هذا البحث العديد من الدراسات التي حظي بها تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، والتي ساهمت في رسم صورة عن واقع المنطقة في العصر الوسيط وبصفة أخص خلال القرون الثلاث الأخيرة منه، وفي مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وعلاقاته مع الدول الإسلامية المعاصرة له مشرقا ومغربا وحتى الإمارات والممالك النصرانية في الضفة الشمالية للبحر المتوسط إلى جانب السودان الغربي بممالكه المتعاقبة.

ونهدف بدورنا إلى توضيح جانب من الحياة الفكرية والعلمية التي طبعت المنطقة في أعلى مستوياتها من خلال البحث في نشاط علمائها وفقهائها وأدبائها وما خلفوه من مؤلفات وتلاميذ وما خصهم به الحكام والسلاطين من تقدير وتبجيل بغض النظر عن الدول التي قدموا منها وخاصة تأثيرهم في مختلف الجوانب على هذا المستوى الرفيع فجاء البحث بعنوان:

"المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في

التواصل الفكري من القرن (07-09)هـ / (13-15)م".

وترجع أهم أسباب اختيار دراسة هذا الموضوع إلى ما يلي:

- الرغبة الشخصية في التعرف على سير العلماء ومآثرهم وأخلاقهم بين يدي الملوك ومكانتهم لدى مختلف فئات المجتمع بما فيها السلطة الحاكمة.
- رغم العداء والحروب بين دول المغرب الإسلامي والذي وصل أحيانا إلى التحالف مع أعداء الدين والملة ضد المسلمين والاستنجاد بهم أحيانا كثيرة، إلا أن هذا الأمر لم يقف في وجه استقبال العلماء الوافدين بل أكرموا وألحقوا ضمن المجالس العلمية الرسمية.
- كثيرا ما تتحدث مختلف المظان التاريخية عن مفاخرة حكام وأمراء دول المشرق بما عقد في حضرتهم من مجالس راقية بما فيها المجالس العلمية، لكن هذا الأمر ليس بالغريب عن دول المغرب أيضا لكنه كثيرا ما لا يلقى نفس البريق الذي ينسب لمثيله بدول المشرق حسب العديد من الدراسات التي تغيب هذا الأمر حين الحديث عن الحياة الفكرية داخل القصور الملكية.

هذا مع الإشارة إلى أن العمل في مذكرة الماجستير خاصتي كانت حول: "**مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية لبني مرين خلال القرن الثامن الهجري/14م**".
وهو ما فتح المجال أمامي لتوسيع دائرة تأثير العلماء الذين ألحقوا بالمجالس الرسمية لسلاطين دول المغرب الإسلامي ومظاهر التواصل فيما بينهم .

ويستمد الموضوع أهميته من كونه يشتمل على عدد كبير من العلماء في مختلف الاختصاصات وهم الذين اعتبروا ركنا هاما لإرساء دعائم النهضة الثقافية التي عرفتها بلاد المغرب بل أكثر من ذلك، يتعلق البحث فقط بعلماء وأدباء البلاط الملكي مع ما يجب أن يتوفر فيهم من شروط ومعايير كالرزانة والذكاء والبلاغة في الأسلوب والنبوغ في مختلف الفنون والآداب والقدرة على المنافسة مع ما تتطلبه من إعمال للعقل وتحكيم للرأي، فبلاطات المسلمين لم تكن في جميع الحالات مسرحا للتنافس على السلطة وحبك المؤامرات وتدبير الاغتيالات للوصول على سدة الحكم، أو فقط إظهار الترف والبذخ

واللهو – ولعل هذا الاتجاه يخدم جهات معينة — وإنما نجد في تاريخنا المشرق ما يدعو للعزة والافتخار والتفاؤل فهو ليس حروبا ومعارك فحسب وإنما صفحات مشرقات من العلم والأدب والأخلاق الرفيعة قلما تتكرر في تواريخ شعوب أخرى .

فالبحث يتعلق بظاهرة المنافسة حول استقطاب العلماء وضمهم إلى المجالس العلمية السلطانية ما كان له بالغ الأثر في إيجاد فرص للتواصل الفكري والعلمي بين أولئك العلماء والأدباء من مختلف الأقطار وحتى مع دولهم لمن عاد منهم إلى بلده، وهذا ما يدفع إلى التساؤل عن أسباب اهتمام سلاطين دول المغرب الإسلامي بفئة العلماء والمكانة التي خصوهم بها والحرص على إدراجهم ضمن مجالسهم العلمية، والملاحظ أن هذا الأمر لم يسر على نفس الوتيرة وإنما خضع لظروف مختلفة في مقدمتها الظروف السياسية لتلك الدول و شخصيات السلاطين أنفسهم إلى جانب أوضاعها الاقتصادية كما كان لأولئك العلماء أدوار مختلفة في البلاطات التي حلوا بها وترك كل منهم بصمته في المجال التي تميز ونبغ فيه وللبحث في جوانب هذه الإشكالية حاولنا الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما هي الأوضاع العامة لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / 13 و 15 (م)؟
- ما هي العوامل التي ساعدت على التواصل بين أقطار بلاد المغرب الإسلامي؟
- ما هو وضع العلم والعلماء في ظل حكم سلاطين دول بلاد المغرب؟ وما هي مظاهر الاهتمام السلطاني بالعلم وأهله؟
- ما هي أبرز ظروف انعقاد المجالس العلمية بحضرة سلاطين دول بلاد المغرب الإسلامي؟
- هل أسهمت تلك المجالس في البناء الحضاري لتلك الدول؟و ما هي مظاهره إن كان كذلك؟

واتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي سعيا للوصول إلى بيان ما تميزت به الحركة الفكرية بصفة عامة والمجالس العلمية السلطانية بصفة خاصة باعتبارها مظهرا من مظاهرها، وتوضيح الجهود السلطانية لاستقطاب العلماء والفقهاء والأدباء من سائر الأقطار وانتهاء باستنتاج الأبعاد المرجوة من

ذلك الاهتمام وأثره في المسار الثقافي للدولة عموما،إلى جانب المنهج المقارن إذ لا مجال للحديث عن المجالس العلمية لدولة ما دون مقارنتها بمثيلاتها في الدول الأخرى وهذا ما يفضي إلى استنتاج أية دولة من دول بلاد المغرب كانت الأنشط في هذا المجال.

وقسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة و مدخل وبابين اثنين ينقسم كل منهما إلى ثلاث فصول وخاتمة وملاحق .

خصصنا **المدخل** للحديث عن الأوضاع التي ميزت منطقة المغرب الإسلامي قبيل سقوط الدولة الموحدية خاصة من الناحية الثقافية مع الإشارة إلى الاهتمام بالمجالس العلمية في قصور الأمراء والسلاطين في العالم الإسلامي على مر العصور إذ لم يخل عهد من اهتمام حكامه بمجالس العلم.

بينما تطرقنا في **الباب الأول** والمعنون ب :الأوضاع العامة لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 13 / 15م، أي عقب انهيار سلطان الموحدين فيها وقسمنا هذا الباب إلى ثلاث فصول:

الفصل الأول: الأوضاع السياسية لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / 13 و 15 (م) والتي تميزت بقيام الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط بينما استأثر بنو مرين بالمغرب الأقصى وتقلص الحكم الإسلامي في الأندلس إلى دولة بني الأحمر في غرناطة مع التركيز على أنساب الأسر الحاكمة و التطور التاريخي لتلك الدول بغرض التمييز بين فترات الضعف و فترات القوة و الازدهار.

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / 13 و 15 (م) وهذا لأهمية الجانب الاقتصادي في الازدهار الفكري والعلمي للدول من خلال التطرق إلى العوامل المؤثرة في اقتصاد بلاد المغرب الإسلامي في هذه المرحلة من تاريخها والتعرف على الظروف الاقتصادية لها من زراعة وحرف وصنائع وتجارة.

الفصل الثالث: العوامل المساعدة على التواصل بين دول المغرب في مقدمتها تأثير الموقع الجغرافي وضبط مصطلح بلاد المغرب وتأثير الحركة الفقهية خاصة ما تعلق بالمذهب المالكي ودور التيار الصوفي في الحياة الفكرية للمنطقة، إلى جانب تأثير الهجرة الأندلسية في تفعيل الحركة العلمية خلال فترة الدراسة.

أما **الباب الثاني** والذي جاء معنونا ب : المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي: من مظهر المنافسة إلى قناة للتواصل الفكري فقسمناه إلى ثلاث فصول:

الفصل الأول: مظاهر الاهتمام السلطاني بالعلم ومجالسه بداية بتوضيح مكانة فئة العلماء و المفكرين لدى أولئك الحكام،و جهودهم لاستقطابهم في شتى الاختصاصات إلى حواضرهم وتشييد المؤسسات الدينية والعلمية وخزائن الكتب سعيا منهم لتفعيل الحركة العلمية في بلدانهم على أعلى المستويات.

الفصل الثاني: تطور المجالس العلمية لسلاطين دول المغرب الإسلامي وحاولنا فيه التعرف على ظروف انعقاد تلك المجالس العلمية وأهم الكتب والمواضيع المدرسة فيها ،ومن هنا كان لزاما التفريق بين أنواع تلك المجالس حسب مواضيعها و الأهداف المبتغاة منها.

الفصل الثالث: أثر المجالس العلمية السلطانية في الحياة الفكرية لبلاد المغرب الإسلامي بيّنا فيه فرص التواصل بين العلماء والفقهاء من خلال تلك المجالس وأهم الوظائف والمهام الموكلة إليهم، وأخيرا حاولنا استخلاص الإسهام الحضاري لتلك المجالس العلمية التي عقدها سلاطين دول المغرب الإسلامي.

وخاتمة البحث مجموعة من الاستنتاجات الخاصة بالموضوع ثم مجموعة ملاحق من خرائط وصور ووثائق قصد إثرائه ودعم جانبه التوثيقي.

أما في ما يخص المصادر والمراجع المعتمدة فما ينبغي توضيحه بداية هو أنه تم لملمة شتات هذا الموضوع من مصادر متنوعة ككتب التاريخ العام لبلاد المغرب أو كتب خاصة بإحدى دوله،

أو كتب الرحلات والجغرافيا إلى جانب كتب التراجم والطبقات وعدد كبير من المراجع لكن لم نقف على كتب مخصصة لموضوع المجالس العلمية في فترة الدراسة بحد ذاتها عدا تلك الإشارات الواردة هنا وهناك،مع اشتراكها في نفس المضمون دونما اجتهاد للتفصيل والتوسع فيها؛ فجاءت المصادر والمراجع حسب أهميتها على النحو التالي:

- **الفتاوى والنوازل:**

إن طبيعة الموضوع فرضت التعامل مع كتب الفتاوى والنوازل في مقدمتها كتاب المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس و المغرب لأبي العباس احمد بن يحيى الونشريسي ت914هـ/1508م وهو عبارة عن مجموع فتاوى من المغرب الإسلامي بما فيها إشكالات وقضايا فقهية طرحت بحضرة بعض السلاطين و كانت موضوع نقاش و محاورة وأحيانا المراسلة بين العديد من العلماء والفقهاء.

- **كتب التراجم :**

كما اعتمدنا بعض كتب المناقب والتراجم والتي تعدّ مصدرا أساسيا للحالة الثقافية خاصة ما تعلق بحركة العلماء و التواصل فيما بينهم، كما نجد فيها مختلف الوظائف والمهام التي قاموا بها ،بما فيها الانضمام للمجالس العلمية لسلاطين الدول التي يحلون بها منها على سبيل المثال:

- المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م) تحقيق: سلوى الزاهري وهو يشمل عددا كبيرا من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ولنفس المؤلف أيضا المسند الصحيح الحسن في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن لابن مرزوق رغم طابع الترجمة الذاتية الذي يكتسبه فإنه من المصادر القليلة التي أمدتنا ببعض التفاصيل عن حياة القصر في عهد السلطان أبي الحسن وأسماء العديد من العلماء الذين ألحقوا بمجلسه العلمي وأهم العلوم والكتب التي تم تداولها ودراستها بحضرته إلى جانب المنجزات الحضارية لهذا السلطان.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكريا يحيى بن خلدون من أهم مصادر الدولة الزيانية في أزهى فترات ويمدنا بتفاصيل عن حياة بعض علمائها الذين يشكلون الدعامة الأساسية للنهضة الثقافية في المنطقة.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم المديوني اشتمل هو الآخر على تراجم أولياء وعلماء مدينة تلمسان وما خلفوه من آثار فكرية وعلمية، وما يؤخذ عليه تلك المبالغات والأخبار التي أطنب في الحديث عنها أحيانا خاصة فيما يتعلق بالجانب الصوفي.
- تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي كان حيا 894هـ/1488م والذي ذكر العديد من مناقب سلاطين الدولة الحفصية فكانت الاستفادة منه كبيرة.
- الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله محمد بن احمد بن الشماع الذي ألفه سنة 861هـ/1457م أشاد فيه بمنجزات الأسرة الحفصية في مختلف الميادين.

كتب الرحلات:

إلى جانب كتب الرحلات التي تزخر بجوانب عديدة عن حياة العلماء ونشاطهم التعليمي وعلاقاتهم بطلبتهم والكتب المتداولة، كما تصور جوانب من حياة السلاطين بما فيها حياتهم داخل القصر وخاصة مجالسهم العلمية منها:

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م) في حديثه عن العلماء الذين أخذ عنهم، وعدد كبير منهم جاء ضمن حملة أبي الحسن المريني على إفريقية.
- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، زار فيها معظم بلدان العالم الإسلامي اهتم بوصف الحياة الفكرية والعلمية التي شهدتها تلك البلدان وشمل وصفه أيضا المجالس العلمية التي كان يترأسها سلاطين بني مرين.

كتب التاريخ العام:

أما كتب التاريخ العام وتواريخ دول بلاد المغرب ففي مقدمتها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون الذي احتل الجانب السياسي فيه أهمية كبرى ويعتبر من أهم مصادر القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ومع ذلك لا نجد فيه تفاصيل وافية عن الحياة داخل القصر الحاكم، كما تعد مقدمة ابن خلدون من أهم مصادر الدراسة كونها تشتمل على جوانب هامة من تاريخ بلاد المغرب سيما ما تعلق بالتعليم و مناهجه.

- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي (ت 899هـ/1494م)، كتبه للسلطان الزياني محمد المتوكل (866-873هـ/1461-1468م) تتمثل أهميته في إحاطته بما عرفته الدولة من منجزات عمرانية وحركة ثقافية رغم بعض المبالغة في المدح والتعظيم.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية والأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي خاصة في مرحلة تأسيس الدولة ونشاطها العسكري في المغرب الإسلامي عموما.
- روضة النسرين في دولة بني مرين لإسماعيل بن الأحمر الذي رغم تحامله على الدولة الزيانية وجدنا فيه تفاصيل مهمة عن بعض سلاطين بني مرين.
- مؤلفات لسان الدين بن الخطيب ت 776هـ/1374م في مقدمتها اللمحة البدرية في الدولة النصرية حيث أرخ لدولة بني الأحمر حسب تداول سلاطين بني نصر على السلطة.

أما عن المراجع فأهمها وأكثرها اعتمادا مؤلفات الدكتور عبد الحميد حاجيات ومنها:

- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، و كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط مع الدكتوريين مبخوت بودواية ومعروف بلحاج التي تعرضت لتاريخ المغرب الأوسط بمزيد من التحليل من خلال أمهات مصادر المنطقة.
- التعليم بتلمسان في العهد الزياني لعبد الجليل قريان وهي من الدراسات القليلة التي سلطت الضوء على المجالس العلمية السلطانية بالتطرق إلى طريقة الدراسة فيها و المواضيع و الكتب المتداولة فيها ؛فكانت بذلك من أهم المراجع لموضوع البحث.
- يحي وهيب الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة العربية الإسلامية وهي دراسة قيمة سيما من طريقة معالجة الموضوع و قد رسم صورة مشرقة عن المجالس العلمية المشرقية بما فيها مجالس السلاطين للدول المتعاقبة.
- مؤلفات محمد المنوني على رأسها ورقات عن حضارة المرينيين التي شمل مختلف جوانب الحضارة المرينية خاصة الجانب الثقافي،ومحمد عيسى الحريري،تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني وهذه الدراسات من أهم المراجع المتخصصة في التاريخ المريني استفدنا منها في الجانب الثقافي.
- روبير برونشفيك افريقية في العهد الحفصي بجزأيه الأول و الثاني و الذين شملا التاريخ الحفصي سياسيا وحضاريا.

إلى جانب كتاب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط لعيسى بن الذيب وآخرين،كما كانت استفدنا من كتاب أحمد عزاوي الغرب الإسلامي خلال القرنيين 7-8ه وتلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي التي جاءت شاملة للجوانب السياسية والعمرانية والاجتماعية والثقافية.

وفيما يخصّ المراجع باللغة الأجنبية فأهمها:

- *Abde Lhamid Hajiat, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyanide Abou Hammou Mousa II760-91/1359-89 .*
- *Atallah Dhina , Les états de l'occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles.*

وبالنسبة للصعوبات فأجدرها بالذكر غياب تفاصيل وافية عن تلك المجالس العلمية ضمن المصادر التي بين أيدينا إذ لا نجد وصفا دقيقا لها في بعض الجوانب من جلوس السلطان وطبيعة المواضيع المطروحة للنقاش وسير تلك المجالس خاصة وأن كل سلطان تميز بمجلسه عن غيره إذ ركزت معظم المصادر على الحديث عن المعارك و الحروب التي خاضها السلاطين وجهودهم في تثبيت سلطانهم مع إشارات يسيرة إلى منجزاتهم الثقافية .

فالموضوع لا يزال بحاجة للتوسع والإثراء ودعم مادته التوثيقية، ولا أحسب نفسي وصلت إلى الكمال فالكمال لله وحده، ويبقى المجال مفتوحا لإخواني من الباحثين لكشف النقاب عن الغموض الذي يكتنف بعض الجوانب من هذا الموضوع الخصب.

وفي الختام أجدد شكري للأستاذ المشرف الدكتور مبخوت بودواية والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة المحترمة، فما أصبت فمن الله وما أخطأت فمن نفسي والشيطان وبالله التوفيق ومنه السداد.


المدخل

كان المهدي بن تومرت[1] صاحب فكرة إصلاحية[2]، وبهذا فإن الدولة الموحدية قامت على أساس دعوة دينية إصلاحية طابعها التجديد والعظمة وهدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة[3]، فاتخذ ابن تومرت التدريس وسيلة لجمع الأنصار والمريدين، واتخذ الجدل والمناظرة وسيلة لإقناع الخصوم ،والقتال وسيلة لتمكين الدعوة وإقامة الدولة[4].

وقد أثمرت ثورته قيام الدولة الموحدية التي عمّرت قرنا ونصف القرن من الزمن، وقد بلغت من سعة الرقعة والازدهار والقوة والسطوة مبلغا عظيما جعلها واحدة من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي، فقد امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا ومن الأندلس شمالا إلى قلب الصحراء جنوبا، وشهدت العلوم والفنون والعمارة في عهدها ازدهارا مشهودا[5].

[1]- أبو عبد الله محمد بن تومرت، تنسبه معظم المصادر إلى قبيلة هرغة، وكانت له عدة ألقاب فقد لقب أسافو لملازمته إيقاد القناديل في المسجد للقراءة والصلاة، وتومرت التي تعني نوعا من الأكسية الجلدية أما لقب المهدي فقد أطلقه عليه أصحابه العشرة وبايعوه على ذلك، كانت وفاته سنة 524هـ/1129م حول جوانب من ترجمته ينظر: أبو محمد حسن بن علي ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط2 د.ت، ص87- 90، 236، 124؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان،لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ/1963م، ص245؛عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م، ص- ص 23 – 33.)

[2]- مصطفى أبو ضيف ،القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1402هـ/1982م، ص69؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الثقافة، ط2، 1380هـ/1960م، ج1، ص100.

[3]- هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1404هـ/ 1984م، ص31.

[4]- المرجع نفسه، ص5.

[5]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص- ص377 – 378؛ محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 1420هـ/2000م، ص 11.

بل وصل الأمر إلى حد كونها القوة الإسلامية التي وقفت في وجه المد الصليبي لدرجة استنجد معها صلاح الدين الأيوبي بالموحدين ضد الأساطيل الفرنجية[1].

لكن بعد الوحدة السياسية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي في ظل الحكم الموحدي وسلسلة الانتصارات المحققة في الأندلس ضد الزحف النصراني على المنطقة ، انقلب الوضع اثر الهزيمة التي مني بها الجيش الموحدي بقيادة محمد الناصر(595-610هـ)/(1199- 1213م) أمام الجيوش النصرانية المتحالفة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م[2]، فقد كانت من الوقائع الفاصلة التي عجلت بسقوط الأندلس وكانت بداية سقوط الدولة الموحدية وإن دامت بعدها أكثر من نصف قرن[3].

فهزيمة الجيوش الموحدية حدث عسكري حاسم في تاريخ بلاد المغرب بأسرها وقد نتج عنه تصدع كبير في مجموع الرقعة الموحدية ،وترتب عن هذا التصدع أيضا ظهور شبكة من القوى السياسية العسكرية المتنافسة والمتصارعة في إطار تحالفات، ففي الضفة الشمالية في المعسكر المسيحي مملكة قشتالة بالأراضي الوسطى ومملكة أرجون والقطلان بالسواحل الشرقية أما بالضفة الجنوبية للمتوسط بالمعسكر الإسلامي فهناك مملكة بني مرين بالمغرب الأقصى ومملكة بني زيان بالغرب الأوسط وبني

[1] - مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1405هـ/1986م، ص- ص 104-107؛ عزالدين موسى، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص32؛ عبد الحميد النجار، المرجع السابق، ص378.

[2] - علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1393هـ/1973م، ص -ص238-240؛ مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1404هـ/1984م، ج1، ص373.

[3] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص281؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص 108.

حفص بالمغرب الأدنى وطبيعي أن تكون العلاقات بين هذه القوى المتعددة علاقات معقدة ومتشابكة تخضع لعدة عوامل وحسابات[1] .

وإلى جانب ما خلفته هزيمة العقاب، لا ننسى تبعات الثورات والفتن الداخلية التي عصفت بالدولة الموحدية طيلة عهدها والتي كانت من أهم عوامل ضعفها ثم سقوطها[2].

في مقدمة تلك الثورات نجد ثورة بني غانية التي استنزفت الكثير من جهود الدولة الاقتصادية والعسكرية[3].

هذا إلى جانب دور النزاع الذي ظهر بين أفراد الأسرة المؤمنية حول الخلافة، ما أفسح المجال لتدخل أشياخ الموحدين وتسلطهم، وسيطرة الوزراء واستبداد الولاة بأقاليمهم، فضعفت الإدارة واختل الجيش فتقلصت أراضي الدولة ودمرت المنجزات الاقتصادية وذبلت الحياة الفكرية ودخلت [4].

[1] -محمد القبلي،الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل، دار توبقال، المغرب، 1997م، ص18؛ انظر الملحق 01.

[2] - عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة، 1428هـ/2007م، ص 126؛محمد احمد أبو الفضل،شرق الأندلس في العصر الاسلامي515-686هـ/1121-1287م، دار المعرفة الجامعية،مصر،1417هـ/1996م، ص-ص104-109.

[3] - عن أصل بني غانية وثورتهم ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة :سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ص242 وما يليها؛محمد احمد أبو الفضل،المرجع السابق،ص141.)

[4] - عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، ص-ص 55-56.

وهكذا ضعفت الدولة الموحدية وضاعت هيبتها أمام تطلعات القبائل الكبيرة وطموحاتها وهو ما كان السبب في مبادرة قوى جديدة إلى محاولة تأسيس دول خاصة بها[1]؛فدبت الروح الانفصالية في الأندلس ،وبادر بنو حفص إلى الاستقلال بحكم المغرب الأدنى، ومن بعدهم مع بني عبد الواد وبني مرين بالمغربين الأوسط والأقصى على التوالي.

وإلى جانب الانهيار السياسي والتراجع الفكري رافق مرحلة سقوط الدولة الموحدية خراب اقتصادي؛ فقد قلّت موارد الدولة وفرغت الخزينة وكثرت المجاعات وغلت الأسعار وتوقفت حركة العمران التي عرف بها الخلفاء الأوائل بصفة خاصة[2].

قال ابن أبي زرع الفاسي: "...توالت الفتن وعدمت الأقوات وذلك من سنة تسع عشرة إلى سنة سبع وثلاثين وستمائة لما أراد الله انقراض الدولة الموحدية وظهور الدولة المرينية..."[3]، ومن أبرز الأمثلة التي نسوقها فترة حكم الخليفة الموحدي يوسف المستنصر التي شهدت اضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية بسبب هزيمة معركة العقاب ومما زاد من متاعب هذا الخليفة تزامن فترة ولايته مع توالي سنوات الجدب التي بلغت ذروتها في مجاعة عام 617هـ/1220م[4].

من جهة أخرى نجد أن ما ميز الحكم الموحدي هو الاهتمام بالعلم، ومرد هذا الأمر إلى شخصية ابن تومرت الذي اعتمد على العلم في دعوته فترك أثره في جل أمراء الدولة الموحدية الذين وصفوا في

[1] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع،الجزائر،1423هـ/2002م،ج1 ، ص 14.

[2] – عز الدين عمر موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص 114.

[3] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب،ص41.

[4] – الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د.ت، ص 34؛ومن أبرز المصادر التاريخية التي أرخت لتلك المجاعات :(ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني و آخرون ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م، ص 266.)

عمومهم به واشتهر العديد منهم ممن كان لهم باع طويل في تحصيل العلم ونشره[1]، وحققوا وثبة فكرية بما أجزلوا من عطاء لأهل الفكر والأدب ،وما شيدوا من مساجد وما نظموا من خزائن الكتب فكثر العلماء في كل فن[2].

وفي مقدمة خلفاء الموحدين الذين وصفوا بالعلم عبد المؤمن بن علي[3]، من ذلك ما أورده ابن أبي زرع الفاسي في علاقته بأهل العلم حيث وصفه بأنه كان: "محبا في أهل العلم والأدب، مقربا لهم، مشوقا لوفادتهم[4]"، ومن مآثره أنه جعل التعليم الابتدائي إجباريا مفروضا على كل مكلف من الرجال والنساء وبفضل أعماله أرسى دعائم الحركة العلمية التي ازدهرت في عهود خلفائه من بعده، فأبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (ت 580هـ/1184م) الذي جمع بين العلم الشرعي والعلم العقلي، وصفه صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب بقوله:

" كان أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم لأيامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام... وأنه كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن... مع إيثار شديد للعلم، وتعطش إليه مفرط، صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين... وكان له مشاركة في الأدب واتساع في حفظ اللغة وتبحر في علم النحو... ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة... وبدأ من ذلك بعلم الطب...[5]".

---

[1] – عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 382.

[2] – عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، ص-ص 53 – 54.

[3] – هو عبد المؤمن بن علي الكومي، ولد بموضع يعرف بتاجرا سنة 487هـ/1094م وكانت وفاته سنة 558هـ/1162م ينظر:عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص265.

[4] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص204؛ محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط2، 1397هـ/1977م، ص159.

[5] – عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق، ص-ص 309 – 310.

إن اقتباس هذا النص حول المكانة العلمية لهذا الحاكم نابع من الرغبة في توضيح الجانب العلمي لأمثال أولئك الحكام الذين تذهب إحدى الدراسات إلى القول أنهم لولا انشغالهم بتدبير الحكم لأصبحوا من مشاهير العلماء بالمغرب[1]، ومن جهة ثانية تسليط الضوء أكثر على هذا الجانب من حياة الحكام الذين طغت الكتابات حول حياتهم السياسية ومنجزاتهم العمرانية وانتصاراتهم العسكرية دون التفصيل حول مجهوداتهم ومساهماتهم الفكرية الشخصية، والتي اعتبرت من عوامل ازدهار الحركة العلمية[2] في بلاد المغرب الإسلامي، وتعتبر فترة الحكم الموحدي للمنطقة من بين أخصبها ثقافيا .

وقد تناولت هذا الموضوع العديد من الدراسات التي عدت الخلفاء والأمراء من أهل العلم وأوردت نماذج من إسهاماتهم العلمية والأدبية[3]، ومن أبرز مظاهر ذلك الاهتمام الفكري عقد مجالس علمية بحضرتهم كما سنبين لاحقا على غرار ما كان يجري في بلاطات ملوك وسلاطين العالم الإسلامي.

فالحديث عن موضوع مجالس الأمراء والخلفاء من المواضيع التي نجد فيها اختلافا كبيرا وتضاربا في الآراء ومزايدات في الروايات التاريخية مما يسيء لدولة ويحط من قدرها أو يرفع أخرى بغير وجه حق[4]؛فكان البحث ليصبح أكثر تعقيدا لو شمل جميع أنواع المجالس السلطانية لكن ما ينبغي توضيحه

---

1 – عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص382.

2 – المرجع نفسه، ص 385.

3 – محمد المنوني ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص– ص 159 – 163؛ الربعي بن سلامة، الشعراء والملوك في المغرب والأندلس ، دار الهدى الجزائر، 1436هـ/2014م، ص42، 113، 120 على سبيل المثال.

4 – من الأمثلة التي نسوقها ما نجده من إشارات عند بعد الدراسات حول مجالس الغناء واللهو وتعاطي الخمر والجواري والغلمان في الدولتين المرابطية والموحدية وتبرئة دول لاحقة منها: ينظر: (إبراهيم القادري بوتشيش ،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، د.ت، ص– ص 131– 135؛ محماد لطيف، الزواج والأسرة في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط،طباعة ونشر سوس، أكادير ،ط1، 2015،ص39 ؛عبد العزيز فيلالي،اندماج اليهود في الشعر

أن موضوع هذه الدراسة يقتصر حول المجالس العلمية التي عقدت بحضور الأمراء والسلاطين سواء داخل القصر أو خارجه وهذا الجانب لا يختلف فيه اثنان حول مكانة العلماء في بلاطات الدول الإسلامية مشرقا ومغربا.

فقد كان للخلفاء مجالس غير مجالس الحكم التي تعقد في النهار، فكانوا إذا قضوا أمور الحكم وقضايا الناس روّحوا عن أنفسهم باستماع الأحاديث والشعر وأخبار الماضين، فيدعون الأدباء والرواة وأهل الأخبار يحضرون مجلس الخليفة، فيسأل الخليفة عما يروقه من الشعر وأحوال الناس وصفات الملوك السابقين، يلتمسون في ذلك الخبرة في أصول الحكم ومهام الملك واتخاذ العبر من أحوال السابقين، بالإضافة إلى الترفيه عن أنفسهم بسماع طرائف الأشعار والأخبار[1].

وتكون تلك المجالس واسعة يحضرها عدد كبير من الشعراء والأدباء وأصحاب الأخبار، وقد تكون خاصة إذ يستدعي الخليفة راوية أو إخباريا ممن يرتاح لسماع أخباره وأحاديثه[2].

كما أن مجالس الخلفاء والملوك اختلفت شكلا وأبهة باختلاف الدول، وفي الدولة الواحدة باختلاف أطوارها وفي كل طور باختلاف المراد منها[3]، فالرسول – صلى الله عليه وسلم- اتخذ من المسجد موضعا للصلاة ومكانا للاجتماعات والاستقبال[4].

والموسيقى الأندلسية، دار الهدى، الجزائر، 2016، ص11) وهذا ما يتناقض مع ما نجده في دراسات أخرى مثل: (عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 394).

[1] – يحي وهيب الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة العربية الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ص189.

[2] – المرجع السابق، ص189.

[3] – جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج5، ص 666.

[4] – عبد العزيز حميد: " مجالس وقاعات الاستقبال القصور الإسلامية من نهاية القرن الثاني هجري" في مجلة: **المورد**، العدد 32، 1426هـ/ 2005م، ص5.

واستمر الأمر على هذه الشاكلة أيام الخلافة الراشدة، لكن باتخاذ القصور مع بني أمية وبني العباس من بعدهم اختلف الوضع كثيرا عما كان عليه بفعل مؤثرات خارجية عديدة[1]، وأصبحت تلك المجالس من مظاهر أبهة وفخامة البلاط الذي تعقد فيه[2].

فكان معاوية بن أبي سفيان أول من اهتم بتلك المجالس وسار خلفاؤه من بعده على نهجه، فكانوا يقيمون أناسا يقصون عليهم أخبار الملوك والقواد من الروم والفرس وأخبار الدول كيف كانوا يسوسون ويحكمون[3]، ولما كان القرآن الكريم محورا للدراسات العربية الإسلامية فقد قامت الدراسات اللغوية والنحوية وجمع الشعر لأجل تفسير القرآن ومعرفة معانيه ومبانيه وألفاظه، وكذلك يقال في الحديث النبوي، إلى جانب مجالس الأدب التي كانت في أيام بني أمية وبني العباس وشاعت المناظرة بين العلماء والفقهاء[4].

ثم صارت تلك المجالس عامة في الدول التي خلفت الدولة العباسية أو تفرّعت منها؛ فعقدها الملوك والسلاطين للمناظرة، ومثال ذلك ما حكي عن الوزير السلجوقي أبي الحسن علي (نظام الملك) من أن مجلسه عامر بالعلماء والفقهاء حيث يقضي معهم غالب نهاره حتى قيل له : "إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح" فقال: "هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك[5]".

---

[1] – عبد العزيز حميد، المرجع السابق، ص -ص6-10؛ جرجي زيدان، المرجع السابق، ج5، ص667.

[2] – جرجي زيدان، المرجع نفسه، ج5، ص666.

[3] – يحي وهيب الجبوري، المرجع السابق، ص189.

[4] – للمزيد من التفصيل راجع: يحي وهيب الجبوري، المرجع نفسه، ص195، 197.

[5] – أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 1425هـ/2004م، ص162.

كما اشتهر عن الظاهر بيبرس ميله إلى التاريخ و أهله و كان يقول إن سماع التاريخ أعظم من التجارب، من جانبه حرص السلطان الغوري على عقد المجالس العلمية والدينية عدة مرات بالأسبوع وكان يبحث فيها مع العلماء مختلف المسائل العلمية ويناقشها و كثيرا ما كان السلطان نفسه هو الموجه للمناقشة[1].

كما كان قصر الخليفة العبيدي مكانا لعقد المجالس العلمية لأتباع مذهبه خاصة ما تعلق بتأويل آية من آيات القرآن أو حديث نبوي وكانت هذه المجالس تعقد عادة يومي الاثنين والخميس. وفي عهد المعز لدين الله كان يجتمع في قصره بعض أصحاب المذاهب المختلفة ويثير بينهم بعض المسائل للنقاش[2].

وفي الثغور الأندلسية عقد الأمراء والحكام في دورهم وقصورهم العديد من المجالس العلمية حضرها كبار رجال الدولة ونخبة من العلماء مثل مجالس الأمير المأمون بن ذي النون ت467هـ/1074م التي كانت تضم نخبة من علماء طليطلة والأندلس عموما في مختلف العلوم الفلكية والطبية والهندسية والرياضيات ومنها المجلس الكبير الذي يسمى المكرم[3].

وبدورهم عقد خلفاء الموحدين مجامع علمية مع أشياخ علماء الموحدين وكبار العلماء الواردين عليهم من مختلف الجهات[4]، وقد اتصفت بالجد والوقار والتزام مظاهر الحشمة[5]. فقد كانت حافلة

---

[1] – عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1429هـ/2008م، ص57.

[2]– بشير رمضان التليسي،الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي،بيروت،ط1 ،1424هـ/ 2003م،ص404.

[3] – أريج كريم حمد العتابي، الحياة العلمية في الثغور الشمالية الأندلسية المجاورة للممالك النصرانية (95-484هـ/713-1092م)، دار غيداء ، الأردن، ط1، 1437هـ/2016م، ص 89.

[4] – محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص39 .

[5] – عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص391.

بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم، لما كان يحضرها من علماء وأدباء وأطباء وفلاسفة من مغاربة ومن الواردين على المغرب، وتناولت تلك المجالس مختلف العلوم إذ لم تختص بعلم أو فن دون غيره[1]، وكان لها في عهد الموحدين نظام خاص تتبعه فكان الخليفة يتصدر المجلس فخطيب الجماعة ثم قاضي الجماعة بمراكش، فرئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة فباقي الأعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم[2].

فالواضح أنه ما من أمير إلا وكان له مجلس خاص به، وان اختلفت تلك المجالس باختلاف أمزجة الأمراء والحكام واتجاهاتهم الفكرية والثقافية،فإذا كان الأمراء العبيديون يؤكدون في مجالسهم على الدعوة لمذهبهم، وحق الأئمة في الخلافة فان الأمراء الآخرين كثيرا ما يجمعون في مجالسهم أهل العلم والأدب والفن، وتظل السمة العامة لتلك المجالس هي التقاء العلماء والشعراء، وإثارة القضايا والمسائل الفقهية والعلمية عموما بينهم بالمناقشة والنقد[3].

فقد أصبحت القضايا التشريعية من اختصاص الفقهاء ورجال العلم بينما أسند البث في القضايا السياسية الهامة والعسكرية إلى المشايخ وذوي الخبرة وصار رجال الحكم في مختلف المستويات من عمال وولاة وأمراء يستشيرون الفقهاء والأعيان في مختلف شؤون الدولة، ويشكلون مجالس استشارية يستعينون بها في حل المشاكل الطارئة والبث في القضايا العامة، ولاشك أن تشكيل هذه المجالس وتنظيم عملها ونشاطها يختلف اختلافا ملحوظا حسب الدول التي تعاقبت على الحكم في بلاد المغرب وحسب العصور وازدادت أهميتها بقدر ما ازدادت نظم الحكم تنظيمها في ممارسة

[1] – محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص39.

[2] – نفسه ، ص39؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص416.

[3] –بشير رمضان التليسي،المرجع السابق،ص 405.

سلطتها[1]؛ فألف الحفصيون والزيانيون والمرينيون مجالس تضم الأعيان ومشايخ القبائل التي اعتمدت عليهم دولتهم وحافظوا على ما ورثوه من نظم الدولة الموحدية في هذا المجال[2].

وبهذا يمكن القول أن تلك المجالس تعد واحدة من أبرز عوامل تطور وازدهار الحياة العلمية في البلاد الإسلامية إذ كانت تقوم بدورها في التعليم والمناقشة والفتوى والجدل والمناظرة وتدريس مختلف العلوم[3]، وأمام هذا النشاط الثقافي والعلمي الذي ميز مختلف حواضر العالم الإسلامي على مر العصور حتى أضحت المجالس العلمية لسلاطين بعض الدول مثل بني أمية وبني العباس أنموذجا يضرب به المثل[4].

فهل سار الأمر على نفس الشاكلة في الدول التي خلفت الدولة الموحدية في حكم بلاد المغرب الإسلامي وهل كان لحكامها و سلاطينها نصيب في تنشيط و ترقية الحركة الفكرية والعلمية في بلدانهم خاصة ما تعلق بالمجالس السلطانية ؟.

---

[1]- عبد الحميد حاجيات:"مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط" في مجلة **التاريخ**، المركز الوطني للدراسات التاريخية، عدد خاص بالذكرى العشرين للاستقلال 1963م- 1982، الجزائر، 1982م ص 91.

[2]- عبد الحميد حاجيات، مبدأ الشورى، ص 95؛ مريم سكاكو،مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجرتين/14و15م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان، 1433هـ/2012م، ص93.

[3]- أريج كريم حمد العتابي، المرجع السابق، ص 88.

[4]- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)/(869هـ/1465م)، دار القلم،الكويت، ط2، ص339.



الأوضاع العامة لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين /13 و15 (م)



الأوضاع العامة لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرين السابع والتاسع الهجريين / 13 و15 (م)

الفصل الأول : الأوضاع السياسية لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / (13 و15)م

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / (13 و15)م

الفصل الثالث: عوامل التواصل بين دول المغرب الإسلامي.

يشتمل هذا الباب بفصوله الثلاثة على الأوضاع السياسية التي طبعت منطقة المغرب الإسلامي عقب انهيار سلطان الموحدين فيها وظهور الدويلات الثلاث الحفصية بالمغرب الأدنى والزيانية بالمغرب الأوسط والمرينية بالمغرب الأقصى ودويلة بني نصر بغرناطة، ثم الأوضاع الاقتصادية التي ميزت المنطقة في ظل حكم هذه الدول، دون إغفال أهم العوامل التي ساهمت في ربط علاقات بينها خاصة في الجانب العلمي لأنه يمس موضوع الدراسة بصفة مباشرة.

فدراسة فكر عالم أو تتبع مراحل حياته تتطلب التعرف على العصر الذي عاش فيه بمختلف جوانبه: السياسية والاقتصادية والثقافية...، لما لذلك من تأثير في تكوينه وصقل شخصيته، ولما كان هذا البحث يشتمل على عدد كبير من العلماء وجب الحديث عن مميزات العصر الذي عاشوا فيه لفهم الظروف التي أحاطت بتكوينهم العلمي وتوضيح عوامل نجاحهم في الوظائف والمهام التي قاموا بها بكل أمانة وإبداع في البلاطات التي خدموا بها، كون هذه الدراسة تهتم فقط بتلك النخبة التي تم انتقاؤها بعناية من قبل الأمراء والسلاطين، ونظموها في مجالسهم العلمية الرسمية في إطار مساعيهم الحثيثة لحماية تراثهم الفكري ونقله للأجيال اللاحقة، وبعث الحركة العلمية في بلدانهم على أعلى المستويات لدرجة يمكن معها وصف تلك المساعي على أنها (صراع حضاري) ضمن تلك الصراعات التي رافقت ظهور دول جديدة على تراب المغرب الإسلامي عقب انهيار الدولة الموحدية، وهذه الظاهرة ميزت كل الدول المغربية التي ورثت الدولة الموحدية فقد سعت –كل حسب إمكاناتها– إلى الظهور في أعظم صور الأبهة والسلطان.

الفصل الأول : الأوضاع السياسية لبلاد المغرب الإسلامي ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين / 13 و 15 (م)

المبحث الأول:قيام الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى 625 هـ / 1227 م.

المبحث الثاني:تأسيس الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط 633 هـ / 1235 م

المبحث الثالث:نشأة الدولة المرينية بالمغرب الأقصى 668 هـ / 1269 م.

المبحث الرابع:دولة بني الأحمر في غرناطة 635 هـ / 1238 م.

الهدف من هذا الفصل هو التعرف على الواقع السياسي الذي ميز بلاد المغرب الإسلامي – وفق ما يخدم الموضوع – عقب انهيار الدولة الموحدية 668 هـ / 1269 م، وظهور الدول الثلاث على تراب المغرب وهي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى 625 هـ / 1227م والزيانية بالمغرب الأوسط 633 هـ / 1235 م والمرينية بالمغرب الأقصى 668 هـ / 1269م وبنو نصر بغرناطة 635 هـ / 1238 م.

ووجه الارتباط بموضوع البحث يتمثل في التمييز بين مراحل القوة والازدهار التي عرفتها تلك الدول من مراحل الضعف والاضطراب وما صحبها من تراجع في مختلف المجالات خاصة ما تعلق بشخصية الحكام والسلاطين فالحديث عن المجالس السلطانية مرتبط بشكل أساس بشخصية السلطان نفسه كما أثبت الواقع التاريخي لتلك الدول، وهذا ما سنعمل على تبيانه من خلال هذا البحث .

المبحث الأول: قيام الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى.

1 – أصل بني حفص ونسبهم:

ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر[1]، وهو من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة الذين يسمون بالجماعة، وتضم أول من بايعه ونصره وكان يسميهم المؤمنين[2]، ويذكر عبد الواحد المراكشي أن الاسم الحقيقي لأبي حفص هو " فصكة بن ومزال " وأن المهدي بن تومرت هو الذي سماه بأبي حفص عمر.[3]

[1]– أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب ، 1984م، ص48.
[2]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص255.
[3]– المصدر نفسه ، ص262.

ينتمي أبو حفص عمر إلى قبيلة هنتاتة [1]، وكان له دور كبير في نجاح دعوة المهدي بن تومرت ثم دعم الدولة الموحدية في عهد خليفته عبد المؤمن بن علي إذ كان من أهل الجماعة الذين بايعوه، وكانت له أدوار حاسمة في عهد عبد المؤمن بن علي و ابنه يوسف فقد كان مقدما عندهما وموضع مشورة وثقة حتى أن عبد المؤمن كان يستخلفه على المغرب إذا خرج منه.[2]

وترفع بعض المصادر نسب الحفصيين إلى الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من ذلك ما ورد في الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية حول نسب أبي محمد عبد الواحد فيقول: "هو المولى أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عمر ابن يحي بن محمد بن والد بن علي بن محمد بن ولال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محمد بن محبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – "[3].

والظاهر أن القصد من وراء رفع نسب البيت الحفصي إلى الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – هو إكساب الحكم الصبغة الشرعية والتميز عن سائر القبائل البربرية بالنسب الشريف[4]، وما تجدر الإشارة إليه أن هذا الأمر لم يكن قاصرا على الدولة الحفصية وحدها وإنما

---

[1] – هنتانة: من أعظم قبائل المصامدة وأكثرها جمعا وأشدها قوة ومضاربها بجبل درن ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص370).

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص262 ؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص-ص371 – 372.

[3] – ابن الشماع،المصدر السابق، ص 48 ؛ ويشير المحقق إلى أن ابن الشماع اختص بذكر نسب الحفصيين، لكن هذا النسب أثار حفيظة مؤرخين آخرين أمثال: عبد الرحمن بن خلدون إذ يقول : " ويظهر منه أن هذا النسب القرشي وقع في المصامدة والتحم بهم..." ينظر : (العبر، ج6، ص 371) ويذكر ابن أبي دينار أن نسب بني حفص غارق في أنساب البربر ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار افريقية وتونس،تح:محمد شمام،المكتبة العتيقة،تونس،1387هـ/1967م،ص130.

[4] – جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص مند قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893 هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ / 2000 م، ص 11.

كل من بني عبد الواد وبني مرين سعوا إلى إضفاء النسب الشريف على قبيلهم كما سيأتي في المباحث والفصول اللاحقة.

2- ظروف تأسيس الدولة الحفصية:

كانت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى أسبق الدول التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية ظهورا[1]، فبعد أن كان الحفصيون مرافقين للموحدين ومساعدين لهم في الدفاع والحفاظ على دولتهم،أقدم الناصر الموحدي سنة 603 هـ / 1206م على إقطاع إفريقية وإسناد أمرها إلى عبد الواحد بن أبي حفص والذي لم يقبل بذلك إلا بعد جهود كبيرة بذلت لإقناعه وشروط اشترطها على الناصر الذي أعطاه مطلق التصرف في إدارتها كي يستطيع القيام بأعبائها ويقضي على الفتن والثورات المستعرة خاصة ثورة بني غانية التي اشتدت وطأتها في هذه المرحلة[2].

ولعل قوة شخصية عبد الواحد بن أبي حفص ومكانته عند قبائل البربر كنت وراء رغبة السلطان في إبعاده إلى افريقية خاصة أمام الرغبة الشديدة التي أبدتها حاشية السلطان محمد الناصر في ذلك، وما يدعم هذا الأمر هو عدم وفاء هذا الأخير لابن أبي حفص بالعودة إلى مراكش بعد إنهاء مهامه في ثلاث سنين [3]،بل تصرف في شؤون افريقية تصرف الملك وبقي

---

[1] - عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس626-981هـ/1228-1573م رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1412هـ/1991م ، ص103.

[2] - ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق، 291 ؛ عفاف عبد الجبار:" الحياة السياسية و الحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز796-837هـ/1393-1433م"في مجلة **كلية الآداب**،العدد95،الجامعة المستنصرية،ص 99.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6،ص374؛ محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1406هـ/1986م، ص 100.

على رأسها إلى غاية وفاته أي أكثر من خمس عشرة سنة وكان حكمه لها أشبه ما يكون بالحكم الذاتي خاصة أمام المسافة الكبيرة الفاصلة بين تونس ومراكش عاصمة الخلافة[1].

وإذا كان أبو مدين بن أبي حفص الأكثر قدرة وبراعة بين أقرانه لتولي أمر افريقية ورعاية شؤونها وضمان استمرار تبعيتها للدولة الموحدية أمام صعوبة الدفاع عنها ودرئ المخاطر عنها لبعدها عن مراكش مركز الموحدين السبب المباشر في تعينه واليا عليها[2]، فإنه من جهة أخرى يمكن أن يكون لإقدام الناصر على هذه الخطوة دلالات أخرى فالمرحلة الأخيرة من حكمه (603- 610)هـ /(1206 – 1213)م تمثل مرحلة الضعف والاضمحلال للدولة الموحدية بصفة عامة، فقد يكون هذا العمل إثباتا على عجز الدولة عن إدارة رقعة ممتدة الأطراف متباعدة المسافات بمركزية مستحكمة، فلكي يتخلص من مشاكل إفريقية وثوراتها التي أنهكت قوة الحضرة المادية والبشرية عين واليا على إفريقية بسلطات استثنائية جعلته واليا مستقلا بأمرها منفردا بسياستها[3] على حد قول ابن عذاري المراكشي: "... وأسند أمر إفريقية كلها إليه...[4] " .

لكن نظرة من زاوية أخرى يمكن اعتبار تفويض الناصر أمر إفريقية لوزيره وصهره أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكما مستقلا بهذه الولاية، تمهيدا لانبعاث دولة جديدة في تونس بعد أن كانت تابعة للسلطة الموحدية في مراكش[5].

[1] –عبد العزيز الدولاتلي،مدينة تونس في العهد الحفصي،دار سراس،تونس،1981م،ص59.
[2] – عفاف عبد الجبار ، المرجع السابق ص99.
[3] – هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص- ص 77– 78.
[4] – ابن عذارى المراكشي ،المصدر السابق، ص 291.
[5] – مصطفى أبو ضيف ،المرجع السابق، ص 119؛ محمد العروسي المطوي،المرجع السابق،ص 145.

3- المراحل الكبرى للدولة الحفصية:

يرجع تأسيس الإمارة الحفصية بالدرجة الأولى إلى اختلاف مذهبي سياسي بين والي افريقية الحفصي والخليفة الموحدي إدريس المأمون بن يعقوب المنصور الذي أعلن بطلان رسوم المهدي والعصمة[1] ،وأمر الناس في سائر الأنحاء باعتبار ذلك بدعة يجب تركها، وكان يهدف من هذا الإعلان إلى تحطيم أسس الدعوة الموحدية.

وقد أقدم المأمون على هذه الخطوة بعد أن دعا لنفسه بالخلافة وهو بالأندلس، وبعد أن بايعه أشياخ الموحدين رجعوا عنه ليعقدوها لخليفة آخر هو يحي المعتصم، ما دفعه للانتقام وذلك بالجواز إلى مراكش وهزيمته ليحي المعتصم وقتل زهاء مائة من الأشياخ الذين نكثوا بيعته ففتح باب الصراع حول النفوذ السياسي بين الخلفاء من أبناء عبد المؤمن وأشياخ الموحدين[2].

وبدأت هذه الدولة كإمارة مستقلة في عهد أبي زكريا يحي الأول الذي خلع طاعة ادريس المأمون وبايع يحيى المعتصم سنة 627 هـ /1229م، فولاؤه للمأمون لم يكن سوى وسيلة لتولي الحكم في أفريقية ومرحلة انتقالية اقتضتها الضرورة[3]، فحقق بهذا الخطوة الأولى نحو استقلال إمارته[4]، لتتحول إلى خلافة في عهد ولده أبي عبد الله محمد المستنصر وبعد أن خرج أبو زكريا عن الولاء للدولة الموحدية شرع في تثبيت سلطانه فتحرك صوب قسنطينة سنة 628 هـ / 1230م ثم بجاية وولى على المدينة حكاما من قبله واكتملت سيادة بني حفص عل

[1] - هذا إلى جانب وضع العقائد والنداء للصلوات باللسان البربري وإحداث النداء للصبح وتربيع شكل الدرهم وأسقط اسم الإمام من الخطبة والسكة وأعلن بلعنه للمزيد من التفصيل ينظر:(عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص381؛عبد العزيز الدولاتلي،المرجع السابق،ص60.).

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 381 ؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي، ص131 ؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 54.

[3] - إبن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تح:محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد تركي،الدار التونسية للنشر،تونس،1968، ص 108 ؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 54.

[4] - حيث اقتصر أبو زكريا على لقب الأمير ولم يجاوزه إلى أمير المؤمنين:عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج6،ص381 ،ابن الشماع، الأدلة البينة،ص 58؛ مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق ،ص119.

افريقية بعد أن بويع أبو زكريا البيعة الثانية سنة 634 هـ / 1237م وتوالى ورود مبايعة عدة مناطق من بلاد المغرب كبيعة أهل بلنسية سنة 636هـ/1239م وأهل مرسية سنة 637 هـ / 1240م[1].

وقد أشادت المصادر بظهور الدولة الحفصية منها ابن قنفذ القسنطيني حيث قال : "منَّ الله بالدولة العمرية، وأنار بها الآفاق الإفريقية وحرّك لانتشار كلمتها الملك أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص فنشر ذكرها، وأظهر أمرها وخلفه ابنه الأمير أبو زكريا فزاد في محاسنها"[2].

وبعد وفاة أبي زكريا الحفصي خلفه ابنه أبي عبد الله المستنصر 647هـ/1249م وتسمى بأمير المؤمنين آخر سنة 650هـ/ 1252م وبعد استيلاء التتار على بغداد ومحو رسم الخلافة العباسية دخل شريف مكة وأهلها في الدعوة الحفصية[3]، ومن أبرز ما يميز فترة حكم المستنصر لتونس الحملة الصليبية التي قادها ملك الفرنجة سنة 669هـ/ 1270م والتي انتهت بعقد الصلح وكان هذا الأمر آخر عهدهم بالظهور والاستفحال ولم يزالوا في تناقص وضعف إلى أن افترق ملكهم على حدّ قول عبد الرحمن بن خلدون[4]؛وكانت وفاة الخليفة المستنصر سنة 675هـ/ 1277م بعد اشتداد المرض عليه ؛ وخلفه ابنه أبو زكريا يحي الواثق[5] 675-678هـ/1277-1279م ، ولكن فترة حكمه لم تدم طويلا بسبب تحكم الفقيه أبي الحسن يحي بن أبي مروان الأندلسي الذي انفرد بتدبير المملكة وهو الذي وصف بأنه كان:" عجولا

[1] - عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج6، ص385 ؛ ابن قنفد القسنطيني،الفارسية،ص107؛ الزركشي ،المصدر السابق،ص27 ؛ابن الشماع ،الأدلة البينة،ص 58؛عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 55.

[2] - ابن قنفذ، الفارسية، ص 108.

[3] - نفسه، ص 114، 120؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، 407.

[4] - عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ج6، ص 429.

[5] - ابن قنفذ، الفارسية، ص 134.

غير متثبت في أرائه[1]" فتميزت الأوضاع بعدم الاستقرار ودخلت البلاد في هذه المرحلة في صراعات وانقسامات والصراعات ضد جيرانها خاصة بني زيان الذين حاولوا استغلال هذه الفرصة لتوسيع حدود دولتهم على حساب الجارة الشرقية[2].

واستمرّ الأمر على هذه الشاكلة إلى غاية فترة حكم أبي العباس أحمد سنة 772هـ/ 1370م حيث استرجع السلاطين الحفصيون سلطتهم على البلاد و يعتبر ابنه أبو فارس عبد العزيز الذي حكم من بعده سنة 796هـ/ 1394م أعظم سلاطين بني حفص حيث عرفت فترة حكمها تغيرا واضحا في الحياة السياسية للدولة وبدأت الأمور تسير نحو الاستقرار والوحدة وازدهار البلاد والرخاء والاطمئنان وعظمة الدولة واستمر الاستقرار إلى غاية عهد أبي عمرو عثمان الذي حكم إلى غاية 892هـ/1486م ومع نهاية حكمه بدأت فترة الانحطاط إذ تزايد تنافس الأمراء على السلطة وكثرت الحروب ضعف الاقتصاد[3].

وخلاصة القول هي أن أبا زكريا الحفصي كان له دور كبير في إرساء دعائم الدولة الحفصية وفرض مكانتها على تراب المغرب الإسلامي كونها وارثة قرطاجة والقيروان وما انضاف إليها من نخبة أهل الأندلس من علماء وأدباء مع ما حمله كل منهم من جديد في العلم و الفن والصناعة[4] لتكون لها أدوار كبرى ليست على الصعيد السياسي فحسب وإنما في مختلف الميادين الثقافية والعلمية.

[1] – ابن قنفذ، الفارسية ، ص 135.

[2] –إبراهيم جدلة،المجتمع الحضري بافريقية في العهد الحفصي ،منشورات وحدة البحث المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات،جامعة قفصة،2010،ص29.

[3] – أبو العباس احمد الشماع الهنتاتي، مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام في رد القول بإباحة إغرام ذوي الجنايات والإجرام زيادة على ما شرع الله من الحدود والأحكام، تحقيق: عبد الخالق أحمدون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1424هـ/ 2003م، ص 29؛ عفاف عبد الجبار، المرجع السابق، ص 105؛ إبراهيم جدلة،المرجع السابق،ص30.

[4] –عبد الله حمادي،دراسات في الأدب المغربي القديم،دار البعث،الجزائر،1406هـ/1986م،ص71.

المبحث الثاني :تأسيس الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط 633 هـ / 1235م.

1 – أصل بني عبد الواد ومواطنهم:

تنسب دولة بني عبد الواد إلى قبيلة بني عبد الواد[1] إحدى بطون زناتة[2]، وقد كانت هذه الأخيرة قد اعترضت الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي لما وصل إلى هذه الديار بجيوشه، وكان في مقدمتهم بنو عبد الواد وكانت بينهم حروب مشهورة، لكن انصاعوا بعدها لأوامر الموحدين وأصبحوا من أخلص القبائل ولاءا لهم فاتخذوهم أنصارا وحماة[3]. ولما أخلص بنو عبد الواد الطاعة للموحدين أقطعوهم ضواحي من المغرب الأوسط كانت لبني ومانو وبني يلومي[4] فاستقروا منذ ذلك العهد بأحواز تلمسان[5]. وبهذا قويت شوكة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وأنسوا خصب المنطقة وغناها لهم ولمواشيهم[6].

أما الدولة الزيانية فهي نسبة إلى " زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاع الله علي بن يمل بن برجي ابن القاسم ومن القاسم هذا تنسل جمهور بني عبد الواد [7]"،

---

[1]- والأصل عابد الوادي ينظر : (يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر،1428هـ / 2007م، ص 186).

[2]- قبيلة مغربية تتكون من عدة بطون متشعبة، تتواجد في معظمها بالمغرب الأوسط لدرجة أنه نسب إليهم ويعرف بـ " وطن زناتة " ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص3 ؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 30)

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 198؛ عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص-ص 14 – 15.

[4]- بنو ومانو وبنو يلومي من قبائل زناتة وكانت من أوفر بطونها وأشدها شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الأوسط ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 74).

[5]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج7، ص 74، 98 ؛ لخضر عبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 1428هـ / 2007 ص 37.

[6]- لخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص 37.

[7]- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1405هـ / 1985م،ص 109.

ويحرص التنسي في مؤلفه على إثبات شرف بني زيان ونسبتهم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسار في هذا المنحى العديد من المؤرخين[1]، غير أننا نجد من يقف ضد هذا الطرح وعلى رأسهم عبد الرحمن بن خلدون الذي ينكر هذا النسب ويعتبره من التملق للسلاطين وهو في هذا يستشهد بموقف السلطان يغمراسن بن زيان في رده على من رفع نسبه إلى إدريس قائلا: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا نلناها بسيوفنا [2]"،وكما سبقت الإشارة في حديثنا عن إدعاء الأصل الشريف بالنسبة لبني حفص سنجد الأمر نفسه مع سائر دول المغرب وهو الأمر الذي كان لفئة العلماء والكتاب والمؤرخين الدور الكبير في تسجيله وبثه بين العامة.

2– ظروف نشأة الدولة الزيانية:

تتفق معظم المصادر التاريخية في مقدمتها روايات كل من عبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحيى والتنسي حول ظروف وصول بني عبد الواد إلى الحكم وإقامة دولة المغرب الأوسط[3].

فبعد أن تقلص ظل الموحدين بالمغرب الأوسط أيام خلافة ادريس المؤمن ولم يبق لهم نفوذ إلا في مدينة تلمسان حيث كانت بعض قبائل زناتة فد استولت على أغلب النواحي فاحتلت مغراوة ناحية شلف، واستقر بنو راشد في الجبل الذي أصبح يحمل اسمهم[4]، وبنو عبد الواد بدورهم انتهزوا فرصة ضعف الموحدين وما أصاب المغرب الأوسط من فوضى واضطراب

[1] – مثل يحيى بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب للمزيد من التفصيل حول قضية شرف بن زيان انظر ما قدمه محمود بوعياد في مقدمة تحقيق نظم الدر والعقيان، ص 63 وما يليها.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص97.

[3] – بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 24.

[4] – عبد الحميد حاجيات، أبوحمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م، ص 12.

خاصة بسبب ثورة بني غانية، فبسطوا نفوذهم سنة 623 هـ /1226م على نواحي تلمسان بقيادة جابر بن يوسف مستغلين تطور الأوضاع السياسية، فأبو سعيد[1] شقيق المأمون الموحدي كان واليا على تلمسان فاعتقل بعض مشايخ بني عبد الواد فقصده إبراهيم بن اسماعيل الصنهاجي اللمتوني قائد الجند ضمن حامية تلمسان متشفعا فيهم، لكن أبا سعيد لم يأبه له ورد شفاعته، فغضب وثار ما أدى إلى اعتقاله ثم أطلق سراح مشايخ بني عبد الواد، إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تمادى في ردة فعله إذ خرج عن طاعة الموحدين وطمع في إحياء الدولة اللمتونية، لكنه رأى أن هذا الأمر لا يتأتى إلا بعد القضاء النهائي على كبار بني عبد الواد، فحاولوا التحايل عليهم من خلال إعداد وليمة ودعوتهم إليها لكنهم اكتشفوا مكيدته وتوقفوا خارج البلد يأتمرون، ولما بلغه خبر قدومهم خرج إليهم مسرعا فقبضوا عليه ومن معه[2].

فاجتمع بنو عبد الواد تحت قيادة جابر بن يوسف فكانت ولايته أول خطوة نحو إنشاء وإرساء قواعد الدولة وذلك سنة 627 هـ / 1230م مع البقاء تحت دعوة المأمون الموحدي حيث جدد بنو عبد الواد له البيعة ثم في عهد عثمان بن جابر الذي خلف أباه والذي تخلى عن الإمارة لعمه عثمان بن يوسف بعد ستة أشهر من ولايته الذي لم يطل المقام به إذ ثار عليه قومه سنة 631هـ / 1233م لسوء سيرته وظلمه وولوا مكانه ابن عمه أبا عزة بن زيان، فقتل في إحدى الحروب ليقدم بنو عبد الواد لرئاستهم يغمراسن بن زيان سنة 633

[1] – وصفه عبد الرحمن بن خلدون بأنه كان مغفلا ضعيف التدبير ينظر: (العبر، ج7، ص 99).

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص99 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 199 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص 113.

هـ / 1235م[1]، فكان أول من قام بوظيفة الملك وأحيى رسم الخلافة[2]، لتدخل الدولة في مراحل جديدة لإثبات كيانها من جهة والوقوف في وجه الطامعين فيها.

3- التطور السياسي للدولة الزيانية:

في سنة 633هـ / 1236م تزعم بني عبد الواد يغمراسن بن زيان[3]، في وقت بدأ فيه نفوذ الدولة الموحدية يتلاشى تدريجيا عن تلمسان، وتأثيرها يتقلص شيئا فشيئا، مع أنه أبقى الدعاء والخطبة للموحدين على المنابر التلمسانية وذكر خلفائهم على السكة.

وإلى جانب اعتماده في وضع أركان دولته على قبيلة بني عبد الواد فإن يغمراسن بن زيان استعان أيضا ببعض القبائل المغربية والعربية التي تحالفت معه سيما منها التي كانت تقيم بالمغرب الأوسط إذ كان لها دورا كبيرا في ترسيخ أقدام الدولة العبد الوادية وتوسيع رقعتها واستمرار هيبتها واستقرار أوضاعها السياسية والاقتصادية وحتى في سقوطها[4].

وبعد مرحلة التأسيس، بدأت الدولة عبد الوادية تطمح إلى الاستيلاء على المغرب الأوسط كله، وعلى الناحية الشرقية من المغرب الأقصى مما يلي نهر ملوية فكان عهد يغمراسن متجها نحو تحقيق هذه السياسة فخاض الأمير العبد الوادي غمار حروب كثيرة ضد بني مرين وأحلافهم من العرب غربا وضد أولاد منديل وبني توجين شرقا[5].

فدارت معارك عنيفة بين الطرفين منذ 647 هـ / 1249م بوادي ايسلي بإيعاز من الموحدين وهي أول معركة بين الطرفين انهزم فيها يغمراسن وفر إلى تلمسان في سنة 665 هـ /

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 100 ؛ عبد الجليل قريان، التعليم في تلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ / 2011م، ص- ص 49 – 50.

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص 111.

[3] – التنسي، المصدر السابق، ص 115.

[4] – عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص19.

[5] – عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني، ص 13

1267م وبعد إعلان يغمراسن بيعته للخليفة الموحدي أبي دبوس وتحالفه معه ضد بني مرين، فالتقى مع أبي يوسف يعقوب في معركة تعد الأعنف بوادي تلاغ سنة 666 هـ / 1268م وكانت الغلبة لصالح بني مرين.[1]

ومع توالي الهزائم عليه، رأى يغمراسن أن يغير سياسته العدائية ضد بني مرين وأن الأحرى به موادعتهم وعقد الصلح معهم، بل وأوصى ابنه وولي عهده عثمان بن يغمراسن بعدم التعرض لبني مرين أو التحرش بهم والعمل على مسالمتهم وهذا ما أورده ابن خلدون نصا: " أوصي دادا يغمراسن لدادا عثمان فقال يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفود مددهم [...] فإياك واعتماد لقائهم وعليك باللياد بالجدران متى دلفوا إليك وحاول ماستطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم [...] ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك".[2]

يتضح من كلام ابن خلدون أن يغمراسن لم يوص ابنه فحسب، بل ألح في وصيته بعدم التعرض لبني مرين، لكن من جهة أخرى أوصاه بعدم التواني عن مد نفوذ الدولة على حساب الجارة الشرقية، وعلى العموم امتاز عهد يغمراسن بن زيان بنشاط عسكري مكثف بخوضه عددا كبيرا من المعارك وحرصه على تجهيز الجيوش وتزويدها بالأسلحة والمؤن وتحصين المدن ببناء الأسوار والأبراج فالعلاقات مع الإمارات المجاورة كانت في أغلب الأحيان متأزمة نتيجة الصراع القائم بينها تطبيقا لسياساتها التوسعية أو في إطار تحالف ضد دولة معادية[3] .

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط. 1392هـ / 1972م، ص116؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان،1427هـ/2008م، ص191.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص123.

[3]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي، ص188.

وبعد وفاة يغمراسن بن زيان اعتلى عرش الدولة الزيانية ابنه أبو سعيد عثمان سنة 681هـ/ 1283م، عمل هذا الأخير على مسالمة بني مرين عملا بوصية والده، وفي نفس الوقت توجه نحو الجهة الشرقية واستولى على بلاد بني توجين ومغراوة وحاصر مدينة بجاية رغم إعلان بقائه على بيعته وولائه لبني حفص لكن داهم أبا سعيد عثمان الخطر المريني منذ سنة 698هـ وأضحت دولته عرضة للحصارات المرينية المتوالية[1].

وعلى العموم تميزت المرحلة الأولى من الأدوار التي مرّت بها الدولة الزيانية والتي دامت مائة وأربع سنوات أي من قيام الدولة إلى غاية سقوطها في قبضة أبي الحسن المريني وقتله للسلطان العبد الوادي أبي تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو موسى الأول (718-737)هـ/ (1318- 1336)م[2]؛ تميزت هذه المرحلة بضربات موجعة من الجارتين الحفصية والمرينية[3]، لكن من الناحية الحضارية نجح أبو تاشفين في بناء الدولة وتجديد معلمها "فخلّد أثارا لم تكن لمن قبله ... وكان له بالعلم وأهله احتفال... وفد عليه بتلمسان الفقيه العالم المتفنن أبو موسى عمران المشدالي أعرف أهل عصره بمذهب مالك[4] ".

ثم دخلت الدولة في مرحلة الانقطاع وانمحت لمدة أربع سنوات أمام الحصار المريني، لكن الانبعاث وذروة النظام كان مع السلطان أبي حمو موسى الثاني 760هـ/ 1358م إلى غاية سنة 791هـ/ 1389م، وكانت أيامه حافلة بالحروب والاضطرابات ضد الدول المعادية والقبائل المتمردة لكنه لقي الدعم والمناصرة من بعض شيوخ قبائل الذواودة وبني عامر إلى جانب مساعدة بني حفص في استعادة عرشه[5]،خاصة أنه ومنذ تنصيبه على عرش أسلافه

---

[1]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 28.

[2]- بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 32.

[3]- عبد الجليل قربان، التعليم بتلمسان، ص 51.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص-ص 140- 141.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص53؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 34.

اضطر إلى مواجهة الاحتلال المريني لكثير من مدن المغرب الأوسط وبذل لذلك جهودا كبرى والى جانب الدعم الذي لقيه من قبائل بني عامر المعقل نجد أن الظروف كانت ملائمة لتحقيق تلك الانتصارت خاصة انشغال بني مرين بمواجهة الفتن والاضطرابات الناجمة عن ضعف السلاطين المرينيين بعد وفاة أبي عنان وتغلب الوزراء عليهم[1].

لكن المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الزيانية لم تسلم من التدخل الحفصي والمريني في شؤونها وتوجيه سلاطينها حسب أهوائهم وهو ما أثر بشكل مباشر على كيانها وديمومتها إذ سرعان ما دخلت في مرحلة الأفول والاندثار وانفتح الباب على مصرعية أمام الأخطار الخارجية في مقدمتها الخطر المسيحي المتربص.

[1]– عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي، ص238..

المبحث الثالث: نشأة الدولة المرينية بالمغرب الأقصى 668 هـ / 1269م.

1- أصل بني مرين[1]:

بنو مرين فخذ من قبيلة زناتة وذكر صاحب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية نسبهم على الشكل التالي: "مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن بدر بن يجفت بن يصليتن بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن ابراهيم بن شجيج بن واسين بن يصليتن مسري بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحيا بن تمزيت بن ضريس، وهو جالوت ملك البربر، ابن رجيح بن مادغيس الأبتر، بن بر، بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عرب الأصل[2]".

مع الإشارة إلى عدم اتفاق المؤرخين على تسلسل واحد لأجداد المرينيين و لعل مرجع هذا الخلاف إلى أن البعض يذكر الاسم الحقيقي للجد و بعضهم كان يذكر لقبه الذي كان يلقب به بين البربر و قد اشتهر هذا الأمر خاصة في زناتة[3].

ويؤكد اسماعيل بن الأحمر شرف جد بن مرين الأمير عبد الحق ورفع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

---

[1]- أو دولة بني عبد الحق ذلك أن بني وطاس ينتمون بدورهم إلى قبيلة بني مرين، لكن اصطلاح الدولة المرينية أكثر شيوعا، ينظر: (ابن فضل الله العمري، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ضمن كتاب، محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 1420هـ/2000م،ص547؛ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ب.ت، ج5،ص 194

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية ، ص14.

[3]- محمد عيسى الحريري،المرجع السابق،ص53 الاحالة رقم 02.

[4]- ابن الأحمر،روضة النسرين في دولة بن مرين، المطبعة الملكية، الرباط، ط1. 1382هـ / 1962م، ص8 ولنفس المؤلف،بيوتات فاس الكبرى،دار المنصور،الرباط،1972م،ص64؛ وانظر كذلك: محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح: ماريا خيسوس بيفيرا،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ / 1981م، ص- ص 107 – 110.

أما عبد الرحمن بن خلدون فلم يتردد في نسبة مجموع زناتة إلى الأمازيغ وقدم وجودهم بأرض المغرب قبل أن يدخله أي عربي شريف النسب كان أو غير شريف[1].

وبهذا تكون الدولة المرينية قد اشتركت مع الدولتين الحفصية والزيانية في قضية ادعاء النسب الشريف لإضفاء هالة من القداسة على الأسرة الحاكمة.

2-مواطن بني مرين:

تذكر المصادر أن بني مرين كانوا ينزلون بأنعامهم في السباسب والصحاري من قبلة القيروان إلى صحراء بلاد السودان لايعمرون إلا القفار، ولايؤدون لسلطان بدرهم ولا دينار ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان[2]، وكان طائفة من بني مرين يدخلون بلاد المغرب في زمان الصيف فيرعون أنعامهم ويكتالون منه ميرتهم[3]، وهذا ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون بأن بني مرين يسكنون بالقفر[4].

ويذكر محمد بن مرزوق التلمساني أن بني مرين ملكوا من حد بلاد الجريد إلى ناحية المغرب، فامتد ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت وأحواز تلمسان ثم امتد إلى ناحية المغرب وآثروه لسعة أقطاره وكثرة فوائده[5].

فيظهر من تضارب هذه الروايات التنقل الدائم لبني مرين، وهذا يرتبط أساسا بطبيعة حياتهم الرعوية القائمة على البحث عن الماء والكلأ،فمن خلال ما ذكرته المصادر حول نظام

[1] - عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج7، ص221 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص65 من مقدمة التحقيق.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص 25.

[3] - نفسه،ص 25.

[4] - عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج7، ص 222.

[5] - ابن مرزوق،المسند، ص 110.

الحياة في المجتمع المريني القبلي المتنقل لم يتفق المؤرخون على أماكن محددة لإقامة تلك القبائل لكن الواضح أنهم كانوا يقفون على مداخل المغرب الأقصى يراقبون ما يدور به من أحداث[1].

3 – التطور السياسي للدولة المرينية:

لقد كانت رئاسة بني مرين في أول أيام الموحدين لبني عسكر، وكانوا يقطنون الزاب إلى تلمسان، وعندما بدأ عبد المؤمن يكتسح المغرب الأوسط استعان على بني مرين بإخوانهم بني عبد الواد الذين بددوا جموعهم سنة 540هـ / 1145م[2]، فنزلوا جنوبا إلى الصحراء يعيشون عيشة البداوة والترحال وينتقلون خلال الربيع والصيف إلى أعالي ملوية، فقد آثر هذا القبيل ناحية المغرب لسعة أقطاره وكثرة فوائده بما ذكر سابقا.

لقد بدأ ضعف الحكم الموحدي في المغرب الأقصى منذ سنة615هـ/1215م، وتلاحقت بوادر الضعف الحكومي فقد انحسر نفوذ السلطة في المدن خاصة،حيث اعتصم بها الولاة الذين لم يعد لهم نفوذ على البوادي كما اشتعلت الثورات في كثير من الجهات وانعدم الأمن في الطرقات وظهرت المناكر بينما امتنع عامة الشعب عن أداء الضرائب[3].

فتفكير بني مرين في الدخول إلى بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها بصفة نهائية كان سنة 610هـ / 1213م مستغلين الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة الموحدية خاصة تبعات هزيمة معركة العقاب بالأندلس 609هـ / 1212 وهذا ما تذهب إليه معظم المصادر التي أرخت للدولة المرينية[4].

هذا إلى جانب أن بني مرين قد لاقوا كسائر زناتة الرحل مشاكل المجاعة والجذب في الأراضي الصحراوية منذ أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد وبالتالي يعد

---

[1] – محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 5.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 222 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 11.

[3] – محمد المنوني،ورقات،ص11.

[4] – ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص 26 ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص14 .

العامل الاقتصادي من أهم عوامل تأسيس الدولة المرينية[1]، وقد ذكر صاحب الذخيرة السنية تفاصيل هذا الانتقال فقال: " [...] وقصدت مرين نحو المغرب، فنزلوا بالجبل المطل على واد ملوية وهو الجبل الفاصل بين بلاد المغرب وبلاد الصحراء فقاموا به إلى سنة عشر وستمئة، فدخلت طائفة منهم المغرب ليمتاروا على عادتهم، فوجدوا المغرب خاليا قد باد أهله ورجاله، وفني خيله وحماته وأبطاله. وقتلت قبائله وأقياله، قد استشهد الجميع في غزاة العقاب [...] فأقاموا بمكانهم وبعثوا البريد إلى إخوانهم يخبرونهم بحال البلاد وخلائها، وخصبها ونقاية هوائها، وسعة مسارحها ومراعيها وعذوبة مياهها، وكثرة أنهارها، والتفاف أشجارها [...] [2]".

وفي هذا يقول عبد العزيز الملزوزي صاحب أرجوزة نظم السلوك:

فِـي عَـامِ عَـشْـرٍ وستـمـئـة   أَتَـوا إلى الغـربِ من البريـةِ

جاءوا من الصحراءِ والسَّباسِبِ   على ظهورِ الخَيلِ والنَّجَائِبِ[3].

وقد بدأ المرينيون في أعقاب دخولهم إلى المغرب الأقصى حركة انتشار واسعة شملت منطقة الريف القبلي من إقليم تازة، وفضلوا الاستقرار في النواحي المرتفعة من المغرب الأقصى لأنها توفر لهم شيئا من الحماية الطبيعية ومن ناحية أخرى هذه المناطق المرتفعة يشرفون منها على سائر الأرجاء المحيطة بهم فيأمنون من مفاجأة العدو لهم[4].

[1] - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 12.
[2] - ابن أبي زرع الفاسي،الذخيرة السنية، ص 26.
[3] -نفسه، ص 26.
[4] - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 9.

إن بداية التاريخ السياسي للمرينيين هو استعراض لصراع مرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عاما وقد مر هذا الصراع بمراحل متعددة وانتهى بالدخول إلى مراكش عاصمة الموحدين 668هـ / 1269م وإعلان قيام دولة بني مرين[1].

يعتبر الأمير عبد الحق بن محيو أول من أدخل بني مرين إلى المغرب[2]، فهو أبو الملوك من بني مرين وإليه ينتسبون[3] وقد ظل المرينيون طوال ثلاث سنوات متصلة وحتى سنة 613هـ/1216م يوسعون رقعة نفوذهم في المغرب الأقصى ولما استفحل شأنهم حشد الموحدون جيوشهم[4] بقيادة أبي علي بن وانودين، فالتقى الجمعان بمقربة من وادي نكور واستمرت الحرب لأكثر من أربعة أيام، وهزم الموحدون أحلافهم وبالغ بنو مرين في تجريدهم من ملابسهم وفر من نجا منهم إلى فاس مستترا بأوراق نبات معروف عند أهل المغرب بالمشعلة فسميت الموقعة بعام المشعلة[5].

وبعد هذه المعركة تضخمت قوة المرينين إلى درجة كبيرة بما غنموه من أثاث وسلاح وأموال وخيل وعبيد وبغال، لكن سنة 614هـ / 1217م وقع خلاف بين قبائل بني مرين ووقعت مواجهات وحروب طاحنة مع بني عسكر الذين انضموا إلى قبائل عرب رياح التي كانت في ذلك الزمان أقوى قبائل العرب وأكثرها أموالا وخيلا ورجالا، وكانت الموقعة على

---

[1] – محمد ابن الأعرج السليماني ،زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ ،ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية ،الأردن،7رقم الشريط 1966 الحرف ز، الورقة44؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ، ص 10.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص 24

[3] – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 14.

[4] – حيث انضمت العديد من القبائل إلى الجيش الموحدي كمكناسة وتسول والبرانس وسدراتة وهوارة وصنهاجة ولمطة وغيرهم من قبائل فاس وقبائل الرباط ينظر: (ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص – ص 27 – 28.)

[5] – ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص 28 ؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص– ص 11– 12.

مقربة من واد سبو قتل فيها الأمير عبد الحق وابنه إدريس ودفنا بقرية من مكناسة تسمى تافرطاست[1].

تولى أمر بني مرين بعد الأمير عبد الحق ولده أبو سعيد عثمان سنة 614هـ/1217م الذي تركزت جهوده في بسط مزيد من النفوذ على البوادي والضواحي والأرياف وحقق انتصارات كبرى لبني مرين، قتل سنة 637هـ /1239م[2].

فاعترف أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين، فقد غير الخليفة الموحدي سياسته وأسلوبه من المواجهة العسكرية إلى الاسترضاء والتقرب من بني مرين عن طريق المهاداة والمهادنة مثل ما فعله الرشيد الموحدي سنة 637هـ/ 1239م إذ أرسل أحمالا من الكساء الشرقية البديعة المتعددة الألوان لتوزيعها على بني عبد الحق وأشياخ بني مرين[3]، وفي نفس السنة توفي أبو سعيد عثمان وخلفه أخوه أبو معرف بن عبد الحق (637- 642)هـ/ (1232-1244)م الذي سار على سياسة سلفه في مواصلة الجهود السياسية والعسكرية، وبعد الاستلاء على البوادي تحول بنو مرين إلى الاستلاء على المدن والأمصار، وكانت مدينة مكناسة أول قاعدة ملكها بنو مرين في بلاد المغرب[4]، وعلى العموم استمرت مرحلة التأسيس والنشأة من ظهور المرينين سنة 610هـ/ 1213م كما سبقت الإشارة واستمرّت إلى غاية تاريخ دخول مراكش 668هـ/ 1269م ويمكن أن تعدّ هذه الفترة مرحلة انتقالية لم يتأت فيها التأثير المريني وإن لم تخل من أعمال عمرانية وجهادية[5].

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص33؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص15 ؛ محمد عيسى الحريري، ص12.

[2] – محمد عيسى الحريري،المرجع نفسه، ص 13 – 14.

[3] – هوارية بكاي، المرجع السابق، ص– ص 69- 70؛ عبد العزيز لعرج، المباني المرينية، ص 12.

[4] – ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 113؛ عبد العزيز لعرج، المباني المرينية، ص 13.

[5] – الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 21.

أما الحديث عن مرحلة القوة والعظمة، فهي تلك التي شهدت أعظم ملوك بني مرين في مقدمتهم أبو يعقوب يوسف الناصر (685-706هـ/ 1307- 1386م) ثم أبو سعيد عثمان (710- 732هـ/ 1310-1331م)، وإلى جانب فترتي حكم أبي الحسن علي (732- 749هـ/ 1331- 1348م) و ابنه السلطان أبي عنان فارس (749- 759هـ/ 1348-1357م) وقد شهدت هذه الفترة أعظم أجل الأعمال والمنجزات المرينية[1].

فبعد أبي عنان تدخل الدولة في دور الضعف في جميع المجالات[2]،فقد بويع أبو بكر السعيد (759-760هـ/1357-1358م). صبيا صغيرا، وكان أبو عمر تاشفين (762-763هـ/1360-1361م) ضعيف العقل أما أبو زيان محمد (763-767هـ/1361-1365م) فلم يكن له نفوذ يذكر، وبويع أبو زيان الثاني (774-776هـ/1372-1374م)طفلا لم يحتلم بعد، وأدى أبو سعيد عثمان(800-823هـ/1397-1420م) طاعته لبني حفص،وتميزت فترات حكم أولئك السلاطين بالضعف حيناً والتّبعية أحيانا أخرى،نستثني منها فترتي حكم كل من أبي سالم (760-762هـ/1359-1391م) وأبي فارس عبد العزيز (768-774هـ/1366-1372م)3.

ومع نهاية الحكم المريني، تميزت الأوضاع بتعرض العديد من الملوك للحجر من قبل الوزراء والحجاب وتدخل بني الأحمر في السياسة الداخلية للمغرب ووقوع أجزاء كثيرة من البلاد للاحتلال الأجنبي ودخول البلاد في مرحلة الصراعات والمؤامرات على السلطة[4].

[1] - الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص- ص 21- 22 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 30 وما يليها.

[2] - إبراهيم حركات،المرجع نفسه، ص57.

[3] - ابن الأحمر،المصدر روضة النسرين، ص-ص29-38؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص79.

[4] - الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 22 ؛ مريم سكاكو، المرجع السابق، ص 56.

المبحث الرابع: قيام الدولة النصرية بغرناطة.

1- نسب بني نصر:

يرجع أصل ملوك بني الأحمر إلى أرجونة[1]، وهي من حصون قرطبة[2]، وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين محمد بن يوسف بن نصر الذي كان يعرف بالشيخ ويلقب بأبي دبوس[3].

وذكر لسان الدين بن الخطيب نسب بني الأحمر في مواضع مختلفة من مؤلفاته العديدة منها قوله: " محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي من ولد سعد بن عبادة سيد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4] .

وقد أشادت مختلف المصادر التاريخية بأصلهم الذي يعود إلى سيد الأنصار كما أشادت بالخصال الحميدة التي عرفوا بها، إذ كانوا يعدون من خيار الأمة الأندلسية، سيما أنهم ظهروا في فترة تعد من أصعب الفترات التي مرت بها الأندلس، فحاولوا جمع الأندلسين على كلمة واحدة ومجاهدة الممالك النصرانية[5]، لكن هذا الأمر لم يكن بالسهل أمام التحديات التي عرفتها المنطقة على عدة جبهات.

---

[1]- أرجونة: وصفها لسان الدين بن الخطيب بطيبها ووفرة غلتها ينظر:(الحميري، ص26 ؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ / 1980م، ص 42)

[2]- قرطبة :بضم أوله وسكون ثانيه قاعدة الأندلس وأم مدائنها، تقع على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة: (الحميري ، المصدر السابق، ص – ص 456 - 458)

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج4، ص 218 ؛ أبو العباس المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس،دار صادر،بيروت ،1408هـ/1988م،ج1، ص 447.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس 1316هـ ،ص115 ؛ ولنفس المؤلف، اللمحة البدرية، ص 33.

[5]- عبد القادر بوحسون، الأندلس على عهد بني الأحمر،النشر الجامعي الجديد،تلمسان،2017هـ/1438م، ص 34.

ومدينة غرناطة هي مقر الحكم والسلاطين وتعرف بالحمراء وهو اسم قديم ورد ذكره لأول مرة في أيام ثورة المولدين التي قام بها عمر بن حفصون[1]، وهذا الاسم راجع إلى لون تربة الهضاب التي بنيت عليها، أما تسمية ملوك بني الأحمر فترجع إلى شقرة في جدهم وقد اتخذ هؤلاء الملوك من اللون الأحمر شعارا لهم في قصورهم وأعلامهم وقبابهم وخيامهم وحتى في الورق الذي يكتبون عليه رسائلهم السلطانية[2].

تمثل الدولة النصرية آخر عهد المسلمين بإسبانيا، فقد انحصر ملكها في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا حيث جبال البشرات وجبال شلير أو جبال الثلج (SierraNevada)[3].

[1] – هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش القس، أسلم جده جعفر في عهد الربضي، فعمر سليل أسرة مولدة من أصل نصراني قوطي، اتخذ من جبل ببشر (Bobastro) حصنا له ودامت ثورته (267-305)هـ/ (880- 917) م ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون ، العبر،ج4، ص 140؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977م، المجلد 4، ص38.)

[2] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 227.

[3] – المرجع نفسه، ص 224؛انظر الملحق 03.

2- ظروف قيام دولة بن نصر:

قضت الدولة الموحدية جزءا كبيرا من تاريخها، واستنزفت الكثير من قوتها العسكرية والمالية في مواجهة الثائرين والخارجين عن سلطانها في المغرب والأندلس، لكن تعتبر ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي سنة 625 هـ /1228 م مقدمة لمرحلة جديدة من مراحل التاريخ الأندلسي[1]؛ فقد عمل على إنهاء سلطان الموحدين الذين عجزوا على حماية الأندلس والوقوف في وجه الأخطار ودرء هجومات إسبانيا النصرانية التي انتهت بدخول الجيش القشتالي إلى مدينة قرطبة سنة 633 هـ / 1236م، ثم لقيت العديد من المدن الأندلسية وقواعدها نفس المصير المؤلم[2].

كان ابن هود من أعقاب بني هود من ملوك الطوائف[3]، حيث تقلد أسلافه القدماء حكم البلاد الشرقية الأندلسية فطمع محمد بن يوسف بن هود الجذامي القيام بحكمها مجددا وتسمى بأمير المسالمين ومعز الدين وتلقب بالمتوكل على الله فطاعت له مرسية والمرية وغرناطة ومالقة وخلع طاعة الموحدين سنة 626هـ / 1229م[4].

وفي سنة 629 هـ/1232م وصل إرسال الخليفة العباسي من بغداد إلى ابن هود وسماه مجاهد الدين سيف أمير المؤمنين وقرئ بمصلى غرناطة القديم وكانت الراية السوداء بإزاء المنبر وابن هود بزي السواد[5].

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون ، العبر، ج4، ص 215 ؛ عبد الله عنان، تراجم أندلسية، ص 259.

[2] - عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 515.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون ، العبر، ج4، ص 216.

[4] - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص- ص 278؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 90 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 205.

[5] - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 294.

لكن ابن هود لم يكن وحده في الميدان إذ كان ينافسه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر والذي تمتعت أسرته بالوجاهة في ناحية أرجونة[1].

فأمام فزع ورعب الأندلس لتخلي الموحدين عنهم ولعجزهم عن رد غزوات النصارى، بل سخطهم وكراهيتهم للخلفاء الموحدين في أواخر دولتهم، بسبب نزاع هؤلاء الخلفاء على عرش الخلافة بمراكش واستعانتهم بالممالك النصرانية ضد بعضهم البعض مقابل التنازل للنصارى عن بعض البلاد والحصون الأندلسية[2].

وإلى جانب هذه الظروف الأليمة من تاريخ المسلمين في الأندلس والتي تعد سبب أساسيا في نشأة دولة بني الأحمر في غرناطة، نجد سببا آخر ساعد في ذلك وهو أن القواعد والثغور الجنوبية تعد آخر الحواجز الطبيعية بين اسبانيا النصرانية والأندلس، وكانت أبعد المناطق عن العدو وأمنعها، وكانت في الوقت أقربها إلى الضفة الأخرى من البحر، حيث تقوم دول إسلامية شقيقة تستمد الغوث والعون منها وقت الخطر الداهم[3].

هذه أهم ملامح الحياة السياسية التي طبعت المنطقة عقب سقوط الدولة الموحدية والتي غلب عليها التشرذم والصراع والتي أفضت بعد قرون إلى وقوع المنطقة في يد قوى مسيحية عرفت كيف تقلب الموازين لصالحها.

[1] – عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 515 ؛ هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 230.

[2] – هشام أبو رميلة، المرجع نفسه ،ص 230، 206.

[3] – محمد عبد الله عنان، تراجم أندلسية، ص 259.

الفصل الثاني:الأوضاع الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13 و15)م

المبحث الأول:: العوامل المؤثرة في اقتصاد بلاد المغرب الإسلامي.

1 - العوامل السياسية.
2 - دور القبائل العربية والبربرية
3 - الجوائح والكوارث الطبيعية

المبحث الثاني:الظروف الاقتصادية لبلاد المغرب الإسلامي.

1 - الزراعة.
2 - الحرف والصنائع.
3 - التجارة.

كان من نتائج وصول الإسلام إلى المغرب تنشيط الحركة الاقتصادية وتحريك تيارات جديدة ربطته بالمشرق وأوروبا وإفريقيا وكانت هذه الوحدة الاقتصادية أساسا لوحدة ثقافية[1].

وقد شكلت الموارد المالية لمختلف النشاطات الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مصدر تمويل المشاريع الحضارية التي حرص سلاطين تلك الدول على تجسيدها في المناطق التي يحكمونها، ومن بينها الاهتمام بالعلم وتوفير متطلبات أهله ومكافأة المبدعين منهم وتكريم موتاهم. وشمل الاقتصاد في المنطقة ثلاث قطاعات رئيسية هي الزراعة والصناعة والتجارة والتي تأثرت بدورها بعدة عوامل والتي نحاول توضيحها في هذا الفصل.

المبحث الأول: العوامل المؤثرة في اقتصاد بلاد المغرب الإسلامي.

تأثر الواقع الاقتصادي لبلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الثلاث الأخيرة من العصر الوسيط لعدة عوامل في مقدمتها عدم الاستقرار السياسي والأمني وآثار الصراع العسكري بين الدول المغاربية وانعكاسات الجوائح الطبيعية مثل الجفاف والجراد والأمراض الوبائية مثل الطاعون إلى جانب أدوار القبائل العربية والبربرية في المنطقة[2]، وعلى هذا الأساس يجب التفريق بين ما تمتعت به البلاد من مؤهلات طبيعية وبين إمكانية استغلالها في ظل الظروف السائدة.

[1] – محمد رزوق، التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تأصيل تاريخي: ضمن دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق 1412هـ/1991م، ص72.

[2] – عبيد بوداود، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين/13-15م ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص211؛ إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص37.

1. العوامل السياسية:

لقد كانت كل دولة من دول المغرب الإسلامي تدّعِي حق وراثة الدولة الموحدية، فسعت كل منها إلى الاستحواذ على أكبر قسم منها وتوسيعه إلى حدودٍ تأمن منها خطر جارها، وبالتالي غلب الطابع التوسعي على سياسات الدول المغاربية بشكل جلي لفترات طويلة[1]، وقد خلف هذا الصراع حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة المغرب الإسلامي برمتها، وأهدر طاقات كبيرة كان من الأجدر استغلالها في مواجهة العدو النصراني[2]. هذا من جهة ومن جهة ثانية، كان المغرب الأوسط الأكثر تأثرا من هذا الوضع بسبب موقعه المتوسط بين هذه القوى المتصارعة وفي نفس الوقت قلة أنصار الدولة العبد وادية والتفوق العددي لكل من بني حفص وبني مرين ما جعلها تعتمد على عناصر أجنبية فكانت قوتها العسكرية غير متناسقة عنصريا وغير ضخمة عدديا[3].

فالحروب كانت لها تأثيرات اقتصادية واجتماعية فاقت أحيانا مثيلاتها الناجمة عن الجوائح والكوارث الطبيعية[4]، ونستشف ذلك التأثير من خلال استعراض تلك العلاقات التي جمعت بين دول المغرب الإسلامي .

فكما سبقت الإشارة غلب الطابع التوسعي على سياسات الدول المغاربية بشكل جلي لفترات طويلة[5] لكن لم تتمكن أية دولة من فرض سيطرتها المطلقة والمستمرة على بقية

---

[1] – عاشور بو شامة، المرجع السابق، ص– ص 125– 126.

[2] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13–15م)، دار الغرب وهران، 1424هـ/2003م ،ص156.

[3] – أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنين (7و8هـ)، مطبعة ربانيت، الرباط، 1427هـ / 2006م، ج4، ص43؛ بوزياني الدراجي، نظم الحكم، ص27.

[4] – الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 24.

[5] – عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص–ص 125–126؛ خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633– 681هـ/ 1235– 1282م، مطبعة R.N تلمسان، 1426هـ/ 2005م، ص85.

الدول بسبب توازن القوى[1]، إلا أن هذا الصراع خلف حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة المغرب الإسلامي برمتها، وأهدر طاقات كبيرة كان من الأجدر استغلالها في مواجهة العدو النصراني[2]، الذي تصاعد خطره على الأندلس أولا ثم السّواحل المغربية واتجهت الدول الأوروبية نحو استكمال وحدتها السياسية وبدأت تسودها مظاهر الحضارة التي تأثر بها الإفرنج عن طريق الاحتكاك بأهل الأندلس أو بالمسلمين في الشرق وخلال الحروب الصليبية[3]، بينما اتجه المغرب نحو التجزئة السياسية ومالها من آثار وخيمة على العلاقات بين دوله.

فبالنسبة للعلاقات الزيانية- الحفصية غلب عليها الصراع والتنافس للاستحواذ على أكبر قسم من الدولة الموحدية[4]، فيغمراسن بن زيان وبعد إرساء إمارته على أسس متينة، وتنظيم شؤون الدولة أصبح يصبو إلى توسيعها شرقا وغربا وفي نفس الوقت كان أبو زكريا الحفصي بعد إعلان انفصاله عن الأسرة المؤمنية قد بسط نفوذه على متيجة والجزائر ومنطقة شلف[5]، واستمرت الحملات العسكرية الحفصية على تلمسان في عهود خلفائه خاصة عهد أبي أبي فارس عبد العزيز الحفصي[6].

---

[1]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص156.

[2]- عبيد بوداود، المرجع نفسه، ص 156؛ Hajiat Abde Lhamid, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyanide Abou Hammou Mousa II760-91/1359-89, édition Algérie, Errached, 1430/2009.p71.

[3]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398هـ/1978م، مج2، ص 7.

[4]- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1426هـ/2005م، ص 19.

[5]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي، ص 186.

[6]- ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية، ص192؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص155.

والجدير بالذكر أن تدخلات بني حفص لم تقف عند التدخل العسكري فحسب، وإنما عملوا على تولية حكام يدينون لهم بالولاء على عرش تلمسان[1]، ومن هنا نفهم أن الهدف الحقيقي للتدخلات الحفصية هو الحدّ من شوكة الدولة الزيانية وتنصيب من يرضونه من أمرائها على العرش، والإطاحة بكل من علا شأنه قوي نفوذه وأصبح خطرا على كيانهم[2]، وفي نفس الوقت رغبة الحفصيين في إقامة حاجز بين المغرب الأقصى وإفريقية وهو ما يفسر مساعدتهم لأحد أمراء بني زيان لإحياء إمارة أجداده بتلمسان إذ أن تعيين أبي حمو موسى على رأس الحركة نحو المغرب الأوسط بدعوى إعادته إلى عرش أجداده كان لأسباب سياسية واضحة من قبيل اكتساب الشرعية في إطار مشروعهم لوقف التوسع المريني في إفريقية[3]، هذا الأخير الذي قضت الدولة الزيانية دهرا طويلا في مقاومته إذ هدد كيانها في فترات عديدة[4]، وما الحملات العسكرية التي سيرها بنو مرين باتجاهها إلا دليل على اهتمامهم بتلمسان وتصميمهم على الاستيلاء عليها[5]، لما لها من مكانة إستراتيجية تتماشى والأهداف المرينية[6].

فبذل يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م) جهده لاقتحام أسوار تلمسان وباءت محاولاته الخمس سنوات 689هـ/1290م و695هـ/1296م

---

[1]- التنسي، المصدر السابق،ص 243.

[2]- عبد الحميد حاجيات: "تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقيان لأبي عبد الله التنسي المتوفى سنة 899هـ/1494م" في مجلة: **التاريخ**، يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد التاسع، الجزائر، 1400هـ/ 1980م، ص 5.

[3]- عبد الحميد حاجيات: "أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه" في مجلة: **تاريخ وحضارة المغرب**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الجزائر، العدد الخامس، الجزائر، 1388هـ/1968م، ص11.

[4]- عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة الأدارسة،ص 5.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص 27.

[6]- معروف بلحاج: "مدينة منصورة الأثرية من خلال المصادر التاريخية" في حولية: **المؤرخ**، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد الخامس، جوان، 1426هـ/2005م، الجزائر ص65.

و696هـ/1297م وسنة 697هـ/1298م والأعنف سنة 698هـ/1299م[1] بالفشل رغم ما لحق أهل تلمسان من الأذى والجوع فغالبا ما يتبع تلك الحملات التخريب والنهب والحصار واقتحام للمدن[2].

وكما سبقت الإشارة إلى أن حملة 698هـ/1299م كانت الأعنف فإنها أيضا مقدمة لما يعرف بالحصار الطويل الذي كانت آثاره وخيمة على سكان تلمسان إذ دام أكثر من ثمان سنين "اضطروا إلى أكل الجيف... وخرّبوا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق..."[3].

والأدهى من ذلك تراجع مكانة تلمسان وانتقالها إلى (المحلة منصورة) التي شيدها يوسف بن يعقوب لتضييق الخناق على تلمسان[4] أولا ثم راحة الجيوش المرينية[5]، وبالغ في إحكام الحصار الذي لم ينته إلا بوفاته[6] وقد وصفت المصادر خروج أهل تلمسان من الحصار كأنما بعثوا من القبور وخرجوا للنشور وكتبوا على سكتهم "**ما أقرب فرج الله**"و أسسوا ملكهم من جديد[7].

وتوالت الحملات المرينية طيلة القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ضد الدولة الزيانية حتى عد هذا الأخير قرن حروب بين الدولتين[8]، وأصبحت في مراحل لاحقة أكثر خطورة إذ لم يعد يقتصر ضررها على النّهب والتخريب وإنما اختفاء كيان الدولة ذاتها سيما

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ،ج7، ص12.

[2]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 158.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص 128.

[4]- نفسه، ج7،ص 127.

[5]- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1406هـ/ 1986م، ص 27.

[6]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص387؛ معروف بلحاج، المرجع السابق، ص66.

[7]- ابن الأعرج،المصدر السابق، الورقة 44.

[8]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 160

حملة أبي الحسن المريني بداية من سنة 735هـ/1335م والتي بدأها بالسيطرة على المدن الساحلية حتى وهران، ودخلت في طاعته المنطقة الشرقية وختمها بحصار تلمسان، فاتبع أسلوب عمه حيث أعاد تعمير المنصورة لاستقرار جيوشه كما استعمل وسائل مختلفة كحجارة المنجنيق وكيزان النفط الموقدة والأبراج الاصطناعية ووسائل الردم لتسوية الخنادق المحيطة بالأسوار...[1]

لكن ما تميز به هذا السلطان هو عفوه عن أهل تلمسان ومعاملته الحسنة لأمراء بني عبد الواد وفرسانهم وسعيه لكسبهم واستخدامهم لتحقيق مشاريعه[2].

وتمكن أبو الحسن المريني من الاستيلاء على تلمسان سنة 737هـ/1337م، وواصل سيره نحو إفريقية، وترك ابنه أبا عنان فارس في تلمسان وعهد إليه قيادتها لحين رجوعه، لكن الانتصار الذي حققه أبو الحسن لم يدم طويلا بسبب الانقسامات التي ظهرت في صفه ولم يبق أمامه إلا الرجوع إلى مقر حكمه لاستعادة عرشه الذي ضاع منه لحساب ابنه أبي عنان[3]، لكن لكن طريق العودة كانت أصعب من تلك التي قدِم فيها إلى إفريقية[4].

---

[1]- أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص-ص 26-27.

[2]- ابن مرزوق التلمساني، المسند ،ص 192؛ التنسي، المصدر السابق، ص 149؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ص 21.

[3]- روبار برونشيفك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1،ص-ص 196-201.

[4]- وهنا يطرح سؤال نفسه بإلحاح وهو: لماذا عاد أبو الحسن بحرا في فصل غير مناسب؟ هل بسبب الوباء، أو بسبب عدم أمن الطريق من القبائل والعناصر المعارضة؟ ينظر: (أحمد عزاوي: المرجع السابق، ج2،ص 30)؛ بينما تذهب بعض المصادر إلى أن أبا عنان بعث إلى ولاة بجاية وقسنطينة وأخذ عليهم العهود أن يمنعوا أباه من الجواز إلى المغرب فلما سد على والده الطريق في البر ركب البحر في أساطيل ما يعني أن صعوبة عودته برا كانت مؤكدة ينظر: (لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة،1400هـ/1980م.، ص107؛ أبو عبد الله محمد ابن الشماع، الأدلة البينة ،ص99).

وخضع المغرب الأوسط بكامله لسلطة بني مرين من جديد عقب حملة أبي عنان 753هـ/1352م واندثرت الدولة الزيانية من جديد[1]، وبعده تأتي محاولة أبي سالم إبراهيم ابن أبي الحسن سنة 761هـ/1360م وآخر محاولة من حيث الأهمية كانت سنة 771هـ/1373م، في عهد أبي فارس عبد العزيز ودام استيلاءه على تلمسان لمدة سنتين، إلى جانب محاولات أخرى بذل سلاطين بني زيان ما في وسعهم لمواجهتها والمحافظة على دولتهم ومكتسباتهم.

ثم إن ضعف الدولة المرينية في فترات لاحقة لم يوقف تدخلها في شؤون المغرب الأوسط واتخذ أساليب أخرى من خلال اللجوء إلى الدسائس والمؤامرات وإدخال البيت الزياني في صراعات[2] والهدف ضمان التبعية والخضوع ولو اسميا فالأزمة العامة التي كان يمر بها المغرب انطلاقا من وفاة السلطان أبي عنان المريني سنة 760هـ/1358م و تكالب الاسبان والبرتغاليين على الشواطئ المغربية و عجز الدولة المرينية عن القيام بفريضة الجهاد، ساعد على ظهور الزوايا على رأس الحركة الجهادية لمقاومة الغزو الأيبيري وتتلخص مظاهر الأزمة في تفكك العصبية الزناتية التي اعتمد عليها المرينيون في الوصول إلى الحكم وتفشي الروح الانقسامية داخل الأسرة الحاكمة ،وصراع الأمراء على السلطة وما ترتب عنه من حروب أهلية انعكست على الوضع الاقتصادي و المالي،المتميز بضعف الإنتاج و انهيار عائدات بيت المال و فقدان الدولة لرقابتها على تجارة القوافل.[3]

فخلاصة القول هي أن الواقع التاريخي لبلاد المغرب خلال القرون السابع و الثامن والتاسع للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر للميلاد يثبت أنها لم تعرف معنى للاستقرار السياسي وأنها ظلت عرضة للصراعات والحروب والتدخلات العسكرية بين دولها.

[1]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف،ص 161.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص 180؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1، ص 66.

[3]- محمد عمراني، المرجع السابق، ص131.

2. دور القبائل العربية والبربرية:

تميزت بلاد المغرب بظاهرة اجتماعية بارزة أثرت في مسار تطورها واستقرارها وتتمثل تلك الظاهرة في كثرة القبائل وتباينها وتعدد العصبيات، فتاريخ المغرب هو تاريخ القبائل والقبيلة لا تعرف سلطانا خارج نطاقها، ولا ترقى لفهم مسألة الدولة[1]، في حين أن الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها على حد قول عبد الرحمن بن خلدون[2]، كما أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة بسبب اختلاف الآراء والأهواء[3] .

وقد عرف ابن تومرت هذه الحقيقة فوضع نظاما حفظ به وحدة قبائل الموحدين وأبقت تلك القبائل على وحدتها طوال عصر ازدهار الدولة، بحيث كان لتلك القبائل أثر كبير في توجيه الحياة الاقتصادية بالمنطقة من حيث الاهتمام بتنمية الثروة الحيوانية، ولعل استحداث ابن تومرت التشكيل السياسي الجديد بحيث نظم ورتب جميع أفراد الدولة في طبقات متباينة وهو ما ساعد في إرساء تنظيم قبلي محكم يسمح يضيط تحركاتها وتوجيهها بما يخدم صالح الدولة[4].

ولما كانت تلك القبائل أقل رضوخا للسلطة السياسية القائمة، نظرا لتعودها على حياة الترحال مند عدة أجيال وكانت أقل إقبالا على النشاط الزراعي، وبالمقابل ترفض دفع ما عليها من مغارم للسلطة القائمة، وكثيرا ما تسببت في حروب في منطقة المغرب الإسلامي حتى أن بعض دولة استعملت تلك القبائل لضرب استقرار بعضها البعض[5].

[1] - حورية سكاكو، التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (06-10)هـ/ (12- 16) م، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن ، ط1، 1437هـ/ 2016م، ص 47.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة، ص 176.

[3] - المصدر نفسه، ص 175.

[4] - حورية سكاكو، المرجع السابق، ص 48.

[5] - عبيد بوداود، الوقف، ص 217.

وفي نفس الوقت محاولة توسيع النفوذ من خلال تلك القبائل التي كان لها أدوار حربية في المنطقة إلى جانب استحواذها على مساحات شاسعة زمن الانهيار الموحدي ومثال ذلك ما حرص عليه أمراء بني مرين من مصاهرة رؤساء تلك القبائل ووجهائها إذ كان أفضل الوسائل لاصطناعهم ومنع تمرداتهم وغاراتهم في المجالات التي اعتادوا التنقل فيها[1]، وأحيانا تلجأ الدولة إلى فرض الضرائب أو التنازل عن مناطق محددة في سبيل استمالة شيوخ بعض القبائل[2].

فقد اعتمد حكام هذه الدول على المشيخة لمواجهة الأخطار المحدقة بهم والمجالس العلمية للتباهي بها، وأخذوا يقربون إليهم أشهر العلماء والفقهاء وينظمونهم في تلك المجالس العلمية،وتطورت الأوضاع السياسية في المنطقة وامتازت على الخصوص بتفاقم خطر الغارات الأجنبية على السواحل وتزايد أهمية الدور الذي أخذت تلعبه قبائل العرب المتمركزة في مختلف المناطق، فيما كان ينشأ بين دول المغرب من نزاعات وفتن مما دفع الحكام إلى العمل على اكتساب موالاة بعض هذه القبائل وتحالفها وإلحاق أشياخها والممثلين عنها في المجالس التي كانت تضم أعيان دولتهم ومشايخها[3].

فعلى سبيل المثال عمل الحفصيون في افريقية على اصطناع بني سليم حيث"استظهر بهم السلطان على شأنه،و أنزلهم بساح القيروان،و أجزل لهم الصلات والعوائد."[4]فاستطاع الحفصيون السيطرة على أمن الدولة من عيث القبائل العربية خاصة في فترات السلاطين الأقوياء حيث استكانت تلك القبائل لقوة السلطة لكن خطرها ظل حاضرا في البوادي في فترات الضعف و الانقسام[5].

---

[1] – لطيف محماد، المرجع السابق، ص– ص 19– 20.

[2] – الحسين بو لقطيب، المرجع السابق، ص 108.

[3] – عبد الحميد حاجيات،مبدأ الشورى، ص 96.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج6، ص97.

[5] – مريم محمد عبد الله جبودة، المرجع السابق، ص45.

كما عرفت هذه الفترة تغيرات اجتماعية تمثلت في تحركات الأعراب و القبائل الرحل وهو ما كان له أثره من الناحية الاقتصادية فنزح العمران إلى السواحل بعيدا عن تلك العناصر وهذا ما يفسر ضعف النشاط الاقتصادي في مدن كثيرة من الداخل لفائدة الموانئ التي أخذت تولي وجهها شطر البلاد الأوروبية في علاقاتها السياسية والاقتصادية وذلك على حساب العلاقات التي كانت دائما متينة بين الشمال وما وراء الصحراء و المشرق الإسلامي[1].

3. الجوائح والكوارث الطبيعية:

لقد كانت الجوائح والكوارث الطبيعية من الآفات المألوفة خلال العصر الوسيط، ونظرا لما كان يترتب عنها من مشاكل اقتصادية واجتماعية فإن الفقهاء حاولوا أن يصوغوا لها تعريفا مدققا ومضبوطا يساعد على حل تلك المشاكل من جهة ويمنع من جهة أخرى استغلال الغموض المحيط بها للتهرب من الوفاء بعدد من الالتزامات الاجتماعية والمالية[2].

فالجوائح تختلف باختلاف مسبباتها من جهة ونوعية القطاعات التي تنزل بها من جهة ثانية لسيما القطاعات الإنتاجية من فلاحة وحرف وتجارة، وفي الوقت ذاته فإن الإنسان نفسه معرض لمثل هذه الجوائح وهي التي اصطلح الناس عادة على تسميتها بالأوبئة والأمراض الخطيرة الطواعن والسل والجذام[3].

وكما سبقت الإشارة إلى أن حملة 698هـ/1299م كانت أعنف حملة لبني مرين ضد تلمسان فقد كانت مقدمة لما يعرف بالحصار الطويل الذي كانت آثاره وخيمة على سكان

---

[1]- عبد الله حمادي، المرجع السابق،ص112.

[2]- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 23 ؛ للتفصيل حول مفهوم المجاعة والجائحة ينظر: سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري- قسنطينة-، 1430هـ/2009م، ص- ص 15-24.

[3]- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 24.

تلمسان إذ دام أكثر من ثمان سنين "اضطروا إلى أكل الجيف... وخرّبوا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق..."[1].

ويعد طاعون سنة 749هـ/1348م من أعظم الأوبئة التي عرفتها البشرية خلال العصور الوسطى وقد انتشر انتشارا سريعا في أغلب جهات العالم بما فيها المغرب الإسلامي عن طريق حركة التجارة العالمية ورحلات الحج،واستمر في حصد ضحاياه إلى حدود سنة 751هـ/1350م[2].

وقد توفي عدد كبير من السكان حسب معظم المصادر التي ذكرته ف "الطاعون الجارف ذهب بالأعيان والجند وجميع المشيخة"[3].

وبالتالي يلاحظ أن الأمراض والأوبئة المختلفة التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي كان لها تأثير مباشر في رسم الواقع الاقتصادي للمنطقة.

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 128.

[2]- سمية مزدور،المرجع السابق،ص-ص139-140.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون،التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر،2007م/1428 هـ، ص55؛ انظر كذلك: ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1429هـ/2008م، ص187.

المبحث الثاني: الظروف الاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي.

اعتمد سكان المغرب اعتمادا كبيرا على الزراعة، لكن من أهم المشاكل التي استعصت على أهل المنطقة قضية نظام الأراضي حيث اختلف الفقهاء في حكم أرض المغرب هل هي عشرية أو خراجية صلحية أو خراجية عنوية أو مختلطة[1].

ويبدو أن الانطلاق من الرؤية الفقهية هي الطريقة الأمثل لفهم نظام ملكية الأرض لارتباطها الشديد بالفتوحات الإسلامية، حيث أن توسع الدولة الإسلامية نتج عنه بالضرورة التفكير في تنظيم الأراضي المفتوحة على أساس معطيات دينية وسياسية واقتصادية[2]، ومن هنا يمكن القول أن الوضع الشرعي لأرض الأندلس والمغرب يتبين من سير الفتوح الإسلامية بها خاصة من خلال النصوص التاريخية أن معظم البربر مالوا إلى المسلمين الفاتحين وتعاونوا مع جند الفتح وبالتالي وجوب الابتعاد على النظرة السطحية لسير الفتح في بلاد المغرب[3].

فمن جهة وضعية الأرض وطبيعة التنظيمات الفقهية التي تؤطرها له تأثير على النشاط الفلاحي كما أن طريقة توزيع ملكية العقار الفلاحي له كذلك انعكاس على توزيع الإنتاج والثروة العائدة من خلاله ومن جهة ثانية ورغم تميز النشاط الفلاحي في هذه المرحلة التاريخية بالازدهار من خلال ما يظهر من وصف الرحالة والجغرافيين إلا أن الوضع لم يحض بالاستمرارية لعدة أسباب طبيعية وبشرية إضافة إلى الأزمات السياسية[4].

---

[1]- عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1424هـ/2003م، ص129.

[2]- عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغرب الأوسط والأقصى من القرن 6هـ-9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة وهران، 1431هـ/ 2010م، ص155.

[3]- يحي أبو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (238- 488)هـ/(852-1095)م، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1421هـ/ 2000 م، ص- ص 14- 22.

[4]- عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 177.

فقد ترتب عن انقسام الدولة الموحدية انقسام اقتصادها بين الدول التي قامت على أنقاضها وأصبحت كل منها تستحوذ على جزء من علاقاتها الاقتصادية فتحولت العلاقات الاقتصادية الداخلية بين أقاليم الدولة الموحدية إلى علاقات خارجية بين دول حديثة النشأة[1].

وقد شكلت الفلاحة المورد الاقتصادي الأساس للغالبية العظمى خلال العصر الوسيط، ولما كانت ممارسة الفلاحة تتم خارج أسوار المدن وفي البادية فقد كانت الحروب والغارات أهم مشكل عانى منه النشاط الفلاحي خلال هذه المرحلة فقد كانت سياسة النسف والرعي والعيث وإفساد الزروع وحرق المحاصيل ومطاردة الفلاحين وتهجيرهم من مواطنهم وإلزام غيرهم بأداء الإتاوات هي ما دعا إليه الأمراء في كثير من الأحيان رغم حرص كتب الأحكام على نصحهم بعكس ذلك[2].

وتذهب العديد من المصادر إلى أن الفترة التي أعقبت هزيمة الموحدين في معركة العقاب بالأندلس 609هـ/1212م اتسمت بكثرة الحروب والفتن مع ما رافقها من ضروب الغضب والاستيلاء والتعدي واقتحام للمدن فكان الفلاح أول وأكبر المتضررين منها[3] ،جهة أخرى ذهب عبد الرحمن بن خلدون إلى أن الوجوه الطبيعية للمعاش هي الفلاحة والصناعة والتجارة[4]، ونجد هذه القطاعات تدخل في بناء اقتصاد كل من الدول المغربية التي ورثت الدولة الموحدية ولكل منها مميزاتها نفصلها على الشكل التالي:

---

[1]- عاشور بوشامة،المرجع السابق،ص290.

[2]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني609-369هـ/1212-1465م، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 1432 هـ/2010م، ص-ص229-230.

[3]- نفسه، ص230.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 388.

1- المغرب الأدنى:

لقد كان اقتصاد افريقية في العصر الوسيط مرتكزا على النشاط الزراعي والرعوي[1]، وشهدت الزراعة على عهد الحفصيين جهودا عظيمة خاصة وأن مدينة تونس لا يوجد بها أنهار ولا عيون، فكانت تعاني من مشاكل الري التي تؤدي إلى تعطيل مساحات شاسعة من الأراضي[2]، فلجأوا إلى وضع قنوات وجداول تجري فوق الأرض أو بواسطة مجار مبنية بالحجارة توزع المياه التي تنبع من عين أو بئر وكانت الآبار هي التي تلبي حاجات الري والاستهلاك العائلي لقلة الأنهار الدائمة التدفق في المنطقة وقد لقي هذا الجانب عناية سلاطين تونس الحفصية خصوصا أمام تزايد عدد السكان[3].

كما اشتهرت ضاحية القيروان بالجفاف وقلة المياه وهو ما جعل الولاة منذ البداية يتجهون نحو إنشاء الصهاريج لخزن مياه الأمطار والسيول ،وفي هذا الإطار نشير إلى الاختلاف بين الدارسين حول قيام الفاتح عقبة بن نافع باختيار مكان بهذه المواصفات لبناء مسجده ومقر حكمه وهو ما استبعده موسى لقبال[4] إذ كيف يشيد المسجد ومقر الحكم في مكان ليس به ماء للشرب أو الوضوء؟.

لقد كان للفلاحة في العهد الحفصي دور مهم في تنشيط التجارة والحرف وذلك بما توفره من مواد صالحة للتبادل من جهة والتصنيع من جهة أخرى مثل الصوف والجلد والحبوب...لكنها كانت قطاعا ثانويا بالنسبة للسكان الحضر وذلك لعدة أسباب منها عدم توفر الأمن الذي كان يتسبب في عدم إمكانية الاستغلال المنظم والمتواصل [5].

---

[1]- روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص183.
[2]- جمبلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص 113.
[3]- روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 218؛ عبيد بوداود، الوقف، ص183.
[4]- خاصة مع ما ذكره حسن حسني عبد الوهاب للمزيد من التفصيل: (موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص31.)
[5]- إبراهيم جدلة،المرجع السابق،ص81.

وتتمثل أهم المنتجات الفلاحية في البلاد التونسية في الحبوب كالقمح و الشعير والذرة والأشجار المثمرة كالزيتون والنخيل والكروم والفواكه المختلفة التي تغرس على المناطق الواقعة على شواطئ البحر المتوسط[1].

وقد وصفت المصادر الجغرافية الرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به العديد من المدن في المغرب الأدنى من ذلك ما ذكره البكري عن مدينة سوسة:"و بسوسة أسواق كثيرة وهي مخصوصة بكثرة الأمتعة والثمر...وهي رخيصة الأسعار و الفواكه كثيرة الخير..."[2].

من جهة أخرى، كان النشاط الزراعي والرعوي مرتبطا بالعديد من الحرف والصنائع والتجارة[3]، فقد اعتمدت الصناعة على المواد المنتجة في البلاد اعتمادا كبيرا فكانت الصناعات الأولية تتمثل في طحن الحبوب واستخراج الزيوت، كما ازدهرت صناعة النسيج واختصت تونس بنوع رفيع من القماش، وقد أمر المستنصر بتأسيس مصانع للنسيج وخاصة الأقمشة الحريرية في بعض الفنادق التي يبدو أنها أخفيت فيها نظرا لاحتكار هذه الصناعة من عائلات دون غيرها[4].

إضافة إلى صناعة الجلد أي دبغه ونقشه وزخرفته وهي باهضة التكاليف لصناعة الأحذية والجزم للجنود وتجليد الكتب وكانت صناعة الجلود والصباغة تتم بالملونات الطبيعية ذات الأصل النباتي وتقام في أطراف المدن تفاديا للروائح الكريهة وتجنبا للتلوث والإزعاج[5]،فعلى والإزعاج[5]،فعلى سبيل المثال عرفت مدينة سوسة بمختلف الصناعات في مقدمتها الثياب الرفيعة

[1] - مريم محمد عبد الله جبودة،المرجع السابق،ص22

[2] -البكري،المصدر السابق،ص34.

[3] - روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص183.

[4] - عبد العزيز الدولاتلي،المرجع السابق ،ص69؛جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص 120.

[5] - المرجع نفسه، ص 122.

الرفيعة إلى جانب صناعة عصر الزيتون والصابون والخشب والعطور والشمع والزجاج والفخار وغيرها[1].

أما في الجانب التجاري فقد اهتم الأمراء بترقية التجارة وكانت المدينة الحفصية عبارة عن مركز تجميع وتوزيع للمنتوجات وكان التبادل الداخلي نشطا بين مختلف المدن،وتنقلت القوافل بين مختلف جهات البلاد وانقسمت الأسواق إلى نوعين يومية وأسبوعية[2] ،وفي نفس الوقت اعتبرت التجارة الخارجية قطاعا حيويا خاصة بفضل التجار الأجانب وشهدت تطورا ملحوظا في العهد الحفصي بفضل الأسطول البحري وأصبحت الدول النصرانية تخاطب تونس في مراسلاتها بشكل مباشر بدل مراكش ؛فارتبطت بصلات تجارية مع البلاد المجاورة ما أدى إلى وجود شبكة من الطرق البرية والبحرية وعقدت المعاهدات التجارية مع دول كثيرة كفرنسا وصقلية والمدن الايطالية وقد ساعد موقع البلاد الجغرافي في جعل موانئها ملتقى القوافل البحرية وانتشار بيع العلوج وفداء الأسرى دون إغفال دور هذا الجانب كمؤثر حضاري وانتقال معالمها إلى أوروبا [3].

1- احمد بن عامر،الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م، ص97.

2- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص83، احمد بن عامر،المرجع السابق، ص99.

3- مريم محمد عبد الله جبودة،المرجع السابق،ص83؛ إبراهيم جدلة ،المرجع السابق، ص88، احمد بن عامر، المرجع السابق، ص100.

2- المغرب الأوسط:

إن القطاعات الاقتصادية التي عرفها المغرب الأوسط خلال العهد الزياني لم تكن وليدة العصر وإنما تعود بجذورها لفترات سابقة، فضلا عما استحدث من أنظمة جديدة وهذا ما نستشفه من أوصاف الرحالة والجغرافيين لهذه المنطقة عبر العصور، ومن أمثلة ذلك ما قاله صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار[1]: "المغرب الأوسط وفيه مدن كثيرة قاعدتها مدينة تلمسان [...] وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم[2]" ومن مدنه ماهي " كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي[3]".

وقال الإدريسي في وصفه مدينة تلمسان: "لها نهر يمر في شرق المدينة وعليه أرحاء كثيرة وما جورها من المزارع كلها سقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة [...] وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجارتها[4]."

---

[1]- هناك اختلاف حول مؤلف هذا الكتاب حيث يذهب محمد المنوني إلى كونه لمؤلفين إثنين أحدهما مجهول والثاني كان حيا سنة 588هـ /1192م وقام بإهدائه إلى أحد كبار رجال الدولة الموحدية ينظر: (مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار ...، ص- ص ب- ث من مقدمة المحقق؛ عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصد من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياف، 1417هـ/ 1996 م، ص23؛ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، 1418هـ/1997م، ص18.)

[2]- مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 176.

[3]- نفسه ،ص 176.

[4]- الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطابع بريل، ليدن، 1282هـ/ 1865 م، ص 80 ؛وانظر أيضا : الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2،ص 10.

فعلى العموم شهدت الدولة الزيانية نشاطات اقتصادية مختلفة[1]: تصدرها النشاط الزراعي الذي كان العمود الفقري لاقتصادها احترفته نسبة كبيرة من سكان المدن والقرى[2]، خاصة بفضل خصوبة تربة بلاد المغرب الأوسط التي تتناسب مع مختلف أنواع المزروعات ووقوعها في المنطقة المعتدلة الدافئة ووجود السهول المساعدة على الزراعة غرب وشمال تلمسان، مثل سهل المنية وسهل واد الشلف وسهل متيجة وتوفر مياه الأنهار والينابيع الصالحة للري مثل وادي متشكانة وعين لوريط[3].

ورغم اشتمال قطاع الزراعة على العديد من المنتجات الفلاحية إلى جانب الاهتمام بتربية مختلف الحيوانات وتوزعه على مناطق المغرب الأوسط تبعا لمميزاتها التضاريسية والمناخية[4]، غلب على المنتجات الفلاحية بصفة عامة زراعة الحبوب حسب الأوضاع التي عاشتها المنطقة سيما منها تلك المحن التي تميزتبها القرون الثلاث الأخيرة للعصر الوسيط من تفكك الوحدة السياسية، وانتشار الاضطرابات والمجاعات وظهور الوهن الديموغرافي، وإهمال الفلاحة، وسيطرة البداوة والترحال[5].

كما عرفت مدن المغرب الأوسط في العهد الزياني صناعات متنوعة حسب المواد الأولية المتوفرة، وأيضا حسب حاجات السكان ومدى تطورهم فكانت تتفاوت بين المجتمعين

[1]- لطيفة بن عميرة: " الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيانية " في مجلة: **الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 8، 1415هـ/ 1994 م، ص 74.

[2]- مبخوت بودواية: " الحياة الإقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني" في دورية: **قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية** ، العدد التجريبي، ديسمبر، 1429هـ/ 2008 م، ص 55 ".

[3]- حورية سكاكو، المرجع السابق، ص- ص 30- 31.

[4]- لطيفة بن عميرة، المرجع السابق،ص-ص 72-73؛ مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية،ص-ص55- 57.

[5]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 183.

البدوي والحضري، فبينما كان الأول أكثر اهتماما بتوفير المأكل والملبس والخيام عرف الثاني – أي المجتمع الحضري– بمهارة الصناع وتنوع منتجاتهم[1].

وكان لهذا التنوع في الزراعة والصناعة أثر واضح في تفعيل عنصر آخر من عناصر الحياة الاقتصادية للدولة الزيانية ألا وهو التجارة، فقد تعدى نشاط تجار المغرب الأوسط الإطار المحلي إلى العالم الخارجي، فسارت قوافلهم في جميع الاتجاهات تحمل السلع المختلفة ذهابا وإيابا[2]، ساعد على ذلك عدة عوامل من بينها الموقع الاستراتيجي لهذه البلاد فهي:" قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج لابد منها والاجتياز بها"[3].

إلى جانب العامل الأمني إذ يعتبر الأمن أمرا ضروريا للانتعاش الاقتصادي بوجه عام[4]، فأضحت العديد من مدن المغرب الأوسط أسواقا مزدهرة أشاد بها الرحالة والجغرافيون عبر العصور، إذ ذكرها أبو عبيد البكري:" وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق"[5]، وذكر أيضا مدينة تنس وأن " بها ...أسواقا كثيرة"[6]، وأنها "اتخذت سوقا منذ القدم"[7].

لكن الاضطرابات والثورات المستعرة في جنبات المنطقة عموما سيما الدولة الزيانية سواءا من قبل القبائل المعادية أو الفتن التي حرصت على إشعال فتيلها كل من الجارتين المترصدتين الحفصية والمرينية حالت دون استكمال بناء اقتصاد متوازن للدولة خاصة بعد

---

[1] – مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية، ص57.

[2] – جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين (9-10)م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1413هـ/1992م، ص193.

[3] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق،ص 82.

[4] – جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص 194.

[5] – البكري،المصدر السابق،ص 76.

[6] – المصدر نفسه،ص 61.

[7] – المصدر نقسه، الصفحة نفسها؛ وأنظر أيضا: محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007م،ص28.

الفوضى التي تعم عقب الحصار، فتعم اللصوصية ويزدهر نشاط قطاع الطرق[1]، فيؤدي ذلك التطاحن الداخلي إلى هجر الأراضي الزراعية وتستنفد الدولة مواردها في مقارعة الخارجين عنها أو المعتدين عليها وهو ما يؤدي أيضا إلى تقلص حجم التجارة داخل الدولة الواحدة وما بين مختلف المدن المغاربية، فاتجهت العلاقات التجارية نحو أوروبا عبر البحر عن طريق الموانئ[2]، وفتحت أسواق جديدة أمام تجارة السودان فقد كان بمقدور السفن أن ترد الموانئ وتحمل ما شاء لها من تجارة المغرب والسودان مثل الذهب والعاج والجلود والعنبر، في حين كانت الأندلس الممون الرئيسي لشمال إفريقيا-بما فيه المغرب الأوسط- وبلاد السودان الغربي بالملح والأدوات الفضية والنحاسية والمنتجات النسيجية والقطنية والحريرية فضلا عن المواد الغذائية[3].

وكانت أهم تجارة وأكثرها درا للأرباح تجارة الرقيق التي كانت تعج بها أسواق الدولة الزيانية وقد نظمت هذه الأخيرة علاقاتها التجارية الخارجية من خلال معاهدات أشهرها:

- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 685هـ/1286م المبرمة مع مملكة آراغون.
- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 740هـ/1339م المبرمة مع مملكة ميورقة[4].

وبدورها لم تسلم هذه التجارة من أعمال النهب والقرصنة المسيحية ووقوع المسلمين في الأسر[5]،فقد اعتبرت القرصنة من أهم العوامل التي أثرت على النشاط البحري في حوض

1- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف،ص 180؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين والموحدين ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ص336.

2- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف،ص180؛ وعن أهم موانئ المغرب الأوسط أنظر: (لخضر عبدلي، المرجع السابق ص-ص 68-82).

3- محمد الصمدي:" حركة التجارة البحرية بين المغرب والأندلس أيام المرابطين"، ضمن ندوة: دور مضيق جبل طارق في علاقات المغرب الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان 27-28 فبراير- 1مارس، 2001م، ص 100؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية،ص 272.

4- مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية،ص59؛ Atallah Dhina, Les états de l'occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles O.P.U, Alger, S.D , P.478.

5- محمد الصمدي، المرجع السابق،ص 101.

المتوسط خلال العصور الوسطى وقد انعكس هذا التأثير على العلاقات السياسية و الاقتصادية لسيما النشاط التجاري بين مختلف قوى البحر المتوسط[1].

وفي ظل تراجع نفوذ الدولة الزيانية بقيت المعاملات الاقتصادية والتجارية بعيدة عن أي ضابط شرعي أو قانوني[2]، فعمدت الدولة إلى انتهاج سياسة ضريبية لضمان مورد قار لخزينتها لتقوية شوكتها للوقوف في وجه الحروب والفتن[3].

واستغلت تلك الموارد إلى جانب عائدات الزراعة والصناعة والتجارة في تغذية مجالات أخرى، في مقدمتها الحركة العلمية من خلال إيجاد المرافق اللازمة لها كالمساجد والمدارس...، واقتناء الكتب واستقطاب العلماء وإكرامهم.

3- المغرب الأقصى:

اختلفت الأوضاع الاقتصادية بالدولة المرينية باختلاف الملوك الذين تعاقبوا عليها[4]، وقد أشادت المصادر بازدهار العديد من مدنها هي الأخرى[5]، وتميزت بصفة خاصة في العصر المريني المريني الأول، ومردّ ذلك بدرجة أساس إلى الغنائم التي جنوها في انتصاراتهم المتوالية في المغربين الأوسط والأدنى وحتى في الأندلس برسم الجهاد ضد النصارى[6].

فنشطت الفلاحة بسبب اهتمام المرينيين بها من خلال تقديم مساعدات للفلاحين مثل إقدام السلطان أبي الحسن المريني على توزيع قطع أرضية على الأيتام في مختلف القبائل[7]،

[1] –مريم محمد عبد الله جبودة،المرجع السابق،ص52.

[2] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف،ص183.

[3] – المرجع نفسه،ص185.

[4] – إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص150.

[5] – أنظر مثلا: الشريف الإدريسي، المصدر السابق،ص68، 73،77، 80.

[6] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب،ص 315، ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1401هـ/1981م،ص316.

[7] – ابن مرزوق، المسند،ص 420.

والاهتمام بالري وجلب المياه وإجراء السواقي في سائر المدن[1]، وبلغ الاهتمام المريني غايته مع السلطان أبي عنان عن طريق بناء النواعير[2]، فعمت المنتجات الفلاحية المتنوعة ورخصت الأسعار[3]، وتأتي الحبوب في مقدمة المزروعات في العصر المريني إلى جانب السكر وساعدت الظروف المناخية الملائمة على شهرة بعض المناطق في إنتاج الزيتون والزيوت مثل مكناسة وغيرها،دون إغفال الإنتاج الغابوي وصيد الأسماك[4].

ويبدو أن العمل الزراعي لم يكن من الأنشطة الاقتصادية التي تستهوي اليهود كثيرا باعتباره عملا شاقا ولغيره من الاعتبارات بينما أقبلوا على التجارة واحتكروا المصارفة والصياغة[5].

كما استفادت الصناعة من اهتمام الأمراء والملوك في تنظيمها وتوجيهها، فكان لكل فرقة من الصناع أمين يتم اختياره من بينهم لتنظيم مصالحهم[6]،وخصصت لكل صناعة دور خاصة بها منها على سبيل المثال مدينة سبتة التي احتوت على أربعين منجزة (دور صناعة السفن)[7].

1- ابن مرزوق، المسند،ص417؛ عيسى الحريري، المرجع السابق،ص328.

Tariq Madani, L’eau dans le monde musulman médiéval l’exemple de Fés (Maroc) et de sa région, thèse pour obtenir le grade de docteur de l’université Lyon II en histoire, . 2003,II partie.

2- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1990م،ص174-211،175.

3- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب،ص302؛ محمد المنوني، ورقات،ص-ص 148-149.

4- مصطفى نشاط،إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الأول، وجدة، 2003م، ص75.

5- المرجع نفسه،ص67.

6- محمد المنوني، ورقات، ص147.

7- محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1403هـ/1983م، ص37.

وبالتالي ازدهرت الحركة التجارية بشقيها الداخلي والخارجي، وكان للتجار بدورهم أمين يشرف على مصالح المهنة[1]، ومن مظاهر ذلك الازدهار الفنادق التي كانت ملتقى التجار من شتى النواحي والبلدان[2]، والاهتمام بالقناطر والجسور وتأمين الطرق[3]، وكانت التجارة الداخلية منظمة وتخضع الأسعار للمراقبة خاصة القمح خشية ارتفاع أسعاره أيام الجفاف والحروب[4]، فكان العمل على إيجاد مخازن له منها بعض الفنادق التي خصصت لاختزان الزرع والمطامير[5].

أما بالنسبة للتجارة الخارجية فقد تعددت المراكز التجارية كفاس ومراكش وسجلماسة وتلمسان (أيام الاستيلاء المريني).

وعلى العموم وجد بنو مرين في الموارد المالية لتلك النشاطات الاقتصادية مصدرا لتمويل مشاريعهم الحضارية في دولتهم أو المناطق التي حكموها، ومن أهمها الاهتمام بأهل العلم وتوفير متطلباتهم، ومكافأتهم على إبداعاتهم.

---

[1]- محمد المنوني، ورقات،ص 147.

[2]- عيسى الحريري، المرجع السابق،ص 327.

[3]- ابن مرزوق، المسند،ص-ص 418-429.

[4]- محمد المنوني، ورقات،ص 146.

[5]- بلغ عدد فنادق مدينة سبتة على سبيل المثال ثلاثمائة وستين فندقا خصص عددا منها لاختزان الزرع ونحو أربعين ألف مطمورة لنفس الغرض ينظر: (الأنصاري السبتي، المصدر السابق،ص-ص 38-42).

4- الأندلس:

اهتم سكان مملكة غرناطة بالزراعة فكانت موردا أساسيا ومن الدعائم الاقتصادية في البلاد وقد ساعد على ازدهارها خصوبة التربة ووفرة الأودية والأنهار وقد أشاد الجغرافيون الأندلسيون والمشارقة بخصوبة تربة الأندلس ووفرة إنتاجها الزراعي[1]، وهذا ما ذكرته أيضا العديد من المصادر التي أرخت للأندلس في مقدمتها مؤلفات لسان الدين بن الخطيب منها ما ذكره في اللمحة البدرية في الدولة النصرية: "... وتعددت البساتين والجنات والتف الدوح وكثرت الأعشاب الطبية والعقاقير الدوائية [...] وأن أرضها لا تعدم زريعة ولا ريعا أيام العام[2]"، ويقول أيضا واصفا مدينة غرناطة: "وتنحدر من فضول مياهها وأفيض حوائرها وبركها في سفحه جداول تسمع على البعد أهزاجها [...] ويحف سور المدينة البساتين العريضة المستخلصة...[3]"

واهتموا بتنظيم قنوات الري وتوزيع المياه بطرق فنية واستعملوا معاصر الزيت والطواحن الهوائية والمائية، كما اهتم أهل غرناطة بتربية الماشية، واشتهرت مزارع الخيول الأصيلة التي أولاها الغرناطيون عناية خاصة كما اهتموا بسائر الحيوانات كالبقر والغنم والنحل والطيور على أنواعها لسيما الدجاج والحمام وطيور الباز[4]، وقد انتشرت في العديد من المدن والقرى وكانت البغال أكثر ملاءمة من الخيل للسير عبر الأراضي المرتفعة التي يكثر وجودها بالأندلس إلى جانب الحمير التي تستخدم في الركوب وأعمال الفلاحة، أما الإبل فلم تعرف انتشارا بالأندلس إلا بعد دخول المرابطين لأن يوسف بن تاشفين اعتمد عليها في حروبه ضد النصارى، أما الحمام

[1] - يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 119 ؛ كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، د.ت، ص 96

[2] - لسان الدين بن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 22.

[3] - نفسه، ص 24.

[4] - يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص- ص 119- 120.

فإلى جانب الاستفادة من لحومها فقد درّبت أنواع منه على حمل الرسائل لمسافات بعيدة (الحمام الزاجل) كما اهتموا بتربية النحل ودودة الحرير[1].

وفي العهد النصري استخرج الرصاص من مناجم برجة، وتعددت مناجم الحديد في منطقتي ألمرية ووادي آش ووجد الذهب في ضواحي غرناطة فكان المنقبون يبحثون عنه في الرمال المحيطة بمجاري المياه، كما كثرت مقالع الرخام، خاصة الرخام الأبيض في منطقة ألمرية، ومن أهم الثروات الطبيعية التي مورد رزق لسكان الشواطئ الأندلسية صيد الأسماك خصوصا في منطقة ألمرية والجزيرة[2]. وعموما ساعد طول سواحل شبه الجزيرة الإيبيرية على تشجيع حرفة الصيد على طول سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وحتى الأنهار[3].

كما كانت أرض الأندلس غنية بالمواد الأولية التي ارتبطت ارتباطا مباشرا بمختلف الصناعات التي ازدهرت وذاعت شهرتها مند العهد الأموي وازدادت رسوخا في العهد المرابطي وزادت دقتها مع الزمن، ومن أهم تلك الموارد الذهب والفضة والرصاص والحديد ومعادن أخرى[4].

أما بالنسبة للصناعة فقد تميزت كل مدينة في الأندلس بالتفوق في إحدى الصناعات، ولما سقطت تلك المدن في أيدي الإسبان انتقل قسم من سكانها إلى المناطق الغرناطية حاملين معهم خبراتهم في حقل الصناعة، مما أدى إلى ازدهار شامل لها، فاشتهرت المملكة النصرية بصناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر والدروع والرماح، كما اشتهرت صناعة الصناديق والسلاسل والأقفال، كما حافظ أبناء المملكة على جودة صناعة الصوف والحرير والأقمشة

[1] – كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي ص– ص 185– 188.
[2] – يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 122.
[3] – كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 197.
[4] – لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 22، 40.

الملونة، وحياكة السجاد وأصناف البسط والحصير، ومن الصناعات التي لاقت إقبالا من أهل غرناطة، دبغ الجلود ونقشها وتحويلها إلى أحزمة وأحذية وسروج وأغماد للسيوف[1].

لقد أدى ازدهار الصناعة والزراعة إلى تنشيط التجارة، كما ساعد موقع مملكة غرناطة الجغرافي على رواج تجارتها الخارجية إذ كانت ملتصقة بالعالم الأوروبي ومجاورة للعالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال عقدت مملكة غرناطة مع مملكتي قشتالة وأراغون وبعض جمهوريات وإمارات إيطاليا معاهدات تجارية متنوعة، ففي سنة 678هـ/ 1279 م عقد معاهدة تجارية بين سفير جنوة في غرناطة والسلطان محمد الثاني تتضمن مجموعة من الشروط من بينها:

- إعطائهم حقوق بناء كنيسة خاصة بهم وفندق وحمام.
- السماح لهم بممارسة الصيد[2].

كما كان التجار المغاربة يدخلون صقلية وإسبانيا، كان تجار هاتين المنطقتين يدخلون المغرب خاصة في أوقات الهدنة والصلح[3]،وعلى العموم كانت التجارة قائمة عن طريق الموانئ الشمالية والغربية، وفتحت أسواقا جديدة أمام تجارة السودان، فقد كان بمقدور السفن أن ترد الموانئ وتحمل ما شاء لها من تجارة المغرب والسودان مثل الذهب والعاج والجلود والعنبر في حين كانت الأندلس الممون الرئيسي لبلاد المغرب والسودان الغربي بالملح والأدوات الفضية والنحاسية والمنتجات النسيجية والحريرية فضلا عن المواد الغذائية، وكانت أهم تجارة وأكثرها ذرّا للأرباح تجارة الرقيق التي كانت أسواق الأندلس تعج بها، وما تجدر الإشارة إليه أن تلك المبادلات التجارية لم تسلم من أعمال النهب والقرصنة المسيحية ووقوع المسلمين في الأسر وكان موضوع افتداء الأسرى ضمن المراسلات الرسمية بين الملوك المسلمين والنصارى [4].

---

[1] – يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 123.

[2] – نفسه، ص– ص 126– 127.

[3] – محمد الصمدي ،المرجع السابق، ص 99.

[4] – نفسه، ص– ص 100– 101؛حميد تيتاو،المرجع السابق؛ص340.

الفصل الثالث: عوامل التواصل بين دول المغرب الإسلامي

المبحث الأول: تأثير الموقع الجغرافي

المبحث الثاني: دور الرحلة العلمية

المبحث الثالث: الوحدة المذهبية وانتشار التيار الصوفي

المبحث الرابع: الهجرة الأندلسية

اتسمت الثقافة والعلوم في بلاد الإسلامية بسمات التوحيد في الأسس والمقومات والمشاركة في معظم المظاهر وهو ما أدى إلى وجود حرية في التنقل من مكان إلى آخر في مشرق العالم الإسلامي ومغربه فلا حدود فاصلة ولا رقابة على تنقلات من يريد ذلك[1].

وقد عرف المغرب الإسلامي في عهد ما بعد الموحدين وجود صلات ثقافية بين دولة وذلك على الرغم من الصراع والتناحر الذي طبع علاقاتها السياسية في معظم أطوارها التاريخية، وقد قامت تلك الجسور العلمية والثقافية بين مختلف الحواضر بفضل مجموعة من العوامل في مقدمتها تأثير الموقع الجغرافي إذ تعتبر المنطقة وحدة جغرافية متماسكة، إلى جانب دور الرحلة العلمية التي عكست الوحدة المذهبية في بلاد المغرب دون إغفال دور الهجرة الأندلسية وتأثيرها في مختلف الميادين.

المبحث الأول: تأثير الموقع الجغرافي.

إن التكوين الطبيعي لبلاد المغرب جعلها وحدة متماسكة، وتتجلى مظاهر هذه الوحدة الطبيعية في شتى النواحي من جغرافية وبشرية واقتصادية واجتماعية منذ أقدم العصور، ولعل ما يؤكد هذه الظاهرة، ما نجده من انتشار قبيلة واحدة ببطونها المختلفة بين بلدان المغرب كله كزناتة وصنهاجة اللتين امتدتا في المغرب الأقصى و الأوسط والأدنى، كما يؤكد هذه الحقيقة تشابه العادات والتقاليد والظروف التاريخية بين أقسام السياسية للمغرب[2].

[1] – أريج كريم حمد العتابي، المرجع السابق، ص 247.

[2] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 16.

وهذا ما سهل الاتصال وقيام علاقات متينة في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية خاصة مع الوحدة السياسية في عهد المرابطين والموحدين سيما مع عدم وجود حواجز طبيعية تعيق الاتصال وحتى مع الأندلس[1] الذي اعتبر " آخر المعمور في المغرب [2]".

وقد أطلق اسم بلاد المغرب على البلاد كلها، ثم نعتوا كل إقليم باسم يرجع إلى بعده أو قربه من الشرق، وأطلقوا المغرب الأدنى لدنوه من الشرق والمغرب الأوسط لوقوعه بينهما وتوسط بعده عن المشرق[3].

وبتعبير آخر يمكن القول أن لكلمة المغرب مدلولا مندمجا في إطار أوسع مقابلا لإطار المشرق بالنسبة للذهنية السائدة للسكان ولفظ الأندلس لم يكن يعني في الذهنية الإسلامية ما أصبح يعنيه في الواقع الحالي لأنه كان يشمل مدلولا حضاريا يجمع بين المعطى الجغرافي والمعطى الديني[4].

لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه العبارات (المغرب الأدنى – المغرب الأوسط – المغرب الأقصى) لم تكن تعني بالضبط التي تقابلها حاليا، فهي غامضة غموض الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب العربي[5].

ولشدة ارتباط هذه الأقاليم ببعضها لم تكن الحدود والفواصل قارة بل دوما في مد وجزر حسب قوة حكومة كل إقليم أو ضعفها[6].

[1] – عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال عهد الزياني (633- 962)هـ/ 1235- 1554 م؛مذكرة ماجيستير في تاريخ المغرب الاسلامي، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان، ص 106.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 29.

[3] – يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ط2، 1427هـ/ 2009 م، ص 14 ؛ موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 15.

[4] –محمد القبلي،المرجع السابق،ص13.

[5] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 40.

[6] – يحيى بوعزيز، الموجز، ص 15.

فالدولة الزيانية لم تكن ثابتة أو مستقرة الحدود مند نشأتها، بل كانت تتغير وتتبدل حيث تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب استعداد بني زيان وقوتهم العسكرية والاقتصادية ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم، فحاول بنو زيان أن يجعلوا حدودهم الغربية ثابتة منذ عهد يغمراسن بن زيان، بينما تبقى المنطقة الشرقية وحدودها المتاخمة للدولة الحفصية مجالا للتوسع[1].

وعليه كان الحد الفاصل بين الدولتين العبد الوادية والمرينية واد زا ونهر ملوية[2] في حين كانت المناطق الشرقية بما فيها قسنطينة وبجاية محل صراع خاصة في عهود كل من يغمراسن بن زيان (633- 681)هـ/(1235- 1283) م وأبي موسى الأول وعبد الرحمان أبي تاشفين الأول بمعدل حملة كل سنة، وكان من أهم دوافع ذلك التدخل إلحاح بني عبد الواد في ضم بجاية إلى ملكهم[3].

كما أن العامل الجغرافي ساهم في ربط العلاقات بين بلاد المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي، إذ لما استكمل المسلمون فتح بلاد المغرب أدركوا الصلة الوثيقة بين القطرين وارتباطهما جغرافيا وسياسيا[4].

[1] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 43.

[2] – الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 7.

[3] – محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 343 ؛ وغالبا ما يعزى اتجاه بني زيان في توسعاتهم نحو الشرق إلى وصية السلطان يغمراسن بن زيان ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص123) وهناك من يفسر إلحاح بني زيان في ضم بجايةإلى عدم شعورهم بالأمان في حاضرتهم تلمسان أمام التهديدات المرينية المتصاعدة وبالتالي لا يستبعد إمكانية تفكيرهم في نقلها إلى بجاية ينظر: عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 146.

[4] – عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية، ص 105.

المبحث الثاني: دور الرحلة العلمية.

الرحلة من الارتحال، وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، أما الحركة من خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السّفر، وجمعه أسفار[1]، ومنه قوله تعالى "**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُم فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**[2] ".

هذا وعرف العرب الرّحلات منذ أزمنة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام حيث كانت حياتهم تقوم على الحلّ والترحال، إذ لا يكاد يستقر بهم المقام في منطقة حتى يرحلوا عنها إلى أخرى بحثا على الماء والكلأ، وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي قريش التجاريتين في الشتاء والصّيف إلى الشّام واليمن[3]، قال تعالى "**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**[4]".

كما نجد حضورا للرحلة في العديد من النصوص الجاهلية، ومع مجيء الإسلام جلب المسلمون البلاد، وشقوا قلب الصحراء شرقاً وغرباً وأسهموا بدورهم في الرّحلات عبر العصور[5].

وفي المغرب الإسلامي كانت الرّحلة في طلب العلم من المسائل المحمودة، باعتبارها عاملا هاما في تمتين العلاقات والروابط مع أهل المغرب خاصّة والمشرق والأندلس، إذ تضاعف

---

[1] – عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996 م، ص 15.

[2] – سورة سبأ، الآية: 19.

[3] – نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون، الأردن، ط1، 2008 م، ص 35.

[4] – سورة قريش.

[5] – نوال عبد الشوابكة، المرجع السابق، ص 35.

الاتصال عن طريق النشاط الدّبلوماسي وتبادل الرسائل الإخوانية وعن طريق الحّلة العلمية والحج إلى البقاع المقدسة وبيت المقدس[1] -فك الله أسره-.

فغالبا ما تتبع رحلة الحج الرحلة في طلب العلم، فالحج من أقوى البواعث التي حركت الرحالة المغربية والأندلسية إلى جانب حرصهم على طلب العلم من منابعه الأصلية مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن المراكز الأخرى في الدولة الإسلامية كبغداد ودمشق ومصر وغيرها[2].

وقد تعددت تلك المراكز العلمية بفضل انتشار العلماء، وأسهمت بذورها في النشاط العلمي على أيدي أولئك العلماء الموجودين بها أو المتنقلين إليها الحريصين على الاستزادة من العلم ونشره[3].

فكان للرحلة الفصل في قيام شبكة بناءة من الصلات الثقافية شملت كل بلاد المغرب والأندلس بين الطلبة والشيوخ وبين الشيوخ أنفسهم صلات مباشرة، او بالمراسلة فيتبادلون الكتب والرسائل والإجازات[4].

وعن فضل الرحلة يقول عبد الرحمن بن خلدون: "الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعليما والقاءا، وتارة محاكاة وتلقينا بالمشورة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... [5]".

---

[1] - مبخوت بودواية وهوارية بكاي، العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين 7- 9 هـ، الموقع: http://www.fustat.com تاريخ الاضطلاع: 10 ماي 2010 م.

[2] - عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والتاسع الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ/ 1996 م، ص 71.

[3] - نفسه، ص 46.

[4] - عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 467.

[5] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص 591.

ما يعني أن الطالب كلما زاد عدد الشيوخ الذين يلتقي بهم تترسخ المعارف في ذهنه أكثر، وتسهم بقدر كبير في نضوج فكره، وتكوين ملكة علمية ليكون تكوينه سليما وصلبا ومن العوامل المساعدة على الرّحلة مايلي:

- إمكانية التنقل بين مختلف بلدان المغرب والأندلس والمشرق بحرّية.
- حسن استقبال طلبة العلم، وتوفير أماكن الإقامة لهم وبساطة لوائح الالتحاق بالمؤسسات التعليمية والثقافية.
- إصرار الطلبة على تحصيل العلم وحرّيتهم في اختيار الشيوخ والانتقال من شيخ لأخر لاستكمال التعليم، وفي نفس الوقت ترحيب الشيوخ بهم[1].

فعلى سبيل المثال قصد طلاب العلم مدن المغرب الأوسط في ظل حكم بني زيان من كل الجهات وقد استحسن ابن خلدون طريقة التعليم بتلمسان و بجاية[2].

وإلى جانب طلب العلم، كان خروج الرّحالة الأندلسيين والمغاربة أيضا، وبدرجة أكبر للحجّ وزيارة الأماكن المقدسة، فاشتهروا وداع صيتهم بما حققوا من علم وقاموا به من رحلات فتأهلوا لشغل المناصب العلمية والدينية وتصدروا عند عودتهم إلى مواطنهم للتدريس وتولي القضاء، أو الكتابة أو... لدى بعض أمراء المغرب والأندلس.

فالحج من أقوى الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب ويعدّ من أقوى البواعث على الرّحلة، ومن هنا كانت رحلة المغاربة إلى المشرق على وجه العموم، أكثر من رحلة المشارقة إلى المغرب فالمشرق زيادة على كون مركز الحجّ فيه، فإن مدن العلم الأولى توجد فيه أيضا[3].

[1] – عاشور بوشامة ، المرجع السابق، ص 467.

[2] – محمد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1403هـ/1983م، ص228.

[3] – نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1962 م، ص 167.

ومن جهة أخرى، نلاحظ أن هناك علاقة وطيدة بين التجارة والحجّ، وبينها وبين الرّحلة من جهة ثانية فكل من التجار والحاج والطالب يرحل في سبيل الربح والمغنم أو لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي أو اكتساب العلم عن طريق لقاء الأشياخ، فالرحلة نفسها تعني الرغبة الملحّة في المعرفة والاضطلاع[1].

فالتواصل بين تجار بلدان مختلفة يتولد عنه تواصل حضارات هذه البلدان وتفاعلها فإذا ما عادوا إلى مواطنهم حملوا وإياهم عادات وأفكار وأساليب جديدة تأثر في الأوضاع الحضارية فالأشخاص من أهم حملة العناصر الحضارية ومن أفعل وسائل نقلها [2].

وقد اشتهرت عند المسلمين الرّحلات الحجازية ولسيما من المغرب والأندلس إلى الحجاز، وبعد الحجّ يسيح المسلم في الأرض يمشي في مناكبها كما فعل ابن جبير والعبدري وابن بطوطة وغيرهم وكان نتاج ما دونه أولئك الرحالة ظهور مايسمّى ب"أدب الرحلات[3]".

وعلى العموم، فإن العلماء لم يعرفوا الاستقرار بمكان معين بل جابوا الأقطار العديدة وقصدوا المراكز الثقافية التي كانت تغص بالعلماء، فكان العصر عصر حركة وتجوال ورحلة ونشاط فكري، وهذا ما جعل الرّحلة تكاد تكون شرطا من شروط التحصيل، وبلوغ درجة عليا في المعرفة والتفوق، فكتب التراجم تكتفي أحيانا في التعريف بالعلماء بعبارة "وله رحلة، أو رحل في طلب العلم" للإظهار منزلته العلمية ودرجته الفكرية، ومن هنا كان العالم يرحل لرواية حديث أو لقاء عالم أو التعرف على مناهج جديدة أو الحصول على كتب يرغب في الإطلاع عليها...[4].

[1] – أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003 م، ص 50.
[2] – محمد الطمار،المرجع السابق،ص237.
[3] – عاشور بوشامة ، المرجع السابق، ص 469.
[4] – الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 79.

فبالرحلة العلمية يقع الاضطلاع على التآليف المختلفة بين رجال العلم في المغرب والمشرق والرحلة هي أول سبب لعقد المناظرات بين أساطين العلم وأقطاب الفكر فتتجلى الحقائق وتتسع المعلومات وتتحرر الآراء[1].

كما نجد نوعا ركز على الجوانب الثقافية: حيث أن بعض الرّحالة سجّل ما حصل عليه في دفتر يسمى المشيخة ويطلق الشيخ مجازا على المعلم أو الأستاذ لكبره وعظمته، وأطلقها الأوائل على الجزء الذي يجمع فيه المحدّث أسماء شيوخه ومروياته عنهم ثم صاروا بعد ذلك يطلقون عليه المعجم لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات، وأهل الأندلس يستعملون: البرنامج ،أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلى الآن الثبت وأهل المغرب يسمونه الفهرسة[2]،وقد وجد الباحثون اليوم في هذه الفهارس تاريخ التعليم والحركة العلمية فهي تلقي الضوء على حالة التعليم والمناهج المتبعة وأحوال العصر وأخبار العلماء[3].

وإلى جانب العاملين الديني والثقافي، قد تكون الرحلة لأسباب أخرى منها الضرورة كالخروج من أرض غلب عليها الحرام أو الفرار من ظلم حاكم وربما تكون من أجل السفارة وهي نوع من الرحلات الرسمية يوكل بها الرحالة من قبل الحكام،للفصل في الخصومات وتصفية النزاعات وقد تكون الرحلة من أجل تبليغ الدّعوة أو الجهاد والرّباط في سبيل الله وربما من أجل السياحة أو لأسباب شخصيّة[4].

---

[1]- الأنصاري أبو عبد الله محمد، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م، ص ز من مقدمة المحقق.

[2]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م ص 67.

[3]- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ص- ص 50- 51.

[4]- عبد الحكم الصعيدي، المرجع السابق،ص24 وما يليها؛ نوال الشوابكة، المرجع السابق، ص 36؛ انظر الملحق 02.

فخلاصة القول أن الرحلة مظهر من مظاهر الحركة العلمية والثقافية عبر مختلف عصور التاريخ الإسلامي حيث قدّم الرّحالة مساهمات واضحة في التراث العلمي والثقافي الإسلامي ومن هنا كانت الخصوصية التي تتجسد في التواصل بين شرق العالم الإسلامي وغربه وبين أقطار الغرب الإسلامي، وفي الفصول اللاحقة سوف نلمس دور تلك الرحلات في توطيد التواصل بين علماء المنطقة وأثر ذلك على التاريخ الثقافي لها.

المبحث الثالث:الوحدة المذهبية و انتشار التيار الصوفي.

لقد كان لفئة العلماء أدوار كبيرة في المسيرة التاريخية لبلاد المغرب، تركزت في مرحلة الفتح في نشر الإسلام وتثبيته وتعميقه في نفوس أهل المغرب الإسلامي ونشر اللغة العربية في هذه الربوع[1]، وبهذا فإن إرهاصات الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب بدأت منذ أول أيام الفتح وما زاد في أهميتها أن عددا كبيرا من الجند الفاتحين كانوا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ومن بينهم كتاب الوحي وحفظة القرآن الكريم والرواة عن رسول الله[2].

ومنذ أواسط القرن الثاني هجري بدأت المذاهب الإسلامية تعرف طريقها إلى المغرب، وازداد انتشارها في النصف الأخير منه، وتحدثت كتب التاريخ والطبقات عن العديد من الطلبة المغاربة الذين ارتحلوا إلى المشرق وتتلمذوا المالك وأخذوا عنه مباشرة، فلما عادوا إلى بلدانهم نشروا علمه وفقهه بين الناس بالتدريس والفتيا والقضاء والشورى وغيرها من وظائف الدولة فالتزموا مذهبه في الفروع والأصول والسلوك وترسموا مذهبه في التأليف وطريقته في الاستنباط والبحث[3].

كما أن المصادر التاريخية تدل على أن المذاهب الإسلامية قد دخلت إلى الأندلس مع الطلائع الأولى من الفاتحين لها والراحلين منها، والوافدين عليها وذلك ابتداء من القرن الثاني الهجري وما تلاه، واستمرت تتدفق سنوات وقرونا حتى اجتمع منها عندهم ما كان معروفا عند المشارقة، وغدا الأندلسيون يتمذهبون بمختلف المذاهب وتعاملوا معها جميعا وإن بمستويات مختلفة مع بقاء الغلبة للمذهب المالكي[4]، خاصة في عهود بعض الأمراء والحكام الذين أظهروا

---

[1] – محمد محمود عبد الله بن بية، المرجع السابق، ص 19 ؛ عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص 46.

[2] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 60.

[3] – عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1414هـ/ 1993 م، ص- ص 15- 16.

[4] – نفسه، ص 22.

عنايتهم بالمذهب المالكي، ومثال ذلك الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (ت206هـ/821م) الذي حمل الناس على الأخذ بالمذهب المالكي ولا يكون القضاء والفتيا إلا به[1].

وفي هذا يقول المقري: "وأعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح. ففي دولة الحكم بن هاشم بن عبد الرحمان الداخل وهو ثالث الولاة الأندلس من الأمويين انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا...[2]"، وإذا كانت جل المراكز التعليمية تتموقع في الحواضر، فان الحركة المذهبية جعلت الحركة التعليمية تمتد إلى الأرياف والبوادي خلال القرن الثاني للهجرة لسيما مع بداية انتقال و ظهور المذاهب الفقهية و الفرق الإسلامية.[3]

وعلى العموم، فإن المجتمع المغاربي ظل يحافظ على بساطة معتقداته الدينية وكان حريصا على وحدة مذهبه الديني ويرى أن ذلك عامل منعة وقوة[4]، وهذا على الرغم من تباين نظرة فقهاء الغرب الإسلامي للمسألة الفقهية خلال العصر الوسيط إذ رغم الإجماع على المذهب المالكي الذي كانت من ورائه أسباب تاريخية وسياسية ونفسية فان الاختيار الفقهي لم يكن موحدا، وتشبت العلماء بالمدونة وتهذيب البرادعي والرسالة القيروانية وفي مرحلة لاحقة بالمختصرات وهو ما يعتبر نتيجة مباشرة للحرية المذهبية لكن بقي المذهب المالكي هو المسيطر في ميداني التشريع والعبادات[5].

---

[1] - عمر الجيدي، المرجع السابق ، ص 36.

[2] - المقري ،نفح الطيب، ج3، ص 230.

[3] - اسماعيل سامعي،قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د.ت،ص21.

[4] - عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 105.

[5] - احمد بوزيدي،العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز،فاس،1429هـ/2008م،ص-ص33-34؛محمد المنوني،ورقات،ص153.

فقد شن الفاطميون حربا ضد علماء المالكية منذ دخولهم القيروان وأمعنوا في تعذيبهم وقتلهم ولكن أغلبية هؤلاء بقيت وفية لمبادئ الإسلام الصحيحة ومتمسكة بمذهب مالك كما قاموا بمقاومة الفاطميين وأيدوا كل من يقف في وجههم وبالمقابل كانت الدولة تأخذ أموال وكتب علماء المالكية وتنكل بهم وحتى بأهاليهم[1]،وبهذا يمكن القول بغياب الجانب العلمي خلال العهد الفاطمي فقد وصل الأمر إلى التهديد بحد السيف عند تغلب الطرف الأضعف[2].

وبعد انهيار النظام الموحدي ساد المذهب المالكي وسجل عودته بقوة إلى جانب غياب نزعات فكرية وفلسفية متطرفة[3]، وإرجاع الاعتبار للفقهاء بعد أن تعرّض الفقه المالكي ورجاله إلى محن في عهد الموحدين في جو طبعه التهديد والزجر لبعض الفقهاء المالكية إلى جانب القتل والسجن والتعذيب ومختلف أنواع الأذى[4]،ومن هنا يمكن أن نفهم أن وحدة المذهب من أهم عوامل شيوع المناظرات وحرية الرأي خاصة أمام السلطة.

لكن أكبر ما سجل ضد المذهب المالكي هو إحراق كتبه ومنها: مدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد و مختصره وكتاب التهذيب للبرادعي و واضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها على حد قول صاحب المعجب[5]، الذي سجل شهادته كونه شاهدا على تلك الأحداث ويضيف أيضا أنه:

---

[1] – مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، د.م.ج، الجزائر،1403 هـ/1983م، ص141،149.

[2] – نفسه، ص150.

[3] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 83.

[4] – محمد المغراوي: " تطور علاقة السلطة الموحدية بفقهاء المذهب المالكي إلى عهد يعقوب المنصور " في مجلة **آفاق الثقافة واالتراث** تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد الثقافة و التراث، الإمارات العربية المتحدة، العدد 31، رجب/ أكتوبر، 1421هـ/ 200 م، ص- ص 27- 28.

[5] – عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق، ص 354.

"كان يؤتي منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة [...] وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرّة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث...[1]"، وبهذا انقطع علم الفروع الذي كان أساس الحركة العلمية والفقهية خلال العصر المرابطي واختفى كثير من العلماء وأصحاب الرأي وهو ما يعتبر نوعا من تحجر الفكر ومصادرة الحريات وتجفيف ينابيع الفكر.[2]

وبالتالي العودة إلى المذهب المالكي في الفقه والمذهب الأشعري في الاعتقاد والذي لا يحيد عن السنة والجماعة وأهل الحديث لم يكن رغبة شعبية فقط ولكنه كان موقفا رسميا دعا إليه الملوك، وحرصوا على إظهاره أمام العام والخاص[3].

فمثلا حرص السلطان الزياني يغمراسن بن زيان على استقدام الفقيه أبي إسحاق التنسي إلى حاضرته اعتبر من باب حرصه على توطيد الذهب المالكي في دولته الفتية كونه المذهب الرسمي لها وأحد مظاهرها[4]، كما أن السلطان أبا تاشفين الأول وبعد بناء المدرسة التاشفينية، قدّم للتدريس بها أبا موسى عمران المشدالي الذي تصفه المصادر بأنه: " أعرف أهل عصره بمذهب مالك[5]".

كما أن الفقهاء اهتموا بتدوين ما أحرق من الكتب الفقهية في العهد الموحدي فكتب المدونة وغيرها من حفظ كثير من العلماء، فعلى سبيل المثال ذكر ابن الأحمر أن:"علي بن عشرين كان حافظا للفقه محصلا محررا له وتفقه عليه فقهاء المغرب وكان يحفظ المدونة ولما

[1] - عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق ، ص 355،عبد الله كنون،النبوغ المغربي،ج1،ص119.
[2] - اسماعيل سامعي،المرجع السابق،ص-ص204-205.
[3] - الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 31 ؛ محمد المنوني، ورقات، ص 377.
[4] - ألفرد بل، المرجع السابق، ص 312.
[5] - التنسي، المصدر السابق، ص 141.

أحرقها ملوك الموحدين بالمغرب من بني عبد المؤمن كتبها الفقهاء من حفظه بمدينة فاس عند أول ظهور بني مرين من بني عبد الحق أرسلوا إلى عدوة الأندلس فأتوهم بنسخ منها فقابلوها فوجدوها لا خلاف بينها إلا في فاء أو واو".[1]

فالإشراف الرسمي للسلطة على العملية التعليمية سجل انتصار الإسلام السني والعودة إلى المالكية مذهبا وانتشار الأشعرية اعتقادا إلى جانب التجاوب الإقليمي والمذهب الفقهي الذي يدعمه شدة تمسك المغاربة بالحفاظ على الكتاب والسنة ويفسر ذلك أخذهم بالمذهب المالكي المعروف بالتمسك بالنص، وبهذا يكون المذهب المالكي على درجة كبيرة من القوة النفوذ إلى جانب عنصر الشرف في دعائم قيام دول بلاد المغرب بعد الموحدين[2].

أما فيما يتعلق بالتيار الصوفي، فإن الانطلاقة الحقيقية له ترجع إلى فترتي حكم المرابطين والموحدين في المغرب الإسلامي المتأثر بدوره بالتيار الصوفي المشرقي، لكن الحرية الفكرية التي تمتعت بها الفترة الموحدية ساعدت في نشاط الدراسات الفكرية والفلسفية على عكس الفترة المرابطية، إلى جانب الظروف التاريخية للمرابطين والموحدين خاصة على جبهة الأندلس لتعزز من مكانة هذا التيار ورجاله[3].

فكان من أهم مميزات القرون الثلاث الأخيرة من العصور الوسطى – فترة الدراسة- ازدهار ظاهرة التصوف وتغلغلها في جميع الأوساط الاجتماعية وحتى بين العلماء والفقهاء فاصطبغت الحياة الفكرية بالصبغة الصوفية[4]؛ بل وطغت المسحة الصوفية على مؤلفات علماء

---

[1] – ابن الأحمر ،بيوتات فاس الكبرى،ص19.

[2] – عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص88.محمد القبلي، المرجع السابق، ص115.

[3] – عبيد بو داود، ظاهرة التصوف، ص 55.

[4] – بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ) وجهوده الأصولية الفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدرسات العليا في الدرسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، 1414هـ/ 1993 م،ص33.

القرنين الثامن والتاسع الهجريين إلى جانب كون أغلب العلماء في هذه الفترة كانوا متأثرين بالتيار الصوفي[1].

فانتشر التصوف ومال إليه الكثيرون على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم وكان اهتمام الشيوخ والمتصوفة منصبا على السلوك والممارسة مما جعل تصوفهم سنيا عمليا لا يغرق في البدع والطقوس التي جردت التصوف من معناه وانحرفت إلى مزالق فلسفية، وازدهر التصوف وحظي أصحابه بالتقدير والاحترام والتكريم من لدن الملوك أنفسهم[2]، وهذا رغم الموقف التقليدي للمتصوفة الأوائل الذين كانوا يتحرجون من ربط علاقات مع رجال السلطة، إذ كانوا يخشون أن تأثر في مواقفهم خاصة ما يتعلق منها بالقضاء[3].

فهناك من يرى أن الاهتمام بالحركة الصوفية من منطلق كونها تمثل التيار الثقافي المعارض للسلطة[4] ومثال ذلك محاولة السلطان أبي عنان المريني التقرب من أقطاب الصوفية، نذكر منهم الصوفي الكبير ابن عاشر[5]، لكنه صد عنه في كل مرّة، وإن وجد من عدّ هذا الإلحاح رعاية للحركة الصوفية[6]، فهناك من يؤكد قوة وهيبة الدولة المرينية ما يجعلها في منأى عن عن الشعور بأي خطر من امتداد نفوذ الصوفية، بل انصرفت لاستكمال بناء صرح حضارتها

---

[1] - محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 38.

[2] - الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 32.

[3] - عبيد بو داود، ظاهرة التصوف، ص- ص 77- 78.

[4] - عبد العزيز بو مهرة : " التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري " في مجلة **التواصل**، العدد11، ديسمبر، 1424هـ/ 2003م، ص 131.

[5] - أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي نزيل سلا ودفينها سنة 764هـ/1363 م، له في المغرب مدرسة صوفية ذات طابع خاص ينظر: (إبن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 7؛ محمد المنوني، ورقات، ص415).

[6] - محمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، ص 54.

مع ما يقتضيه ذلك من حرية للفكر[1]، لدرجة سمحت معها في بعض الأحيان بتدريس آراء الموحدين في مدارسهم[2].

ولعل هذا الأمر يندرج في الجانب العملي لمحاولة بني مرين منذ بدايا‌تهم إصلاح المجتمع بالقيام بأمر الدين وتقريب العلماء ، وبدورهم قام الصلحاء بالدور نفسه من خلال الدعوة إلى تزكية النفس وحملها على الأعمال الصالحة وساهم في ذلك ما عرفته المرحلة من انتعاش اقتصادي وأيضا استقرار المجتمع من الناحية الدينية دون إغفال دور المدارس المرينية في تخريج الأطر العلمية حيث أعيد الاعتبار للمذهب المالكي ودخلت المختصرات الفقهية مما أدى إلى تقريب الدين للمتعلمين وغيرهم من عامة الناس،إلى جانب الدور الذي اضطلعت به المساجد الكثيرة خلال هذه الفترة والظاهر أن السلطة رأت في تلك المنشآت عملية دينية تكسب الدولة مشروعيتها[3].

فخلاصة القول هي أن سيادة المذهب المالكي تعد من العوامل التي جعلت التصوف المغاربي ينطبع بالطابع السني لخصوصية هذا المذهب ومحافظته[4]، وكلاهما يعتبران في نفس الوقت من عوامل التواصل الفكري والعلمي بين مختلف حواضر بلاد المغرب والأندلس من خلال ما حدث بين العلماء والفقهاء من مراسلات ومناقشات ومناظرات خاصة تلك التي حفظتها لنا مختلف المصادر وسجلت حضور أحد حكام وسلاطين دول المنطقة ما جعلها ترقى إلى أعلى المستويات.

---

[1] – محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 355.

[2] – محمد عيسى الحريري ،نفسه، ص 337 ؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص 326.

[3] – بوزيدي،المرجع السابق، ص65.

[4] – عبيد بو داود، ظاهرة التصوف، ص 104.

والملاحظ أيضا أن هناك عدة روافد ساهمت في مد جسور التواصل بين مختلف الأقطار منها العناية بالحبس فقد دأب أهل الغرب الإسلامي -شأنهم في ذلك شأن كافة أهل الأقطار الإسلامية – على التصدق بالمال و العقار ما يجري المنفعة على مجالات متعددة ومنها المجال العلمي ، ولم يقصروا جهودهم فيها على بلدانهم بل حرصوا على أن يشملوا بها كبريات حواضر العلم بالديار المشرقية وفي طليعتها مكة المكرمة و المدينة المنورة و القاهرة و القدس[1] – فك الله أسرها-فقد رافقت عملية الحبس جميع المنجزات الحضارية في بلاد المغرب من قبل مختلف الأطراف في مقدمتهم الحكام و السلاطين وهو ما نقف عليه في الفصل الأول من الباب الثاني.

[1]- حسن الوراكلي، مباحث في تراث الغرب الإسلامي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، 1434هـ/2013م، ص39.

المبحث الرابع: دور الهجرة الأندلسية.

ما يلفت الانتباه عند الحديث عن موضوع الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة من التاريخ هو تحديد هذا المصطلح بدقة بسبب الظروف التي أحاطت به من مختلف الجوانب، ما جعل بعض الدراسات تطلق بدائل لهذا الاسم وترجحها مثل مصطلح (الجلاء)[1]، فحركة الأندلسين اتخذت صور جماعية وشكلوا جاليات متماسكة في البلدان التي حلوا بها وعملوا في مختلف الخطط الإدارية والعسكرية والزراعة والصناعة والتجارة إلى جانب الأعداد الكبيرة من العلماء[2].

وهذا ما يدفع إلى ضرورة التفريق بين الرحلة والهجرة فالنسبة الأولى وكما سبقت الإشارة، تعددت عواملها بين رغبة في التجارة أو طلب للعلم أو سياحة أو حج وربما تجتمع تلك العوامل معا، وأما الثانية أي الهجرة فكانت هجرة الأندلسيين من بلادهم دون نية العودة، فكانت وجهتهم إلى أنحاء بلاد المغرب ورافقتها في غالب الأحيان هجرات أندلسية إلى المشرق، فصلة المغارب الروحية بالمشرق دائمة وقوية، فكانوا يولون وجوههم شطر المشرق للحج وزيارة الأماكن المقدسة والنهل من منابع العلم المشرقية[3].

والهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب عموما ترجع إلى العديد من العوامل والأسباب، وكانت على مراحل ووجهات مختلفة،فمن أهم تلك العوامل والأسباب نذكر:

- التدهور السياسي الشديد الذي ساد الأندلس منذ ضعف السلطة الموحدية بها مع مطلع القرن السابع الهجري / 13م خاصة بعد هزيمة حصن العقاب 609هـ/ 1212م التي أثرت على الوجود الإسلامي بالأندلس فتوالت الفتن والثورات بين المسلمين أنفسهم أو مع النصارى الذين استغلوا تلك الأوضاع وصعّدوا من حدة

[1] – عز الدين موسى، النشاط الإقتصادي ، ص 88 ؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 470.

[2] – عاشور بوشامة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – عز الدين موسى، النشاط الإقتصادي ، ص 90.

هجماتهم على المدن الإسلامية التي توالى سقوطها[1]، خاصة أن أعظم مدن الأندلس كانت قد سقطت في أيديهم وهي مدينة طليطلة في فترة حكم ابن ذي النون سنة 478هـ/ 1085م، وكنتيجة لهذا الوضع استولت على مسلمي الأندلس عقلية انهزامية يصورها لنا أحسن تصوير الشاعر الأندلسي عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسّال حيث يقول:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ حُثُّوا مَطِيَّكُـمُ	فَمَا الْمُقَامُ بهَا إلاَّ مِـنَ الغَلَـطِ
الثَّوْبُ يَنْسَلُّ مِنْ أَطْرَافِه وَأَرَى	ثَوْبَ الجَزِيرَةِ مَنْسُولاً مِنَ الوَسَطِ
ونَحْنُ بَينَ عَـدُوٍ لاَ يُفَارِقُنَـا	كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيَّاتِ في سَفَطِ[2]

وهكذا توالى خروج المدن الكبرى بالأندلس من أيدي المسلمين كماردة 626هـ/ 1227م وميورقة 627هـ/ 1230م وبلنسية 636هـ/ 1238م وقرطبة 633هـ/ 1236م واشبيلية 646هـ/1248م وشلب وطليرة 659هـ/ 1261م ومرسية 665هـ/ 1267م[3]، ولم يبق للمسلمين في الأندلس إلا ما تملكه بنو نصر بغرناطة[4].

[1] – عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 470 ؛ عبد القادر بوحسون، الأندلس على عهد بني الأحمر، ص 95.
[2] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 352 ؛ محمد الطالبي: " الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين " في مجلة **الأصالة**، صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26، 1395هـ/ 1975 م، ص- ص 47- 48.
[3] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج4، ص 219.
[4] – المصدر نفسه، ج4، ص 220 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص449.

وأمام التحرّشات المسيحية بمسلمي الأندلس وتدرج استيلائهم على مدن الأندلس وضيق الحيز الجغرافي المتبقي لهم قياسا مع أعدادهم فاطر الفائض منهم إلى مغادرة البلاد خاصة أمام تفشي الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس[1]، فقد ازداد الظلم وأعباء الضرائب وحتى الصراع العنصري، فكان البحث عن أقرب المناطق الغنية والمستقرة سياسيا[2].

وما يسجل هو أن قدوم أولئك الأندلسيين كان جماعيا ولم يكن فرديا وتواصلت تلك الهجرة الجماعية وتجددت بتجدد النكبات، وهذا ما لاحظه ابن خلدون الذي حرص على استخدام كلمة (جالية) في الحالات التي تحدث فيها عن هذا الموضوع[3].

وقد ضمت تلك الجاليات الأندلسية أعدادا كبيرة من العلماء وعمال الزراعة والحرفيين والمعماريين[4]، وكانت الوجهة إلى سواحل بلاد المغرب أين أحسن سلاطين هذه الدول استقبال تلك الوفود، وبدورهم هاجر أولئك الأندلسيون وهم يحملون معهم موروثهم الاجتماعي الذي عرفوه في مختلف المدن والحواضر من بلنسية وقرطبة وغرناطة وإشبيلية وما تبع ذلك من ممارسات يومية، كما أفادوا من خبرتهم العمرانية خاصة المساجد والجوامع وبعض المرافق مثل عيون الماء وزخرفة البيوت وتزيين الحدائق، كما انتقلت معهم إلى الحواضر التي حلّوا بها خبرتهم ومهارتهم في المجالين الزراعي والصناعي، كما وسجلوا حضورهم في الحياة الثقافية من حيث العلماء والفقهاء[5].

---

[1] – عاشور بو شامة، المرجع السابق، ص– ص 470– 471.

[2] – عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص– ص 88– 89.

[3] – محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 55.

[4] – عاشور بو شامة، المرجع السابق، ص 470.

[5] – جمال يحياوي :" أثار الهجرة الأندلسية على تلمسان " في مجلة **الوعي**، صدرت عن دار الوعي في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 1432هـ/ 2011 م، العدد المزدوج (3–4)، جمادي الأولى والثانية 1432هـ/ أفريل ماي 2011 م، ص– ص 92– 94.

إلى جانب الحظوة والمكانة التي تمتع بها بعض الأندلسيين في البلاط والإدارة والجيش وجدوا أيضا مكانا في ميدان التعليم بأطواره المختلفة من تعليم عال والذي اقتصر على مشاهير العلماء وخاص بالصبيان في الكتاتيب لتفوقهم الثقافي وانتشار المعرفة في صفوفهم[1].

و كان للتنقل المستمر لعدد من علماء الأندلس بين أقطار المغرب ونشر معارفهم الأثر في تكوين تراث أندلسي واحد في الأقطار الثلاث وكان هذا التراث عامل تقريب بيت أقطار المغرب في ميادين الفكر والثقافة[2].

و كان ضمن من هاجر من الأندلس فئة اليهود الذين هاجروا ضمن الفئات السابقة الذكر من علماء وتجار وصناع وفلاحين وأصحاب رؤوس الأموال و الفنانين...، وقد حددت درجات الثقافة ونوعيتها وحذاقتهم المهنية التي كانوا يحترفونها في الأندلس، والمكان والوظيف الذي يتناسب مع اختصاصهم ووضعيتهم الاجتماعية و طبائعهم النفسية والإقليمية فأهل البادية والفلاحة توجهوا إلى المقاطعات التي تكثر فيها الفلاحة،وتوجه المثقفون والتجار والحرفيون والمغنون إلى الحواضر الكبرى في المغرب الأوسط و الأقصى وافريقية.[3]

[1] - محمد الطالبي، المرجع السابق، ص- ص 57- 65.

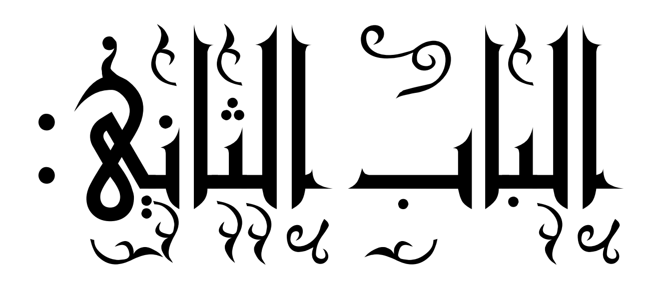
[2] - محمد رزوق،المرجع السابق،ص72.

[3] - عبد العزيز فيلالي،اندماج اليهود،ص-ص24-25.

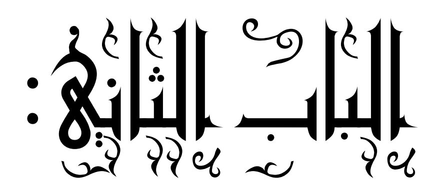
وهكذا شكلت الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة التاريخية رافدا للتواصل بين دول بلاد المغرب الإسلامي، وكان أولئك الأندلسيون عنصرا فعالا في بناء الصرح الثقافي للمنطقة، فمهما كان الدوافع التي حرّكت تلك الموجات البشرية من سياسة واقتصادية وعلمية فإنها كانت تصب في خانة تفعيل التواصل بين دول المنطقة فدور المسالك في حركة المبادلات الثقافية كان ملازما لدورها في حركة المبادلات الاقتصادية.[1]

وهذا ما حاولنا توضيحه في هذا الباب بالربط بين تأثير الأسر الحاكمة التي اعتلت سلطان الدول التي خلفت الدولة الموحدية وما ميزها في حياتها السياسية و الاقتصادية إلى جانب العوامل التي ساهمت في ربط جسور التفاعل الثقافي بينها خاصة على المستوى الرسمي بين دول بلاد المغرب الإسلامي.

[1] – عاشور بو شامة، المرجع السابق، ص 477.



المجالس العلمية السلطانية ببلاد المغرب الإسلامي:
من مظهر للمنافسة إلى قناة للتواصل الفكري.



المجالس العلمية السلطانية ببلاد المغرب الإسلامي: من مظهر للمنافسة إلى قناة للتواصل الفكري.

الفصل الأول : الاهتمام السلطاني بالعلم ومجالسه.

الفصل الثاني: تطور المجالس العلمية لسلاطين دول بلاد المغرب الإسلامي.

الفصل الثالث: أثر المجالس العلمية السلطانية في الحياة الفكرية لبلاد المغرب الإسلامي.

المجالس العلمية السلطانية مظهر من مظاهر الحركة العلمية والنهضة الفكرية وهي تبرز مدى تقدير الملوك للعلم والعلماء، ولم يخل عهد من تقريب العلماء وتكوين مجالس علمية خاصة لديهم، وهي مجالس كان لها دور كبير وأثر إيجابي عظيم في ازدهار الحركة العلمية لما كانت تقوم به تلك المجالس العلمية من دروس دينية على المستوى العالي الرفيع وتصدره من فتاوى شرعية دقيقة وفي مسائل دينية واجتماعية واقتصادية، فكانت تلك المجالس تتميز بطابعها العلمي الاستشاري[1].

ففي ظل الظروف السياسية والاقتصادية التي سبق التطرق إليها في الباب الأول وبفضل العوامل التي ساهمت في مد جسور التواصل بين دول بلاد المغرب في فترة الدراسة، يسجل استمرار ذلك التواصل العلمي والثقافي بين حواضر بلاد المغرب الإسلامي طيلة القرون الثلاث الأخيرة من العصور الوسطى، ومن أهم مظاهره حركة العلماء التي لم تتوقف مهما كانت الظروف وحظي العديد منهم على اختلاف وجهاتهم بمكانة مرموقة لدى حكام وسلاطين البلاد التي حلّوا بها، ما أفسح المجال لنشوء منافسة علمية جادة على أعلى المستويات من خلال القضايا التي أثيرت للنقاش بمحضر أولئك السلاطين.

[1] – آسية الهاشمي البلغيثي، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1416هـ/ 1996 م، ج1، ص 4.

الفصل الأول: الاهتمام السلطاني بالعلم ومجالسه.

المبحث الأول:مكانة العلماء والمفكرين عند الحكام والسلاطين.

المبحث الثاني:تشييد المؤسسات العلمية والدينية وخزائن الكتب

المبحث الثالث: تفعيل الحركة التعليمية في دول المغرب.

إن العلماء من أهم عناصر بعث الحياة العلمية، ومن هذا المنطلق سعى سلاطين دول بلاد المغرب إلى اجتذاب أكبر عدد منهم إلى حواضر دولته وتقريبهم من مجالسهم والعناية بهم وإكرامهم، فبعد نجاح بني حفص في الاستقلال بإفريقية عن الحكم الموحدي شجعوا العلم وأهله، وهو ما نجده عند بني زيان الذين تشيد العديد من المصادر بازدهار الحركة العلمية بتلمسان حتى قبل تأسيس الدولة الزيانية، ومثال ذلك، وصف أبي عبيد البكري لمدينة تلمسان بقوله: "ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والموحدين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله..."[1]. وبدورهم بنو مرين وبعد نجاحهم في تأسيس دولتهم اتجهوا نحو تشجيع العلم وإقامة معالم العمران[2]،بل كان"...يجب على الأمير من ترتيب مملكته...عقلاء يشيرون...وعلماء ثقات يرشدون"[3].

ومن أبرز مظاهر ذلك الاهتمام، المكانة والحظوة التي نالها عدد كبير من الفقهاء والعلماء في بلاطات حكام دول المغرب وبذلك أصبحت قصور الخلفاء و الأمراء مثابة يلتقي فيها العلماء والأدباء و الشعراء مفاخرين بذلك أمراء وخلفاء الأقطار الأخرى كما يفاخرون بعظمة الجند وعظمة المباني[4]، إلى جانب الحرص على تشييد مختلف المؤسسات الدينية والتعليمية وصولا إلى الاجتهاد في تفعيل الحركة التعليمية في مختلف حواضر دول المغرب على أعلى المستويات ووفق أنجع طرائق التدريس.

[1] - البكري، المصدر السابق، ص 77.

[2] - محمد المنوني، ورقات، ص 19.

[3] - محمد بن عبد الكريم المغيلي،تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين،تح: محمد خير رمضان يوسف،دار ابن حزم، بيروت، 1415هـ/1994م، ص- ص25-26.

[4] - بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 407.

المبحث الأول: مكانة العلماء والمفكرين عند الحكام والسلاطين

إن توطيد أركان الدولة لا يأتي بالقوة العسكرية فحسب، بل لابد من الاعتماد على ركيزة دينية وفكرية وعلمية يمثلها الفقهاء والطلبة وأهل العلم بصفة عامة[1]، فإن كان السلاطين الذين تعاقبوا على حكم بلاد المغرب الإسلامي، وحتى بلاد المشرق قد حكموا بالقوة والقهر فقد استخدمت أيضا العصبية القبلية والامتداد العرقي الذي يحاول إيصال السلطان بالنسب النبوي الشريف لتثبيت السلطان وإضفاء طابع الشرعية عليه[2].

فكل ما هو متعلق بالنسب يندرج ضمن عنصر العصبية ،فقد كان النسب في المجتمعات العربية هو المحرك الأساسي للعصبية التي لا تعني سوى التحالف بشكل من الأشكال مع الأسرة البارزة بنسبها في محيط جغرافي معين و ليس هناك أفضل مما قدمه ابن خلدون ضمن نظرية العصبية عن الترابط بين النسب و العصبية بقوله:[3]

" ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنعرة والتناصر؛ فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي، تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى. وتعديد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها، فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب.[4]"

فالشرف من وجهة نظر ابن خلدون هو الحالة التي يشكل كل من النسب و العصبية إطارها الاجتماعي؛و كما كان النسب والحسب مدعاة للافتخار و القوة والشدة و الشهرة كانا كذلك من أسباب الحروب التي اندلعت بين القبائل[5].

[1] – صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص 179.

[2] – عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص 71.

[3] – محمد العمراني، المرجع السابق، ص33.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 147.

[5] – محمد العمراني، المرجع السابق، ص33.

كما أشرنا سابقا إلى أنساب الأسر الحاكمة في دول المغرب الإسلامي و الاختلاف الكبير بين النسابة و المؤرخين حولها، ومحاولات العديد منهم لرفعها للنسب النبوي الشريف والأمثلة حول أولئك متعددة نذكر منهم ابن أبي زرع الفاسي في مؤلفه روض القرطاس وابن الأحمر صاحب روضة النسرين بالنسبة للدولة المرينية، ويحي بن خلدون صاحب بغية الرواد وصاحب زهر البستان والزركشي مؤرخ الدولة الحفصية، فقد كتب هؤلاء المؤرخون تقربا للدول التي كانوا متصلين بها، فأبدوا كل مزايا سادتهم وفضائلهم وسكتوا عن عيوبهم ونقائصهم[1]؛لكن في نفس الوقت نسجل أن أول من شكك في هذا النسب ليس أدباء ونسابة فحسب، وإنما نجد موقف التشكيك من السلاطين أنفسهم، ومن أشهر الأمثلة على ذلك موقف السلطان الزياني يغمراسن بن زيان من رفع نسبه إلى إدريس بقوله:"إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا[2]".

ونفس الأمر عند سلاطين بني مرين حول هذا الموضوع ومن أشهرهم السلطان أبو يعقوب المريني بعد محاولة النسابة أبي القاسم الملاحي تحقيق النسب المريني حيث قدم إلى السلطان أبي يعقوب يوسف أثناء حصاره مدينة تلمسان حاملا إليه شجرة نسب المرينين بيّن فيها صلة المرينين وانتسابهم إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – والإمام علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه –

فكان رد السلطان: " أما هذا فقد شكرنا [...] وحمدنا مسعاك [...] فنرجوا النفع به عند الله في العقبى وإن كان غير ذلك فلا خير لنا في التمسك بما فيه مطعن علينا [3]".

فبنو حفص لم يدعوا نسبا شريفا، غير أن المؤرخين قد لفّقوا لهم نسبا عربيا رفعوه إلى عمر بن الخطاب؛ وسبب هذا التلفيق هو مطابقة كنية جدهم أبي حفص الذي كان من

[1] – التنسي، المصدر السابق، ص 69 من مقدمة المحقق.
[2] – عبد الرحمن بن خلدون ، العبر، ج7، ص 97.
[3] ـ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 4.

المقربين إلى المهدي بن تومرت مع أنه كان من قبيلة هنتاتة[1]، خاصة أن الدولة الحفصية تعتبر وريثة المذهب الموحدي فرغم استقلالها السياسي إلا أنها بقيت تستمد كثيرا من نظمها في تراتيب الملك والإدارة والجند من نظام الموحدين مع أن هذا الاستمداد جعل يتضاءل مع مرور الزمن[2].

أما الدولة الزيانية فإن تاريخها السياسي أخذ يكتسي صبغة خاصة منذ بداية عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني يتسم بتحول خطير في نظام تعيين الملك، يتمثل في تلاشي التقاليد المعهودة، وتطور النظام السياسي محتواه الاستشاري إلى طابع استبدادي ببروز عنصر جديد إضفاء الشرعية على الحكم وهو عامل الشرف[3]، فحرص أبو حمو موسى الثاني على التقرب من العلويين وهناك من يضع تزويج ابنته من الإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني الحسني العلوي في هذا الإطار[4]، ومنذ هذا العهد أصبحت الأسرة الزيانية في عداد الأسر الشريفة بالمغرب، وتوالت التآليف المسايرة لهذا المنحى، ولم يعد الاهتمام بالفقهاء من باب استمداد السلطة وتقوية النفوذ كما هو الشأن مع السلاطين السابقين، إنما أصبحت رعايتهم ورعا وتدينا[5].

---

[1] – التنسي، المصدر السابق، ص 65 من مقدمة التحقيق.

[2] – عبد المجيد النجار،المرجع السابق،ص–ص378–379؛ صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 96.

[3] – عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي، ص 242 ؛ عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ص 360.

[4] – مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 153.

[5] – صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 97.

ذكره يحي بن خلدون: "...فهو الإمام الذي شرف أصلا وفرعا ووجبت خلافته الهاشمية طبعا وشرعا"[1]، ونجد ذكره عند الشريف التلمساني كان حيا سنة 848هـ/1444م في مؤلفه "روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار"[2].

ونفس الأمر يقال عن بن مرين ورثة العاصمة الموحدية في البحث عن الشرعية إذ لم يكونوا أصحاب فكرة جديدة من حيث الفقه أو العقائد أو أصحاب دعوة إصلاحية[3]، فالواضح أن ادعاء الأصل العربي كان من قبيل البحث عن الشرعية وتبرير صحة الحكم[4].

ونظرا للمكانة الروحية والاجتماعية والسلطة المعرفية لفئة الفقهاء في دعم السلطة لهذه الدول فقد سعت كل منها إلى احتوائهم طالما أمكنها ذلك[5]، والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لم تخص دولة دون غيرها، بل شملت جميع دول المغرب الإسلامي في أغلب فتراتها. وهو ما كان إحدى العوامل الرئيسية لتدهور الأوضاع في المنطقة[6].

كما نسجل الدور الكبير الذي كان لهذه الفئة في الأزمات التي تحل بهذه الدول فقد كان بعض الفقهاء يشعرون بالخطر الذي كانت تتعرض له الرعية بين الحين و الآخر مثل سنوات القحط والمجاعات فكانوا يتدخلون بالتصدق من مالهم الخاص للتخفيف من تلك الأزمات وهو ما يعكس انفتاحهم على محيطهم[7]،فمثلا كان الإمام محمد بن يوسف السنوسي

---

[1] - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص9.

[2] - مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2608، الورقة 27 و/ظ.

[3] - محمد بن شقرون، المرجع السابق، ص 51.

[4] - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 10؛ مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 171.

[5] - صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 101 ؛ 113 ؛ Atallah Dhina, op.cit, p.313

[6] - عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي، 242.

[7] - عبيد بوداود، الوقف، ص120.

يأمر أهله بالصدقة لسيما وقت الجوع ويقول من أحب الجنة فيكثر من الصدقة خصوصا في الغلاء وكثيرا ما يتولى التصدق بيده[1].

بل أحيانا تدخل السلطان في أزمة معينة باسم أحد الفقهاء فعلى سبيل المثال عندما حلت المجاعة بالمغرب سنة 693هـ/1293م، لجأ السلطان أبو يعقوب يوسف إلى الفقيه أبي فارس عبد العزيز الملزوزي لتبديل الصيعان المستعملة في ذلك الوقت، وأحلّ محلها مدّ النبي – صلى الله عليه وسلم– نظرا لغلاء المعيشة وارتفاع ثمن القمح، وهكذا لجأ هذا السلطان في هذه الظروف العسيرة إلى فقيه كي يكتسي الإصلاح صبغة شرعية لا تخرج عن تعاليم الإسلام[2]؛ فللعلماء مركز خطير، فهم في الأمة عيونها وشهودها يحضون محافلها ومآتمها، أفراحها وأتراحها وهم ينعمون لدى الملوك الأمراء بمرتبة عليا[3].

وفي هذا الإطار بذل سلاطين دول المغرب الإسلامي جهودهم في سبيل إرضاء هذه الفئة الهامة من المجتمع، واستقطاب أكبر عدد منهم إلى حواضرهم، وأبرز مظاهر تلك المساعي، تشييد المؤسسات الدينية والعلمية ونسبتها إلى أسماء مشهورة من العلماء، واستدعائهم للتدريس بها وحتى تقريبهم من مجالسهم الخاصة أين نالوا مكانة سامية.

---

[1]– ابن مريم ،المصدر السابق، ص243.

[2]– محمد بن شقرون، المرجع السابق، ص 68.

[3]– عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري الفكري، دار النشر المعرفة، الرباط– المغرب، ط2، 1421هـ/2000 م، ص 131.

المبحث الثاني: تشييد المؤسسات العلمية والدينية وخزائن الكتب.

إن محاولة فهم البيئة العمرانية كناتج مادي للثقافة لابد أن يرتبط بفهم واع لعناصر الثقافة اللامادية ليس باعتبارها كناتج متأثر بل كناتج مؤثر أيضا، ما يعني أن البيئة المبنية وسيلة فعالة يستطيع من خلالها المجتمع أن يؤكد هويته وتميزه عن المجتمعات الأخرى[1] ؛ ومن هنا فقد عكست العمارة الإسلامية صورا ومظاهر معبرة عن المنظومة القيمة للمجتمع الإسلامي، ورؤيته الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي حددها الإسلام، وشخص معالمها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- وحصر شروطها وأركانها الفقهاء والمفكرون والفلاسفة، كل على حسب اجتهاده وفهمه لما ورد في القرآن والسنة من أوامر ونواهي ساعدتهم على رسم صورة لمختلف جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي، فجاءت المدن الإسلامية مستجيبة لتطلعات المسلم الدينية والاجتماعية والاقتصادية[2].

فحرص أمراء وسلاطين دولة بلاد المغرب على دعم الحركة الفكرية في بلدانهم بتشييد المؤسسات المختلفة التي قامت بأدوار دينية وتعليمية والتي تنوعت بين المساجد والجوامع والكتاتيب والمدارس وخزائن الكتب والحرص على تعميرها واختيار القائمين على تسييرها والتدريس بها.

---

[1]- مصطفى داودي: "الحركة العمرانية الإسلامية والدلالات الحضارية خلال العصر الوسيط" ضمن أعمال الملتقى الدولي: تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والميراث الفني، 3-4-5 أكتوبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص50.

[2]- عبد العزيز لعرج: "العمران الإسلامي وعمارته السكنية قيم دينية ودلالات اجتماعية" في **حولية المؤرخ** تصدر عن إتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (3-4)، 1426هـ/ 2005 م، ص 7.

1. المساجد والجوامع:

كان أول عمل يقوم به الفاتحون هو إقامة المساجد أو تجديدها، فهو مركز نشاط المدينة المسلمة وقلبها النابض[1]، فقد قام المسجد بمختلف أشكاله وأحجامه بدور كبير كأداة تعليم وتربية ونشر للثقافة، وهي أداة لا تتجه لطبقة خاصة من المجتمع ، بل إنها مؤسسة شعبية تتصل بعامة الناس على الدوام، تبليغ التعاليم نفسها في كل مكان مما يؤدي إلى بروز إطار فكري واحد[2]، ولعل هذا الأمر كان وراء الاهتمام الكبير الذي أباه الأمراء والسلاطين لبناء وتعمير وحتى الإشراف عل تعيين الخطباء والمفتين على بعض المساجد التي تم بناؤها أو تجديدها بعد الإستلاء على أقطار جديدة، وخير مثال عل هذا الموضوع، ما فعله سلاطين بني مرين في المغرب الأوسط، هذا إلى جانب كون المسجد أكبر معهد للدراسة ولم يكن للعبادة فقط، فقد قام بدور المدارس والمعاهد العليا وأصبح مركز إشعاع ثقافي يشرف على الدراسات العلمية والفكرية[3]، فما يمكن قوله أن المسجد قد اجتمعت له وظيفتان: دينية وثقافية[4]، وقد أدى ذلك الارتباط الوثيق بحياة المجتمع الإسلامي إلى انتشار واسع للمساجد على كامل تراب بلاد المغرب الإسلامي، من أشهرها نذكر ما يلي:

1.1. المغرب الأدنى:

تشير بعض الدراسات إلى أن عدد المساجد والجوامع في تونس الحفصية قدّر بمائتي جامع ومسجد جمعت في وظيفتها بين العبادة والتعليم[5]، أشهرها:

[1] – عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 145.
[2] – محمد رزوق،المرجع السابق،ص 72.
[3] – مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والفكرية، ص 66.
[4] – عبد الله كنون، النبوغ، ج1، ص 47.
[5] – احمد بن عامر،المرجع السابق،ص106؛جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص 169.

- **جامع القيروان:** اختط هذا المسجد على يد الفاتح عقبة بن نافع سنة 50هـ/ 670 م، ويعد محراب مسجد القيروان أقدم محراب أدخل على المساجد، وقد حوفظ عليه حتى أن الإصلاحات اللاحقة لم تمسه[1]، من ذلك ما ذكره الدباغ حول قيام حسان بن النعمان بتجديد بناء المسجد: " ثم قدم القيروان فأمر بتجديد بناء المسجد الجامع، فبناه بناءا حسنا وجدده، وذلك في شهر رمضان من سنة أربع وثمانين من الهجرة...[2]"،فقد كان كل وال يلي القيروان يريد أن يكون جامعها من بنيانه و كانوا يتركون منه المحراب تبركا ببناء عقبة[3].

وقد لقي هذا المسجد عناية كبيرة في العهود اللاحقة إلى غاية العهد الحفصي بعد الإفساد الذي لحقه في منتصف القرن الخامس الهجري/11 م مع الزحف الهلالي، خاصة كون مئذنته تعد أقدم المآذن الباقية من العمارة الإسلامية الأولى[4].

- **جامع الزيتونة:** أنشأه حسان بن النعمان الذي كان قد جدد جامع القيروان، سنة 84هـ/ 702 م، وكان موضع تحسينات كثيرة[5]، بما فيها العهد الحفصي في ولاية أبي زكريا يحي الواثق[6]. أما السلطان أبو فارس عبد العزيز فأوقف خزائن الكتب المشتملة على أمهات الدواوين على جامع الزيتونة لطلبة العلم[7]، الذين قدر عددهم بثلاثة آلاف طالب والذين تلقوا فيه العلوم الشرعية وهي أكثر ما يدرس في الجوامع عادة[8].

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ص 10 ؛ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 80.

[2]- الدباغ ، المصدر السابق، ص67.

[3]- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص114.

[4]- للمزيد من التفصيل ينظر: سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المصارف، الإسكندرية، 1406هـ/ 1986 م، ص- ص 291- 292.

[5]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 299.

[6]- الشماع، الأدلة البينة، ص 74.

[7]- نفسه، ص 144.

[8]- جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص 169.

ومن الجوامع التي أسست في المغرب الأدنى نذكر:

- **جامع القصبة:** أسسه السلطان أبو زكرياء الأول سنة 629هـ.
- **جامع التوفيق** أو **جامع الهواء:** بتونس بنته الأميرة عطف سنة 695هـ.
- **جامع الحلق:** يقال أنه من مآثر أمة زنجية قيل أنها أسسته في القرن 8هـ/14م.
- **جامع التبانين** أو **جامع النفاتة:** من مآثر السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان.
- **جامع الصفصافة**[1] **ومسجد الأخوات** بسوسة يقع بجانب القصبة[2].

2.1. المغرب الأوسط:

بالرغم من انشغال بني عبد الواد بتأمين وجودهم والدفاع عن حوزة بلادهم، عن التعمير والبناء بسبب الصراع السياسي والعسكري خاصة من الجانب المريني وحصاراته [3] المتوالية، فإن الملوك الزيانيين لم يدخروا جهدا في الظهور بمظهر الحكام المولعين بالعلم والمقدرين لأهله كلما سمحت الظروف[4]،فقد تجلت القيمة التاريخية في العمائر الإسلامية من خلال ذلك التسابق المحموم في ظل صراع من الأفضل ومن الأبقى في تشييد العمائر التي تخلد أسماءهم وتمجد عصورهم.[5]

وقد بدأ النشاط العمراني في مدينة تلمسان مع أول مسجد بني بها بما ورثته من تراكم حضاري إسلامي وهو ما ساهم في جعلها مركز إشعاع حضاري في العهد الزياني[6].

---

[1] - ابن أبي دينار ،المصدر السابق،ص133؛جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق ، ص 200.

[2] - احمد بن عامر،المرجع السابق،ص106؛انظر الملحقين رقم04و05.

[3] - عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي ،ص 190؛ جورج مارسي ،مدن الفن الشهيرة: تلمسان، ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر التل، الجزائر، 1425هـ/2004م، ص34؛ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص81.

[4] - ومع هذا يلاحظ قلة المباني والمؤسسات والمرافق العامة التي شيدها بنو عبد الواد في تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط إذا ما قورنت بفترة حكمهم الطويلة نسبيا، والتي تربو عن الثلاث قرون:عبد العزيز لعرج، المباني المرينية،ص32.

[5] - مصطفى الداودي،المرجع السابق،ص54.

الزياني[1]. لكن من الصعوبة الجزم بأسماء كل المساجد التي تواجدت بتلمسان وضواحيها، أو حتى عددها ويبقى هذا الأمر محل اجتهاد الباحثين، إذ تفيدنا إحدى الدراسات أن عددها بلغ حوالي الستين مسجدا[2]، اشتهرت منها المساجد التالية:

- **المسجد الجامع بأغادير**: يعد من أقدم مساجد تلمسان بني من قبل إدريس الأول سنة 174هـ/790م وصنع له منبرا[3] إذ يعتبر هذا الأخير من أقدم عناصر المسجد وأهمها[4] وقد بني هذا المسجد من الأحجار التي فككت من المعبد الروماني القديم الموجود بالمكان[5]، ويفهم من كلام ابن أبي زرع الفاسي أن إدريس الثاني قام بترميم جامع تلمسان وصنع له منبرا لقدم سابقه[6]، ونظرا لأهميته الوظيفية أقدم يغمراسن بن زيان بناء مئذنته، فأصبح مسجد أغادير مركزا للدراسات الدينية والأدبية أصبح تأسيسه مبدأ الارتكاز للحياة الثقافية ومصدر إشعاع للمدينة[7].
- **جامع تلمسان الكبير**: يعدّ من أهم الإسهامات الحضارية للمرابطين بتلمسان، شيد في عهد أميرهم يوسف بن تاشفين أثناء بنائه لمدينة تاكرارت 473هـ/1080م، وأعاد بناءه

---

[1]- عبد العزيز لعرج: " المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها " في **حوليات جامعة الجزائر**، العدد السادس، الجزء الأول: ديوان المطبوعات الجامعية، 1413هـ/1992م، الجزائر، ص 105.

[2]- Brosselard (ch) : « les inscriptions arabes de Tlemcen, revue Africaine, 3esme année, N0 14 Décembre, 1858, P83.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب،ص 21 والأرجح أنه أول مسجد جامع إلى جانب مساجد أخرى صغيرة ينظر: محمد بن معمر: "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية" في حولية **المؤرخ**، العدد (3-4)، 1426هـ/ 2005م، ص 102.

[4]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ، ص 268.

[5]- لخضر عبدلي، التاريخ السياسي،ص 31 إحالة رقم (33).

[6]- الأنيس المطرب،ص 50؛ رشيد بورويبة:" جولة عبر مساجد تلمسان" في مجلة **الأصالة**، صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26 ، 1395هـ/1975م، ص172.

[7]- عبد العزيز لعرج، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية، ص 32؛ صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص85؛ محمد بن معمر، المرجع السابق، ص 103.

ابنه أبو الحسن علي سنة 530هـ/1135م، كما تدل عليه الكتابة الأثرية أمام المحراب[1]، أما المئذنة فأسسها يغمراسن بن زيان، لأهمية هذا المسجد أيضا ودوره التعليمي إذ كان أشبه بالمعاهد العليا تدرّس فيه الاختصاصات المختلفة[2].

- **مسجد سيدي أبي الحسن التنسي**: يقع بالقرب من المسجد الأعظم، قام بتأسيسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان 696هـ/1296م[3]، لكنه لم يحمل اسم مؤسسه بل أخذ أخذ اسم عالم عاش في عهده هو أبو الحسن التنسي، وهو مسجد صغير جدا مقارنة بالجامع الكبير، لكنه يحوي ضمن مكوناته عناصر فنية من أجمل ما أبدع في العالم الإسلامي[4].
- **مسجد أولاد الإمام**: يقع وسط المدينة، بني من قبل السلطان أبي حمو موسى الأول سنة 710هـ/1310م[5] ليكون ملحقا للمدرسة التي شيّدها هذا السلطان باسميهما[6]، ولم يبق من هذا المسجد سوى المئذنة وبعض العناصر المزينة للمحراب، بينما نقلت بعض القطع الأثرية الأخرى إلى المتحف البلدي بتلمسان[7].
- **مسجد سيدي إبراهيم المصمودي**: يعود تأسيس هذا المسجد إلى عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى جانب قبة وزاوية ومدرسة، لكن اندثرت كل من الزاوية والمدرسة وبقي المسجد والقبة[8].

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص 172.

[2]- المرجع نفسه،ص174؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 85؛ عبد العزيز بومهرة،المرجع السابق، ص127؛انظر الملحق رقم06.

[3]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ،ج1،ص 146، جورج مارسي، المرجع السابق، ص51.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص175.

[5]- Attallah Dhina ,op, cit, P.216.

[6]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ،ج1،ص147؛ محمود بوعياد، جوانب،ص 81.

[7]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ،ج1،ص 147.

[8]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص176؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى،ص 181.

3.1. المغرب الأقصى:

شهد العصر المريني بناء العديد من المساجد التي دُرِّست بها مختلف العلوم والمعارف الشرعية واللغوية ولأدبية، وعقدت فيها المجالس التعليمية وحلقات الوعظ والإرشاد[1]، وعددها كبير جدا، ففي مدينة فاس وصل عددها إلى زهاء الثمان مائة، منها الأندلس والأشياخ والشرفاء ودرّاس بن إسماعيل ومسجد بن محسود ومسجد الطالعة ومسجد زقاق الماء ومسجد الحوراء وغيرها[2] ، لكن ما اشتهر منها نذكر:

- **الجامع الكبير**: أسسه يعقوب المريني وقد كمل بنائه سنة 677هـ/ 1279م، وكانت نفقات بناء هذا المسجد من مداخيل معصرة مكناس، وسخرت له جهود كبيرة بما فيها استقدام الأسرى الإسبان في البناء[3].
- **مسجد السوق الكبير**: أسسه القائد عبد الله الطريفي حاجب السلطان المريني أبي سعيد الثاني أوئل القرن التاسع للهجرة/ 15م، وقد نجد له عدة تسميات أخرى حسب العصر فقد نجده حسب احدى الدراسات بإسم جامع الغريبة، وأن تسمية السوق الكبير ترجع إلى زمن بنائه[4].

- **جامع القرويين بفاس**: أسس هذا الجامع سنة 245هـ/ 859م من قبل فاطمة الفهرية[5]، وكلمة القرويين تخفيف للفظ القيروانيين نسبة إلى القيروان[1]، وقد عرف الكثير من

[1]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 268

[2]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 123.

[3]- محمد المنوني، ورقات، ص 28.

[4]- ينسبها محمد المنوني إلى الفرد بل،المرجع السابق، ص 52.

[5]- فاطمة أم البنين هي فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني وتكنى أيضا بأم القسم، وقد وردت من إفريقية مع أفراد أسرتها على المدينة حيث سكنت عدوة القرويين على مقربة من مكان الجامع الذي كتب لها الشرف تشييده ينظر: (عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 152)

التحسينات والتوسيعات على عهود الدول المتعاقبة بالمغرب الأقصى، وفي العهد المريني اكتملت صورته في شكل جامعة حقيقية من حيث البرامج التعليمية ونظام التعليم الذي كان متبعا به وطاقمه التدريسي[2].

ويعد هذا الجامع أقدم جامعة علمية في العالم الإسلامي إذ تلقى في أروقتها دروس في مختلف العلوم والفنون فمنذ إنشائه كان مركزا للدراسات الدينية و الأدبية وتأسيسه كان مبدأ الارتكاز للحياة الفكرية بالمغرب[3] حيث كانت السلطة المرينية واعية بأهمية الثقل الديني والتعليمي بل والسياسي في الذي كان بإمكان جامع القرويين أن يلعبه من خلال احتضان بعض الفقهاء المعارضين للتوجه السياسي المريني فوجد نوع من الرقابة على الحلقات التعليمية التي كانت تعقد بالقرويين[4]

هذا إلى جانب المساجد التي أسسها بنو مرين بتلمسان :

- **مسجد المنصورة**: بني هذا المسجد في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني في أثناء حصاره لمدينة تلمسان سنة 698هـ/1298م، فبعد أن اختط بمكان فسطاط معسكره قصرا لسكناه، اتخذ به مسجدا للصلاة ثم أمر الناس بالبناء وأدار سياجا من الأسوار عليها، فكان المسجد الذي شيده سنة 702هـ/1302م، من أعظم المساجد لما خصه به من اهتمام خاصة مئذنته[5] التي لا تزال ماثلة للعيان؛ بل واعتبر بناء مدينة المنصورة انتصارا حضاريا حقّقه أبو يعقوب إلى جانب انتصاراته العسكري[6].

---

[1]- نفسه، ص 51.

[2]- عبد الرحمن بالأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي، ص 152.

[3]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص47.

[4]- مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص15.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج7،ص293؛محمد عيسى الحريري،المرجع السابق،ص 320؛انظر الملحق رقم 07.

[6]- عبد العزيز لعرج، مدينة المنصورة، ص35.

- **مسجد سيدي أبي مدين:** شيد بأمر من السلطان أبي الحسن علي سنة 739هـ/1339م، بقرية العباد بجانب صريح الولي الصالح أبي مدين شعيب، وأوكل الإشراف على بنائه لعم صاحب المسند ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق)[1].
- **مسجد سيدي الحلوي:** شيد هو الآخر تخليدا لذكرى العالم الصوفي الشهير أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي (ت 737هـ/1337م) بأمر من السلطان المريني أبي عنان فارس، وهو يشبه إلى حد كبير مسجد سيدي بومدين[2].

4.1. مساجد وجوامع غرناطة:

يذكر الغزال في رحلته أن غرناطة والمدن المجاورة لها كان بها العديد من المساجد والتي كان لها أدوار كبيرة في بعث الحركة العلمية فيها كمسجد القيصارية ومسجد المنصورة ومسجد المرابطين وابن سحنون وغيرها[3]، وهذه المساجد لا تقل أهمية عن المساجد الأخرى التي اشتهرت خلال فتر حكم بني الأحمر مثل:

- **المسجد الجامع بغرناطة:** بنى هذا المسجد ثاني سلاطين بني نصر محمد بن محمد بن نصر الملقب بالفقيه وعدّ من أهم مناقبه وذكرته العديد من المصادر منها ما قاله لسان الدين بن الخطيب:

---

[1]- ابن مرزوق، المسند،ص-ص 287-288؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ،ج1، ص 147.

[2]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق،ص 322؛ R.Bourouiba op, cit, p. 169-170

[3]- أحمد بن محمد الغزال، نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1404هـ/ 1984م، ص 84. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من هذه المساجد تم تحويلها إلى كنائس بعد استيلاء النصارى عليها مثل مسجد المرابطين الذي حول إلى كنيسة سان خوسي (San Jose) ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقة في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1417هـ/ 1997م، ص 168.

"وأعظم مناقبه ابتناء المسجد الأعظم بالحمراء من غرناطة على ما هو عليه من الظرف والتنجيد والترقيش من فخامة العمد واحكام أتوار الفضة وإبداع ثرياتها ووقف عليه الحمام بإزائه...[1] ".

- **مسجد الحمراء الأعظم:** بني من قبل السلطان محمد الثالث المعروف بمحمد المخلوع حوالي سنة 705هـ/ 1305م، وعلى الرغم من صغر مساحته فإنه يعد من أفخم مساجد غرناطة، وكان مزود بالعمد الزخارف والثريات الفخمة، لكنه هدم وبني مكانه الكنيسة التي سميت بإسم كنيسة سانتا ماريا[2].

وعلى العموم فإن هذه المساجد شهدت مجالس علمية في مختلف العلوم والفنون، منها علوم القرآن والحديث النبوي والفقه والتصوف وهما ما أعطى دفعة قوية للتعليم بالأندلس[3].

2. الكتاتيب:

عندما استقر المسلمون في بلاد المغرب بداية من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، وبعد بناء مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري عام 50هـ/ 670م، واتخذها مدينة دائمة للمسلمين فأنشأوا الدور والمساجد ومن تم التفتوا إلى أطفالهم فاتخذوا لهم الكتاب[4]، الذي كان المكان الأول الذي يتلقى فيه الصبي تعليمه وهو أشبه بمرحلة التعليم الإبتدائي، وعادة تنتهي هذه المرحلة بحفظ القرآن الكريم وبعض المعارف الأخرى[5].

[1] - لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص- ص 62- 63.
[2] – محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية، ص 208.
[3] – عبد القادر بوحسون، الأندلس على عهد بني الأحمر، ص 115.
[4] – بشير رمضان التليسي، المربع السابق، ص 366.
[5] – نفسه، ص 364.

وقد واكب انتشارها توسع الفتوحات الإسلامية وتحمس الناس الشديد للقرآن الكريم وعنايتهم بأمر دينهم والقيام بنشر دعوته[1]، ورغم عدم توفر إحصائيات حول العدد الفعلي لهذه المؤسسة[2]، إلا أن انتشارها ظل في ازدياد في المدن الكبيرة كتونس وسوسة وصفاقس حتى لم يخل منها دربا من الدروب أو حي من الأحياء، وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد فيها[3]، بل إن انتشارها كان في كل أنحاء بلاد المغرب الإسلامي[4].

وكان موضع التعليم من الأولياء[5]، فقد ورد النهي عن تعليم الصبيان في المساجد[6]، ويقوم بالتعليم معلم يتعاقد مع أولياء أمور التلاميذ على أجر معين، لكن كتب الطبقات لم تذكر أولئك المعلمين لعدم اشتهارهم في المجالات العلمية الشائعة آنذاك، فضاعت الكثير من التفاصيل حولهم، وحول جهودهم في التعليم وتهيئة النشئ للمراحل التالية من التعليم[7].

3. المدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية والتعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي، وأول مدرسة بنيت في الإسلام هي البيهقية بمدينة نيسابور أوائل القرن 5هـ/ 11م، وفي سنة

[1] - محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392هـ/ 1972م، ص 33.
[2] - عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 424.
[3] - محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 37 من مقدمة التحقيق.
[4] - مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 76.
[5] - محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 130؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 247.
[6] - الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 83.
[7] - عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 423.

457هـ/1065م قام الوزير السلجوقي نظام الملك ببناء المدرسة النظامية ببغداد[1]، وأصبحت في عهده مؤسسة حكومية تقدم العلم والرعاية لطلبة العلم ومدرسين الذين أصبحوا موظفين رسميين[2].

وانتقل نظام المدارس إلى بلاد المغرب والأندلس بعدما يقرب من القرن من ظهورها في المشرق[3]، وهذا بعد أن كان النشاط التعليمي موزعا بين الكتاب والمسجد، فظهرت المدرسة في في تونس مند منتصف القرن 7هـ/13م، ومنها إلى فاس بالمغرب الأقصى ثم بتلمسان، ولم تظهر بغرناطة إلّا في منتصف القرن 8هـ/14م[4]، تعتبر المدرسة مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في العصر الإسلامي[5]، كما خضعت مراكز التعليم سواءا الكتاتيب أو المدارس لمراقبة المحتسبين للتأكد من سلامة المحلات أولا ثم مراعاة قانون الاعتدال في تأديب الصبيان وقواعد الشريعة ومنع أدعياء العلم من التصدي لتعليم الناس[6].

1.3. المدارس الحفصية:

يعتبر الحفصيون السباقين إلى إنشاء المدارس في بلاد المغرب، وتوجد معظمها في مدينة تونس[7]، والملاحظ أن تلك المدارس أسست في عهود السلاطين الأقوياء الذين حكموا

---

[1] – عبد الرحمن بلعرج، العلاقات دول المغرب الإسلامي، ص 153.

[2] – سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 412.

[3] – عبد العزيز لعرج، المباني المرينية، ص 306.

[4] – عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 427.

[5] – محمد مكيوي، المرجع السابق، ص 92.

[6] – موسى لقبال، الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، دار هومة، الجزائر، ط2 1423هـ/ 2002م، ص 30.

[7] – إبرهيم بلحسن، المرجع السابق، ص 86.

لمدة زمنية طويلة واستطاعوا أن يتغلبوا على المشاكل الداخلية، فكانت المدارس بالدولة الحفصية أنشئت لتكريس المذهب الموحدي الملغى في قاعدة الحكم مراكش اذ لم يكن الحفصيون متابعين للموحدين في أسس التنظيم فحسب بل كانوا يستمدون أصول ثقافتهم من الثقافة الموحدية ولذلك فان الأمير أبا زكريا الحفصي بنى المدرسة لتدريس المبادئ الموحدية [1]، وأهم تلك المدارس نذكر:

- **المدرسة الشماعية**: أسسها الأمير أبو زكريا الحفصي سنة 633هـ/ 1235م وسميت كذلك لقربها من سوق الشماعين، وكانت تعرف بأم المدارس وقد تزامن بناؤها مع فترة الإستقلال عن الدولة الموحدية، من أعلام مدرسيها قاضي الجماعة الشيخ إبن عبد السلام[2].
- **المدرسة المعرضية**: أمر السلطان الحفصي أبو زكريا الثاني بإشائها سنة 683هـ/ 1284م، تصدر التدريس بها أبو العباس أحمد الغرناطي، وقد أجرى السلطان رزقا كثيرا على المدرس، وحبس عليها كتبا نفيسة في كل فن من فنون العلم[3].
- **المدرسة المنتصرية**: أنشئت سنة 839هـ/ 1436م من قبل أبي عبد الله محمد المنتصر بالله إلا أنه لم يتمها بل أتمّها من بعده أخوه أبو عمرو عثمان سنة 841هـ/ 1438م[4]، ولم

ولم يكن إنشاء المدارس قاصرا على السلاطين فقط وإنما شاركت النساء وكبار رجال الدولة في ذلك منها:

---

[1]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق،ص379؛ بوبة مجاني: "المدارس الحفصية نظامها ومواردها" في **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة منتوري، العدد12، قسنطينة، 1999م ص- ص 157- 159.

[2]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص 56، الزركشي، المصدر السابق، ص 71؛ انظر الملحق رقم 04.

[3]- الزركشي، المصدر السابق، ص 51.

[4]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص 120.

- **المدرسة التوفيقية:** وتسمى مدرسة جامع الهواء وهي من آثار الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكريا الحفصي، بنيت سنة 650هـ/ 1252م[1].
- **المدرسة العنقية:** أنشئت سنة 742هـ/1341م من قبل الأميرة فاطمة أخت السلطان أبي زكريا على نفقتها الخاصة، وعند إتمامها طلبت أن يكون قاضي الجماعة ابن عبد السلام مدرسا بها[2].

وهذا إلى جانب مدارس أخرى أسسها الحفصيون في بعض المدن الداخلية وهناك مدارس لم يعرف مؤسسوها لكنها انتشرت في قسنطينة وبجاية[3].

2.3. المدارس الزيانية:

حظي التعليم بمكانة راقية لدى سلاطين الدولة الزيانية فعملوا على ترقيته ببناء مؤسساته واستقدام كبار العلماء للتدريس بها ومن أشهر مدارس الدولة الزيانية بتلمسان هي:

- **مدرسة ابني الإمام:** وتعرف أيضا بالمدرسة القديمة[4]، وهي أول مدرسة بالمغرب الأوسط أسسها السلطان أبو حمو موسى الأول سنة 710هـ/1310م، تكريما للعالمين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني الإمام فنسبت إليهما[5]، وصفها المقري وما لحقها من إهمال،

---

[1]- أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 123.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 71.

[3]- إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص 89.

[4]- رشيد بوروبية، الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين، تعريب: محمد بلفراد، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ،ص 498؛ Attallah Dhina ,Op, Cit, P.316

[5]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص 202، صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص 191،
R,Bourouiba ,L'art religieux musulman en Algérie S.N.E.D.Alger.P. 171.

وتراجع دورها كأول مركز تعليمي رسمي في تلمسان منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر للميلاد[1].

ولم يبق منها اليوم سوى المسجد والمنارة الذين بنيا بجانبها ويعرف عند أهل تلمسان بمسجد أولاد ليمام[2].

- **المدرسة التاشفينية:** بلغ العمران في عهد أبي تاشفين الأول مبلغا عظيما من الازدهار والرقي، فقد كان من اهتمامات هذا السلطان[3]، وتعدّ المدرسة التي أمر ببنائها ثاني مدرسة في المغرب الأوسط فجاءت تحفة فنية رائعة أودع فيها أجمل نماذج الزخارف التي احتوت عليها قصوره وسميت بعد ذلك باسمه.وقد أسند مهمة التدريس بهذه المدرسة لأبي موسى عمران المشدالي[4]، ولم تزل أفخم مدرسة بالمغرب الأوسط إلى عهد الاحتلال الفرنسي، الذي قامت سلطاته بهدمها ووضع ما بقي من آثارها بين جدران المتاحف[5].
- **المدرسة اليعقوبية:** يذكر يحي بن خلدون أن اليعقوبية من أعمال السلطان أبي حمو موسى الثاني، وذلك نسبة إلى والده أبي يعقوب ويطلق عليها أيضا مدرسة سيدي إبراهيم

---

[1]- أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري ، ص 140؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق،ص 55.

[2]- محمد بوشقيف، المرجع السابق،ص 56.

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص 140.

[4]- هو أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي التلمساني، قرّبه السلطان الزياني أبو تاشفين ، ومن بين العلوم لتي درّسها الفقه والأصول: (يحي بن خلدون ، المصدر السابق،ج1، ص121؛ العقباني، المصدر السابق، ص 56، 140؛ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتريز الديباج ، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/ 2004م،ج1، ص396؛ رابح بونار: "عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر" في مجلة: **الأصالة**، العد 19، ربيع الأول/ أفريل، 1394هـ/1974م ، الجزائر ، ص 307).

[5]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص62؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص144؛ جورج مارسي، المرجع السابق، ص54.

المصمودي (ت805هـ/1402م) الذي توفي ودفن بها وظلت تعرف المدرسة بهذا الاسم حتى اليوم[1].

ورغم أهمية هذا المشروع وما حقّقه من مكاسب تعليمية وتربوية للدولة الزيانية، إلا أن المصادر لم تسعفنا بتفاصيل وافية عنه ومثال ذلك الخلاف الحاصل حول تاريخ بداية بنائها وغياب معطيات الظروف التي أحاطت بتأسيس هذه المدرسة، لكن تاريخ الانتهاء من بنائها وبداية التدريس بها كان سنة 765هـ/1363م من قبل أبي عبد الله الشريف العائد من فاس[2]، وجرى هذا الأمر في أجواء احتفالية على عادة بني زيان في تدشين مثل هذه المشاريع التي كانت تحظى بعناية السلطان نفسه[3].

وإلى جانب هذه المدارس، نجد في بعض المصادر أسماء لمدارس أخرى مثل مدرسة منشار الجلد ومدرسة سيدي الحسن أبركان لكن دون ذكر تواريخ إنشائها ولا تحديد مواقعها[4].

3.3. المدارس المرينية:

إن مشروع إنشاء المدارس المرينية خلال القرنين 7هـ/ 13م و8هـ/ 14م قد ارتبط بالتطورات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عرفها المغرب والاضطربات التي عرفها هذا الأخير على إثر تدهور الخلافة الموحدية وظهور الدولة المرينية أدت إلى انخفاض

1- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص-ص 150-152.

2- التنسي، المصدر السابق،ص 180؛ أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1398هـ/1978م،ص 104، محمود بوعياد، "مخطوطات لم تكتشف زهر البستان في دولة بني زيان" في مجلة: **الثقافة**، صدرت عن وزارة الإعلام والثقافة، العدد 13 صفر/ مارس، 1393هـ/1973م، ص61.

3- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص 151.

4- ابن مريم، المصدر السابق،ص-ص 230-240؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص 434؛ تشير إحدى الدراسات إلى أن منشر الجلد يوجد مسجد سيدي البناء: (محمد بن رمضان شاوش وابن حمدان الغوتي، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، طبع هـ. داود بريكسي، تلمسان، 1422هـ/ 2001م، ص276).

القيمة الفكرية في البلاد كما أن تهميش المذهب المالكي خلال العصر الموحدي أدّى إلى اختفاء عدد كبير من فقهاء المالكية على الساحة الفكرية فكان إنشاء المدارس التعليمية داخل فاس وخارجها من أهم وسائل تشجيع الحركة الفكرية[1]، وفي نفس الوقت شكلت المدارس إحدى الأدوات الهامة التي عولت عليها السلطة المرينية في بناء توازناتها الداخلية بتخريجها لأطر مرتبطة مباشرة بالتوجه المريني [2]، وبالتالي فإن التعليم بتلك المدارس لم يقتصر على كونه مجرد رصيد معرفي تلقيني وإنما كونه اتجاها وفلسفة وسياسة[3]، ومن هذا المنطلق حرص سلاطين وحكام الدولة المرينية المتعاقبون على إنشاء المدارس في فاس وغيرها من المدن التي دخلت تحت حكمهم، من أشهر تلك المدارس نذكر:

- **مدرسة الصفارين**: وتسمى أيضا بالمدرسة اليعقوبية أو مدرسة الحلفاويين وهي أول المدارس المنشأة بفاس بقبلة جامع القرويين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 670هـ/1271م[4]، وقد أشرف على بنائها قاضي مدينة فاس أبو أمية الدلائي[5]، وقد بنيت هذه المدرسة على يديه وكان أول من سنّ سنة بناء المدارس بحضرة فاس[6].

[1]- السعيد لمليح: "موقف فقهاء فاس من مشروع إنشاء المدارس المرينية" في مجلة :**مكناسة**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناسة، العدد 13، مكناس، المغرب، 1999، ص 161.

[2]- مصطفى نشاط، المرجع السابق،ص17.

[3]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص 66.

[4]- الجزنائي، المصدر السابق، ص 81، 111 ؛ السعيد لمليح، المرجع السابق، ص 164 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 360.

[5]- هو مفضل بن محمد بن محمد بن ابراهيم العدري، كان من أهل الفضل والمعرفة رحل إلى المشرق وسمع من عز الدين بن عبد السلام، وبعد عودته إلى الأندلس ولي قضاء ألمرية وغيرهامن المدن، ولما جاز إلى المغرب ولاه يعقوب بن عبد الحق المريني قضاء الجماعة بحضرة فاس: أحمد بن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص339.

[6]- المصدر نفسه، ص 339؛ انظر الملحق رقم 09.

وقد جاءت مدرسة الصفارين بسيطة في فنها المعماري، حيث يحتوي صحنها في الوسط على بركة مستطيلة الشكل اصطفّت على جوانبها غرف الطلبة، وألحق بها مصلى صغير تؤدى فيه الصلوات[1].

وقد ألحق بها منشئها خزانة علمية أوقف عليها المخطوطات المنوعة التي تسلمها من الملك القشتالي بعد معاهدة الصلح سنة 684هـ/ 1286[2].

وقبل وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق أنشأ مدرسة أخرى بمراكش ومسجد جامعا بمكناس يضم مدرسة، ومدرسة أخرى في فاس في مسجد جامع القرويين[3].

- **مدرسة المدينة البيضاء:** وسميت أيضا مدرسة فاس الجديد، وشيدت بأمر أبي سعيد الأول وشرع في بنائها سنة 720هـ/ 1320م، وكمل بناؤها وبدئ بالإقراء بها وسكناها سنة 721هـ/1321م[4]، وع تدشين هذه المدرسة، أصبح تميلها يعتمد على الأحباس وأصبح السلاطين يحبسون أملاكهم على المدارس تقربا لله بنشر العلم وإحيائه[5].
- **مدرسة الصهريج:** أو المدرسة الكبرى، بناها الأمير أبو الحسن المريني وهي مدرسة مجاورة لمدرسة السبعيين قرب جامع الأندلس بعدوة الأندلس[6] وغلب عليها اسم مدرسة الأندلس، الأندلس، وكمل بناء المدرسة الكبرى 723هـ/ 1323م
- **مدرسة السبعيين:** أو المدرسة الصغرى وهي الأخرى من عمل الأمير أبي الحسن المريني أيام ولاية عهده وقد أمر بإنشاء المدرستين عام 720هـ/ 1321م[1].

---

[1]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 324.

[2]- محمد المنوني، ورقات، ص 240.

[3]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 287.

[4]- محمد المنوني، ورقات، ص 240.

[5]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 288.

[6]- الجزنائي، المصدر السابق، ص 37، 111؛ محمد المنوني، ورقات، ص 240.

- **مدرسة العطارين:** أمر ببنائها أبو سعيد عثمان مستهل سنة 723هـ/ 1323م، ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم وأسكنها بالطلبة وأوقف عليها الأملاك احتسابا لله تعالى ورجاء ثوابها على حد قول ابن أبي زرع الفاسي[2]، لكن الثريا المعلقة في مصلى هذه المدرسة من عمل أبي سعيد الأول[3]، من أشهر مدرسيها أبو العباس أحمد بن قاسم المعروف بالقباب وابن البناء المراكشي[4].
- **المدرسة المصباحية:** أو مدرسة الرخام بعدوة القرويين بناها أبو الحسن المريني، وكان أول مدرّس بها مصباح بن عبد الله اليصولتي (تـ 755هـ/ 1258م) فنسبت إليه[5].
- **المدرسة العنانية:** أنشأها السلطان أبو عنان المريني بفاس وتعرف أيضا بالمدرسة المتوكلية وذلك سنة 750هـ/ 1349م، وصفها الكتاني بأنها من المدارس العجيبة[6]، وقد زار أبو عنان هذه المدرسة عند تمامها، فلما عرض عليه المهندس القائم على تنفيذها ملف تكاليف البناء ألقى به أبو عنان في الوادي الذي يجلب الماء للمدرسة وقال قولته المشهورة:

ليس لما قرّت به عين ثمن لا بأس بالغالي إذا قيل: حسن[7]!

وأول من درس بها الإمام أبو عبد الله المقري[8]، وتعتبر المدرسة العنانية قمة الفن المعماري المريني إذ أن الآثار المعمارية السابقة كانت لا تزال تحت تأثير الفن الموحدي الذي يمتاز بالبساطة والبعد عن كثرة الزخارف مسايرة لمبادئهم الدينية، بل اهتم المرينيون بالنقش على

---

[1] – محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 240؛حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص43.
[2] – الأنيس المطرب، ص 413؛ انظر الملحق رقم 09.
[3] – محمد المنوني، ورقات، ص 242.
[4] – هوارية بكاي، المرجع السابق، 293.
[5] – الجزنائي، المصدر السابق، ص 37، 111 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 324.
[6] – سلوة الأنفاس، ج3، ص 278.
[7] – المصدر نفسه، ج3، ص 278.
[8] – المقري، أزهار الرياض، ج1، ص5.

مختلف المواد كالجبص والخشب وترصيع الأرض والجدران بالزليج المختلف الألوان واستخدموا الرخام[1].

وما يلاحظ هو أن المدارس المرينية أسست في عهود السلاطين الأقوياء الذين تركوا بصماتهم في تاريخ الدولة المرينية، وتوزعت تلك المدارس على كامل التراب المغربي لتشمل أيضا المناطق التي توسعوا على حسابها في فترات معينة منها تلمسان وأشهر تلك المدارس:

- **مدرسة سيدي أبي مدين:** أنشأها السلطان أبو الحسن علي سنة 747هـ/1347م، في قرية العباد وغلب عليها اسم العباد، أطلق عليها أيضا اسم المدرسة الخلدونية في فترات لاحقة ولعل هذا راجع إلى كون عبد الرحمن بن خلدون قد تعلم بها[2].
- **مدرسة سيدي الحلوي:** تعتبر ثاني مدرسة مرينية بتلمسان، بناها السلطان أبو عنان فارس سنة 754هـ/1353م، بجوار ضريح المتصوف أبي عبد الله الشوذي المعروف بسيدي الحلوي سيرا على نهج والده ومشاريعه العمرانية دعما للحياة الفكرية وإحياءا لتقاليد المذهب المالكي وفروعه[3].

وبهذا يكون بنو مرين قد خلّدوا محبّتهم للعلم وأهله بهذه الآثار، وفي هذا قيل:

هِمَمَ المُلوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَــا مِـن بَعدِهـم فَبِأَلْــسُنِ البُنْيَـانِ

إِنَّ البِـنَـاءَ غَـدَا تَـعَاظُـمُ شَـأْنِـهِ أَضحَى يَدُلُ عَلَى عَظِيمِ الشَانِ[4]

---

[1]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 325.

[2]- ابن مرزوق، المسند، ص 406؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص 170؛ العربي لقريز، المرجع السابق، ص-ص 56- 59.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق،ج2،ص 19؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص-ص 177-169؛ R.Bourouiba op, cit, p. 249.

[4]- أبو العباس أحمد الناصري ، المرجع السابق، ج4، ص15.

4.3. مدارس غرناطة:

إن المدرسة النصرية اعتبرت أهم مدرسة تحدثت عنها المصادر-مع وجود إشارات في إحدى الدراسات حول أن الاهتمام ببناء المدارس يرجع الى بعض الفقهاء من ذوي الثراء مثل محمد بن محمد الأنصاري المالقي الذي بنى مدرسة غربي المسجد الأعظم ووقف عليه الرباع.[1]

وتعرف المدرسة النصرية أيضا بالجامعة النصرية أو المدرسة العلمية[2]، وقد شيدت هذه المدرسة سنة 750هـ/ 1349م بأمر من السلطان أبي الحجاج يوسف الأول حسب ما ورد في لوحة إنشاء هذه المدرسة المحفظة بالمتحف الأثري لغرناطة، ونصها كالآتي:

" أمر ببناء هذه الدار للعلم جعلها الله استقامة ونورا، وأدامها في علوم الدين على الأيام، أمير المسلمين أظله الله بعونه، العلي الشهير الكريم السعيد الطاهر الرفيع الهمام السلطان المؤيد أبو الحجاج يوسف إبن العلي الكريم الكبير الخطير الشهير المجاهد الفاضل العادل المقدس الأرضي أمير المسلمين وناصر الدين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر كافي الله في الإسلام صنائعه الزاكية وتقبل أعماله الجهادية وتم ذلك في شهر محرم عام خمسين وسبعمائة[3]".

والظاهر أن هذه المدرسة الوحيدة التي اقتصرت المصادر على ذكرها، فأبو العباس المقري يشير إلى عدم وجود مدارس بالأندلس لطلب العلم وإنما الدور الأكبر في التحصيل العلمي يرجع إلى المساجد[4].

[1] – حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص43.
[2] – محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص 172؛ يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 134.
[3] – محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص 172.
[4] – المقري، نفح الطيب، ج1، ص 220.

وقد بدأت هذه المدرسة مركزا للعلوم الدينية واللسانية وأصبحت فيما بعد تهتم بمختلف أنواع العلوم و دعي للتدريس بها صفوة علماء الأندلس و مشاهير علماء المغرب[1] من أبرزهم ابن مرزوق الخطيب[2]، كما قصدها الطلاب من المناطق النصرية كافة، وقد نالت شهرة واسعة مما جعل أبناء المغرب طلابا ومعلمين يفدون للانتساب إليها[3]، كما حظيت هذه المدرسة بعناية سلاطين بني الأحمر خاصة يوسف الأول ومحمد الخامس من خلال الإنفاق عليها واستقطاب مشاهير العلماء للتدريس بها[4].

لقد كانت هذه المدرسة من مفاخر غرناطة الإسلامية لكن بناءها أزيل منذ أوائل القرن الثامن عشر ولم يبق منه سوى الجناح الذي يحتوي على المحراب ونقل ما كان بها من لوحات ونقوش عربية على القطع الرخامية إلى مختلف المتاحف[5].

4. الزوايا:

منذ القرن السابع للهجرة/ 13م، بدأت تتكون الجماعات الصوفية وكان التصوف قبل هذا يقتصر على الأفراد وبهذا الخصوص نجد العديد من الإشارات إلى وجود أماكن بغرض التفرغ للعبادة مثال ذلك ما ذكره البكري:"خارج سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هو مأوى للأخيار والصالحين"[6].

---

[1] - حسن الوراكلي،المرجع السابق،ص45.

[2] - المجاري أبو عبد الله محمد ، برنامج المجاري، تح: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402 هـ/1982 م ، ص106..

[3] - يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 134

[4] - عبد القادر بوحسون، الأندلس على عهد بني الأحمر، ص 119.

[5] - محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص 172.

[6] - البكري، المصدر السابق، ص35.

وهذا ما يستنتج من خلال انتشار الزوايا والتي أجمعت جل الدراسات على اعتبارها أماكن لاستقبال عابري السبيل وإطعام المحتاجين وكذلك مكانا مفضلا للانقطاع للعبادة[1]، وهذا ما يستشف من قول ابن مرزوق الخطيب: " والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين..." [2].

وقد اختيرت أماكن إقامة الزوايا بعناية فائقة فهي عادة ما تكون على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن المهمة أو تتوسط الطرق بين تلك المدن[3]،فانتشرت في العديد من نواحي بلاد المغرب والأندلس وهي دور للعلم والإقامة وكان ينشئها أهل الخير ورجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة أو يشترك جماعة في إنشائها و يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها وتوكل إدارتها ورعايتها إلى ناظر وجماعة من المساعدين فهي بذلك مرافق تعليمية واجتماعية عامة تستمد استقلاليتها من أوقافها والنظام العام الخاص بها[4].

أما الزوايا التي تحمل مفهوم المدرسة الدينية بالأساس، فيعود ظهورها إلى القرن الثامن الهجري/14م، حيث أنشأ السلطان أبو حمو موسى الثاني زاوية سنة 765هـ/ 1363م على قبر والده أبي يعقوب وقبر عميه أبي سعيد وأبي ثابت[5] وعين للتدريس بها الفقيه أبا عبد الله الشريف التلمساني العائد من فاس[6]، وجرى هذا الأمر في أجواء احتفالية على عادة بني زيان

[1] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 81.
[2] – ابن مرزوق ، المسند، ص 413.
[3] – عبيد بوداود، الوقف، ص185.
[4] – عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص425.
[5] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص– ص 97- 98.
[6] – التنسي، المصدر السابق، ص 180؛ أبو الحسن علي القلصادي، المصدر السابق، ص 104؛ محمد بوعياد، مخطوطات لم تكتشف، ص 61.

في تدشين مثل هذه المشاريع التي كانت تحظى بعناية السلطان نفسه[1] ،كما شيد السلطان أبو العباس احمد العاقل زاوية الولي أبي علي الحسن بن مخلوف الذي أولاه اهتماما كبيرا[2] .

وقد أشادت المصادر بسلاطين بني مرين في هذا المجال في مقدمتهم أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان وأشهر مآثرهما زاوية العباد وسيدي الحلوي وزاوية تافرطست التي بنيت على قبر يعقوب بن عبد الحق 685هـ/1286م، شأنهم في ذلك شأن بني حفص في عنايتهم بإقامة الزوايا والاهتمام برجالها من أشهرهم أبو عمرو عثمان الحفصي[3] .

لكن مع بداية القرن التاسع الهجري/ 15م، أضحت الزاوية تعني طريقة صوفية معينة لها شيخ تنتسب إليه، ولها أذكار وأوراد خاصة بها ونفس الوضعية عرفتها بقية بلاد المغرب الإسلامي، ليستقر مفهوم الزاوية على المكان الذي يلتقي فيه المتعبدون في عزلة للصلاة وتلاوة القرآن وإلقاء الدروس، لكنها احتفظت إلى جانب ذلك بالوظائف التي مارستها في بداية نشأتها كمكان يستقبل عابر السبيل وطلبة العلم[4]، فكانت عامرة بالعلماء وبطلاب العلم تؤدي دورها كمؤسسة ثقافية لا غنى عنها وتوافد إليها الراغبون في العلم لحضور المجالس العلمية التي كانت تعقد داخلها[5].

فخلاصة القول هي أن الزاوية على اختلاف مفهومها من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ومن وجهة نظر الباحثين كل من زاويته، فإن الشيء المشترك الذي لا خلاف فيه هو دورها الهام في الحياة العلمية بصفة عامة، والتصوف بوجه خاص في المغرب الإسلامي.

[1] – صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص 151.

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص248.

[3] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص373؛ ابن مرزوق، المسند، ص413؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص322؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص426.

[4] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 82.

[5] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 421.

5. خزائن الكتب:

حرص الناس مند القدم على الاحتفاظ بما دونوه من أخبارهم وأعمالهم وعلومهم لأنهم دونوه رغبة في توثيقه والمحافظة عليه، وقد أطلق على المكان الذي يحتفظون فيه بتلك المخطوطات اسم خزانة الكتب أو المكتبة والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى عهود سحيقة، أما بالنسبة للمسلمين فقد احتوت خزائن كتبهم خلال القرن الأول ونصف القرن الثاني للهجرة على مادونه المسلمون من كتب دينية ضمت المصاحف إلى جانب كتب الأشعار، والأخبار، والأمثال المكتوبة على الرقوق والجلود ونحوهما[1].

ففي الدول الإسلامية ارتبطت المكتبات بشكل وثيق بالمنشآت العلمية سواء أطلق على هذه المنشآت مصطلح: مسجد أو مدرسة أو جامعة[2]، حيث أذرك المسلمون مند وقت مبكر حاجتهم إلى خزائن الكتب كوسيلة لنشر العلم والمعرفة، فبادروا لإنشائها وعمارتها بكميات هائلة من الكتب، وأنشأوا بيوت الحكمة ودور العلم كأماكن تتيسر فيها سبل البحث والتدريس والتعليم ودراسة مختلف مختلف العلوم ومن أوائل ذلك بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة هارون الرّشيد في بغداد سنة 185هـ/ 801م، ودعمه من بعده ابنه الخليفة المأمون[3]، كما أن المصادر الأندلسية ذكرت النتاج العلمي لعلماء الثغور الأندلسية الذين قاموا بتأليف عدد كبير من المؤلفات وفي مختلف المجالات وكان هذا سبب رئيسي في إنشاء المكتبات، فجمع الكتب وإنشاء المكتبات من أهم روافد الحياة العلمية فقد حرص الكثير من الأمراء والخلفاء والكبراء في الأندلس على جلب الكتب وتأسيس المكتبات ومن أشهرهم الخليفة

---

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 407.

[2] – نزهة بن الخياط: " مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ " في **المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات**، منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات، الجامعة التونسية، تونس العدد 3، مارس، 1405هـ/ 1985م، ص 9.

[3] – عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 127.

الحكم المستنصر بالله (ت 366هـ/ 976م) الذي أسس مكتبة عظيمة حوت نحو أربعمائة ألف مجاد في شتى العلوم وأخذ الكثيرون في اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات في أنحاء الأندلس للعلم أو للتباهي بها[1].

وقد جمعت تلك الكتب من مختلف أنحاء العالم عن طريق الإهداء أو جلبها أو انتساخها من المشرق وحتى اقتنائها حيث وجدت أسواق كاملة مختصة ببيع الكتب وتجارتها[2]. ولم تقتصر تلك الخزائن على أماكن دون غيرها بل وجدت في المساجد والمدارس وبعض المنازل في مقدمتها منازل العلماء الذين كانوا أشد الناس حرصا على تكوين مكتبات خاصة في بيوتهم[3]، فعلى سبيل المثال يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن العالم عبد المهيمن الحضرمي كانت له خزانة كتب ضخمة في مختلف العلوم[4].

فهي دليل واضح على مقدار تقدير الناس للعلم والتعليم ومن هنا كان حرص الحكام والسلاطين بدورهم على جمع أكبر عدد من الكتب والحصول على أندر المؤلفات في جميع العلوم[5].

أما في بلاد المغرب الإسلامي فأصبحت الخزائن العلمية في البلاط السلطاني جزءا أساسيا من مكونات الهيبة السلطانية ومرفقا ضروريا من مرافق القصور السلطانية يقوم السلاطين بإعمارها، ويمكن أن يشاركهم في ذلك المحسنون بهباتهم وأحباسهم فكانت تلك الخزائن بحكم تعلق قيامها بالسلاطين أعظم الخزائن مقارنة بما تحتويه المساجد والمدارس

[1]- أريج كريم حمد العتابي، المرجع السابق، ص 111.
[2]- نزهة ابن الخياط، المرجع السابق، ص15؛ عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص129.
[3]- عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص 136.
[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 459.
[5]- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 407.

والزوايا[1]، والنماذج عديدة حول سلاطين بلاد المغرب الذين أقاموا خزائن وعمروها بنفائس الكتب ومثال ذلك ما ذكره التنسي عن السلطان الزياني أبي زيان محمد بن أبي حمو الذي أقام خزانة ضخمة بالجامع الأعظم بتلمسان والتي تعد من مآثره الشريفة المخلدة على حد قوله والتي عمرها بالكتب ومنها ما استنسخه بيده،وأوقف عليها أوقافا تكفل حسن سير عملها واستمرار نشاطها[2].

وبدوره السلطان أبو زكرياء مؤسس الدولة الحفصية أنشأ خزانة الكتب بقصر الحكم وحرص على تعميرها من مختلف الأماكن،كما أن أبا فارس عبد العزيز الحفصي أقام خزانة الكتب المشتملة على أمهات الدواوين أخرجها من قصره، وجعل لها مقصورة بموضع من جامع الزيتونة وأوقفها على طلبة العلم[3]، وتعرف مكتبة جامع الزيتونة بالعبدلية واشتملت خزائنها على أنفس الكتب وبلغ عددها 36 ألف مجلد في القرن 8هـ/14م[4].

أما في المغرب الأقصى فيرجع تاريخ تأسيس أول مكتبة بجامع القرويين الى أبي عنان المريني[5]؛ذكرها الجزنائي:"...فانه لما كان من شيم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله حب العلم وايثاره والتهمم به والرغبة في انتشاره والاعتناء بأهله ومحتمليه والتودد لقرائه ومنتحليه لأن صنع هذه الخزانة وأوسع طلبة العلم بان أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان وغير ذلك من العلوم..."[6] .

والحرص على الوقف والتحبيس من قبل وجهاء الدولة من ملوك ووزراء وكذا العلماء لبعض الكتب المختارة بل وفي بعض الأحيان مكتباتهم الخاصة التي غالبا ما كانوا

---

[1] - عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني ، ص- ص 133- 134.

[2] - التنسي، المصدر السابق، ص 211.

[3] - ابن الشماع، الأدلة البينة، ص 114.

[4] - احمد بن عامر، المرجع السابق، ص67.

[5]- نزهة بن الخياط، المرجع السابق، ص11.

[6]- الجزنائي، المصدر السابق، ص76.

يجمعونها من بين الكتب النادرة من جميع بقاع العالم على الطلبة والمدرسين بل وعلى عامة الناس في أحيان كثيرة رغبة منهم في نشر العلم وخدمة محبيه[1]،من ذلك اشتراط السلطان أبي يعقوب المرين في عقد الصلح مع النصارى بعث كتب العلم التي بأيديهم منذ استيلائهم على مدن الإسلام فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملا و قام السلطان بوقفهما على المدرسة التي أسسها بفاس[2].

وأبدعت المصادر في الحديث عن خزانة الكتب التي أنشأها السلطان أبو عنان المريني إيثارا منه للعلم وتوسيعا على طلبته[3]، ولم يقتصر الأمر على جمع الكتب،وإنما نسخها بخط يد السلطان نفسه، كما كان الشأن لأبي الحسن وابنه أبي عنان، خاصة المصحف الشريف. بل إن أعظم دور الكتب كانت بقصر السلطان[4]، فوجد في فاس من غرائب كتب الفقه المالكي ما لم يوجد في غيرها.[5]

[1]- أبو العباس أحمد الناصري، المصدر السابق، ج4، ص41؛ نزهة بن الخياط، المرجع السابق، ص15.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص277.

[3]- علي الجزنائي، المصدر السابق، ص76؛ أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ج2، ص73؛ محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1412هـ/ 1991م، ص62.

[4]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص349.

[5]- المرجع نفسه، ص 331

المبحث الثالث: تفعيل الحركة التعليمية في دول المغرب الإسلامي.

يقول صاحب المقدمة: "أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة والسبب في ذلك أن تعليم العلم...من جملة الصنائع...وأن الصنائع إنما تكثر في الأمصار،وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة،لأنه أمر زائد على المعاش فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم و الصنائع."[1]

ومن هنا كان حرص سلاطين دول بلاد المغرب على رعاية الحركة التعليمية في بلدانهم والعمل على تجديدها وتطويرها باعتبارها دليلا واضحا على تحضرهم.

بالمقابل قد يتبادر إلى الذهن أن الحالة الفكرية والعلمية قد أخذت نفس منحى الأوضاع السياسية والأمنية التي سبق الحديث عنها، ولكن من المفارقات ومن غرائب مجريات الأحداث أن الحركة العلمية كانت عكس ذلك تماما[2]، بل إن الثقافة العربية الإسلامية في المغرب الإسلامي عامة كانت مزدهرة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وامتد هذا الازدهار إلى القرن التاسع الهجري الخامس عشر للميلاد[3] وذلك بنبوغ عدد كبير من رجال العلم والأدب وبروز إنتاج ثقافي غزير[4].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص441.

[2]- محمد مشنان: "المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية" في مجلة: **رسالة المسجد**، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد التجريبي، جمادى الأول/جويلية، 1424هـ/2003م، الجزائر، ص 56.

[3]- عبد الحميد حاجيات: "الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي" في مجلة: **الثقافة**، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد 114، 1416هـ/1997م، ص20.

[4]- عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه، ص22؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، ص 27.

ومع هذا نجد أن بعض الجوانب كانت موضع نقاش بين أكبر علماء العصر، منها ظاهرة التأليف باعتبارها تعبيرا صادقا عن ثقافة المجتمع ورصدا حقيقيا وأمينا لعلوم العصر بكل ما تحتويه من كثرة قلة، أو ضعف وقوة، أو تقليد واجتهاد[1]، وقد صورها لنا القاضي أبو عبد الله محمد المقري نقلا عن شيخه أبي عبد الله إبراهيم الأبلي بقوله: "إنما أفسد العلم كثرة التآليف[2]"، وهو الموضوع الذي عقد له ابن خلدون فصلا في مقدمته في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل[3].

فالتآليف الرديئة التي غمرت الحياة الثقافية ساهمت في إفساد العلم الشرعي بصفة خاصة، والابتعاد عن استمداده من مصادره الأساسية[4]، وأمام قصور الهمم عن الاجتهاد ركن الناس إلى التقليد والاقتصار على النقل عمن تقدم، وانصرفوا لشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها[5]؛وقد لقي هذا الأسلوب (الاختصار) معارضة شديدة من قبل العديد من العلماء يقول القاضي المقري:" ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها "[6] وعلى هذا الموقف العلامة أبو العباس أحمد القباب[7] في حكايته المشهورة مع ابن عرفة[1] حول منهجية تأليفه للمختصر الفقهي

---

[1]- عبد الجليل قريان، "حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1554م" في دورية: **قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر، 1429هـ/2008م، ص151.

[2]- أبو العباس أحمد الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص-ص 479-480؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 216.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 578.

[4]- عبد الجليل قريان، حركة التأليف، ص 168.

[5]- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، 1335هـ/1916م، ج4، ص2.

[6]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص-ص 479-480؛ ابن مريم ، المصدر السابق، ص 217.

[7]- هو أبو العباس الدين قاسم من أئمة فاس اشتهر بالقباب ت (778هـ/1376م) عنه أنظر: (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص-ص 187-188؛ أحمد بن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص 123؛ أحمد بابا

وقوله: "ما صنعت شيئا...لأنه لا يفهمه المبتدئ ولا يحتاجه المنتهي"[2] ،وذهب إلى هذا الرأي العديد من العلماء[3] كان لكل منهم رؤيته وأسبابه لرفضه الاختصار كمنهج في التأليف.

وإذا كانت مواقف أولئك العلماء من الاختصار في العلم الشرعي فقط فإن اعتراض ابن خلدون أشمل وأوسع، فهو يقف موقف الرفض لمنهج الاختصار في كل العلوم[4]، ويرى أنها طريقة مخلة بالتعليم ويقرر أنه "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم "[5].

التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425هـ/2004م، ج1، ص 49؛ حسن عزوزي، "التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري "، في مجلة: **الحضارة الإسلامية**، العدد الأول، 1414هـ/1993م،ص 245.

[1]- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي من كبار أئمة عصره من مؤلفاته مختصره في الفقه وكتاب الحدود الفقهية ت 803هـ/1400م، عنه ينظر: (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ،ج1، ص 278؛ أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة المكتبة العتيقة، تونس، 1390هـ/1970م، ج2، ص 280؛ ابن فرحون إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، 1392هـ/1972م، مج2،ص331؛ محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م،ص-ص 561-573).

[2]- وقد اختلفت المصادر بين مثبت لهذه الواقعة ومشكك لحدوثها، ينظر: (أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1، ص 41؛ محمد المنوني، ورقات،ص 469؛ أبو سليمان عبد الكريم قبول، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر، الجزائر، 1427هـ/2006م، ص69).

[3]- أبو سليمان عبد الكريم قبول، المرجع السابق ، ص-ص 65- 77.

[4]- المرجع نفسه ، ص72.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص-ص 582-583.

فابن خلدون إلى جانب رفضه للاختصار كطريقة للتأليف: فهو أشد استنكارا لمن يعمد إلى جعل تلك المختصرات في العلوم هي المقررات الأساسية في الدراسة لأخذ علم ما، " وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يساعد لقبولها بعد "[1].

لكن هذا لا ينفي وجود إيجابيات لاختصار بعض الكتب المطولة وجعلها مشكاة للطالب يستعد بها في دراسته[2].

وعلى العموم ليس غرضنا مناقشة قضية الاختصار كمنهج في التأليف، وإنما أوردناها كمثال يعكس جانبا مما ميز الأوضاع الثقافية للمنطقة، وأمام شهادة واحد من ذلك العصر كابن خلدون مع اعتباره هو نفسه وفكره أبرز عناوين التجديد، نجده يشهد بتراجع العلم بالمغرب[3]، نطمئن إلى الأخذ بالقول أن ذلك العصر مزيج من الازدهار والتقهقر[4]، وبعبارة أوضح، تميز الوضع بنوع من الازدواجية، فكما نجد ما يشير إلى التقليد والتحجر نعثر أيضا على مقومات التجديد.[5]

فقد حفلت المؤسسات الدينية والتعليمية التي شيدت في مختلف حواضر بلاد المغرب الإسلامي مثل تونس وبجاية وتلمسان وفاس وغرناطة بنشاط علمي واسع، وأسهمت في نمو الحياة الثقافية والحركة العلمية بها. فلما كان التعليم مقدمة لأية نهضة ثقافية وحجر الزاوية في

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص583.
[2]- أبو سليمان عبد الكريم قبول، المرجع السابق،ص-ص 78-83.
[3]- ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص51 من مقدمة المحققة.
[4]- عبد المجيد تركي، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي نصوص ودراسات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1988م،ص413.
[5]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص51 من مقدمة المحققة.

دفع الحركة العلمية والفكرية وتوسيع رقعتها وترقية المجتمع حضاريا[1]، وجد الحكام والسلاطين في إلحاق أبرز العلماء بمجالسهم فرصة للإضلاع على ما استجد من مناهج التعليم وطرائقه باعتبار هذه الأخيرة تابعة للشيخ نفسه[2]، وفي نفس الوقت فرصة لتجديدها وتوافينا المصادر بالعديد من الأمثلة سنذكرها في الفصول اللاحقة.

لكن ما يلاحظ هو أن عدد كبيرا من العلماء آثر الحياد وركن إلى اعتزال السلطان ورعا وطمعا في التفرغ للعلم والتأليف والتدريس[3]، هذا الأخير الذي فضله أكثرهم في حال إكراهه على وظيفة ما باسم السلطة الحاكمة، ومن أهم أسباب هذا الأمر صيانة العلم وإعزازه، فكان الاجتهاد بضرورة الابتعاد عن أبواب الخلفاء[4].

فمهمة التعليم والجلوس إلى طلبة العلم أجلّ رسالة يحيون في سبيل تبليغها، ومن هنا كان تأثيرهم في أوسع فئة من الناس من خلال المجالس العلمية التي عقدوها في مختلف أماكن العلم بما فيها قصر السلطان وبحضرته[5].

كما أن مهنة التعليم هي الوظيفة الأكثر ممارسة من قبل الصوفية سواءا في المدارس السلطانية أو الزوايا الصوفية وغالبا ما كان أولئك المتصوفة يؤدون تلك الوظائف بدون مقابل ويرفضون العائدات السلطانية[6].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 497.

[2] – محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص 94.

[3] – سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ/ 922م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ص 185.

[4] – سليمان ولد خسال، المرجع نفسه، ص 188، 195.

[5] – مريم سكاكو، المرجع السابق، ص 80.

[6] – عبيد بوداود، ظاهرة التصوف، ص 76.

لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن أوضاع التعليم اختلفت بين أقطار بلاد المغرب الإسلامي، فتراوحت بين محافظ على اتصال سنده بالمشرق عبر شيوخ كبار، وبين منقطع السند، وقد أثر هذا الأمر على مستوى التعليم وطريقته[1].

فقد شهدت افريقية نهضة علمية ابتداءا من منتصف القرن السابع للهجرة/ 13م بفضل أبي القاسم بن زيتون الذي رجع من رحلته إلى المشرق بعلم كثير وتعليم حسن، ثم بعده أبو عبد الله بن شعيب الدكالي، فأخذ عنهما أهل تونس واتصل سند تعليمهما في تلاميذ هما جيلا بعد جيل حتى انتهى إلى القاضي ابن عبد السلام، وانتقل من تونس إلى تلمسان بفضل ابني الإمام، ثم أبي علي ناصر الدين المشدالي ،ورغم قلتهم التي يخشى معها انقطاع سندهم، إلا أنه بقي متصلا بفضل تلاميذهم أيضا[2].

وهذا على عكس فاس التي أصبحت خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض قرطبة والقيروان، فانقطع سند التعليم عنهم ما أدّى إلى قصور التعليم عندهم وغياب ملكة التصرّف فيه إذا علّموا أو ناظروا، فيلازمون المدارس ستة عشرة سنة دون الحصول على المبتغى، وبعد أن لازموا المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون وعنايتهم بالحفظ فقط[3].

أما بالأندلس فقد كان نظام التعليم راقيا ومختلفا عما كان سائدا في تلك الفترة ببلاد المغرب والبلاد الإسلامية الأخرى وقد استحسنها العديد من كبار علماء تلك الفترة[4].

[1] – عبد العزيز بو مهرة، المرجع السابق، ص 132.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 438؛ عبد المجيد تركي، ص 401 – 402 ؛ رابح بونار، عبقرية المشداليين ، ص 307.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 439.

[4] – عبد القادر بوحسون، الأندلس على عهد بني الأحمر، ص 118.

فسارت المواد التعليمية في اتجاه المناخ الديني الذي ساد خلال هذه الفترة فكانت موضوعات التدريس تتمحور حول العلوم الدينية أي ما يضبط العبادات و المعاملات بالإضافة إلى العلوم اللغوية لكن الطرق والمناهج الدراسية عرفت نوعا من التطور بعد أن كان المغاربة يوصفون بالاعتماد على الحفظ ظهر نقد الاعتماد الكلي على الحفظ في التلقين و التعليم والدعوة إلى التخلي عنه.[1]

فنظرة شاملة للتعليم بين أقطار المغرب والأندلس تعكس نقصا في بعض الجوانب المنهجية،لكن إذا أخذت من منظور التخصص والتدقيق فيسجل أنها كانت بناءة ومصدر إثراء وكانت في نفس الوقت من أهم دواعي الرحلة في طلب العلم و الاستزادة من المعارف[2]،وهي التي اعتبرت من أهم ما صبغ الحياة الفكرية في هذه المرحلة من جهة ومن جهة أخرى أهم عوامل نشاطها وانتعاشها .

[1]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص33.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص418.

الفصل الثاني:تطور المجالس العلمية لسلاطين دول بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول:ظروف انعقاد المجالس العلمية السلطانية.

المبحث الثاني: المواضيع والقضايا والكتب المتداولة في المجالس العلمية السلطانية.

المبحث الثالث:أنواع المجالس العلمية السلطانية

المبحث الأول: ظروف انعقاد المجالس العلمية السلطانية.

إن انعقاد المجالس العلمية بحضرة السلطان خضع لشرطين أساسيين أثبتهما الواقع التاريخي:

1- الاستقرار السياسي للدولة وضمان موارد مالية قارة، وهذان العاملان لهما تأثير مباشر في استقرار السلطان في مقر حكمه والاهتمام بالجوانب الحضارية من تشييد وعمران وتعليم ودفع الحركة العلمية ببناء مختلف المؤسسات الثقافية كالمساجد والمدارس والزوايا وغيرها، ومكافأة المبدعين والمتميزين في مختلف المجالات واستقدام العلماء والمفكرين في شتى الاختصاصات إلى حاضرته وتزيين مجالسه بهم.

2- شخصية السلطان نفسه، فزيادة على حبه لأهل العلم وتقربه منهم والمبادرة لاستدعائهم لمجالسه يجب أن يكون على جانب من العلم والثقافة فأعظم المجالس العلمية التي بقيت محفوظة في مختلف المصادر التاريخية عقدت في حضرة سلاطين عدّوا من العلماء[1].

ويشمل هذا الجانب على نقط أساسية نسعى إلى توضيحها وتتمثل في طريقة جلوس السلطان وموقعه من الحاضرين والآداب التي يجب أن يلتزم بها الحاضرون وصولا إلى طرح موضوع الدراسة في المجلس وأسلوب معالجته، وموقع السلطان من تسيير هذا المجلس.

فقد اختلفت مجالس قصور الخلفاء والأمراء في طبيعتها عن المجالس العلمية الأخرى، فظهرت فيها روح الانضباط والتنظيم ومستوى الحاضرين من العلماء، فهي تختلف في هذه الناحية عن مجالس العلماء في المساجد والمنازل وغيرها، والتي كانت تتميز بكل ألوان الحرية والمرونة حيث كان من حق الدارس أن ينضم لأية حلقة شاء، وأن يتلقى العلم على أي شيخ أراد، وأن ينتقل بكامل حريته من حلقة إلى أخرى، وأن يسأل ويناقش، وأن يتبسط في الحديث بغير كلفة أو قيد.

[1]- مريم سكاكو، المرجع السابق، ص 57.

فقد كانت مجالس القصور تختلف في طبيعتها عن ذلك، فليس لحاضرها أن يذكر شيئا إلا ما يسأل عنه، أو يورد قولا أو غيره إلا ما استأذن فيه، بخفض صوته في حديثه ومحاورته[1].

فعلى سبيل المثال كان الخلفاء العبيديون في بلاد المغرب يرون أن الإمام هو مصدر المعرفة ولا معرفة غير معرفة الإمام وتوجيهاته، فلمجلسه آداب يجب الالتزام بها[2].

وكما سبقت الإشارة في المدخل كانت مجالس الخلفاء الموحدين أيضا تخضع لنظام معين في ترتيب الجلوس واختيار موضوع النقاش وما يراعيه الحاضرون في تلك المجالس من التزام الجد والآداب الملوكية[3].

وهذا ما كانت عليه المجالس العلمية لسلاطين دول بلاد المغرب، فما يجب التأكيد عليه هو أن السلاطين حرصوا على عقد مجالس العلم حضرا وسفرا وليس بالضرورة في مقر الحكم، ونسجل حرص بعض الأمراء والسلاطين على الإشراف المباشر على المجالس والمنابر التي تلقى فيها الدروس العلمية المتعلقة بالعقيدة والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى كما كان عليه الحال في عهد الموحدين الذين تميز عهدهم بالاجتهاد وحرية الفكر[4] .

فورثت الدول التي قامت على أنقاض دولة الموحدين ذلك الإرث الثقافي والفكري وحافظت عليه وزادته جرعة إضافية بفضل السياسة المنتهجة من طرف حكامها ونظرتهم إلى العلوم العقلية والعقلية على حد سواء واشتدت حدة المنافسة بين سلاطين المغرب على

---

[1] – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 406.

[2] – القاضي النعمان بن محمد المغربي، كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة، تح: محمد كمال حسين، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1422هـ/ 2002م، ص 104 وما يليها.

[3] – محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون، ص 40

[4] – عيسى بن الذيب وآخرون، المرجع السابق، ص146.

استقطاب واختيار كبار الكتبة والأدباء والفقهاء وإدراجهم في المجالس العلمية وبعض الدواوين[1].

وفي هذا المقام نميز بين نوعين من المجالس السلطانية:

- **مجالس خاصة**: تعقد بالقصر بحضرة السلطان بصفة منتظمة وتختص بقراءة كتب معيّنة، مثل اختصاص ابن مرزوق الخطيب بقراءة صحيحي البخاري ومسلم بين يدي السلطان أبي الحسن المريني.
- **مجالس عامة**: غالبا ما كانت تحدث عرضاً في القصر السلطاني، أو في أي مجلس علمي خارجه، ربّما صادف حضور السلطان الذي يكون في العديد من الأحيان من يثير قضية للنقاش بين العلماء، وبالتالي شكّلت فرصا للعديد منهم لإثبات مكانتهم العلمية، كما فتحت المجال للدخول في مناظرات وفتح حوارات علمية عكست المستوى العلمي الراقي للعلماء المشاركين فيها،المتصفين أصلا بوفرة العلم والإلمام بأمهات الكتب والسيطرة على المجالس العلمية بحسن حديثهم وخفة روحهم وسرعة بديهتهم والنزاهة العلمية والصرامة وغيرها من الصفات[2] .

وقد ورد وصف تلك المجالس في العديد من المصادر نذكر منها على سبيل المثال وصف مجلس السلطان المريني أبي يوسف يعقوب الذي اعتبر أول سلطان مريني عقد مجلسا علميا في قصيدة عبد العزيز الملزوزي مهنئا إياه بمناسبة عيد الفطر:

ويَأمُـرُ الكُتَّـابَ بالأوامـرِ   في بَاطِـنِ سِـرِّهِ وظَاهِـرِ

ويَدخُلُ الأَشيَاخُ من مرين   للرَّأْيِ والتَدبِيرِ والتَزيِينِ

مَجلِسُـهُ ليـسَ به فُجُـورُ   ولا فتَى في قَولِهِ يَجُورُ[3]

[1] – عيسى بن الذيب وآخرون، المرجع السابق ، ص147.
[2] – نفسه، ص163.
[3] – ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب، ص300.

وقد حفظت المصادر خاصة كتب النوازل والفتاوى جانبا كبيرا من تلك المناظرات التي دارت بين أيدي السلاطين، وربّما كان إعجاب السلطان بعلم أحد أولئك العلماء دافعا لنظمه في سلك مجلسه العلمي[1].

أما بالنسبة لجلوس السلطان فالأكيد أنه كان يتصدر المجلس، لكن ليس لدينا معلومات دقيقة حول كراسي سلاطين دول المغرب في هذه المرحلة لما ذكرته المصادر عن تدينهم وتواضع العديد منهم خاصة بين أيدي العلماء وفي أكثر الأحيان يجلسون على الحصر بين أيديهم .

فمن جهة وجود إشارات حول جلوس السلاطين بني حفص في قبة الجلوس والتي تمثل إيوانا فاخرا يعكس جلال الملك وعزة السلطان محاطا بحاشيته وفق ترتيب معين[2]، فإنه من جهة ثانية ليس أكيدا إن كان لسلاطين بني حفص في العادة كرسي فخم يجلسون عليه أثناء المواكب الرسمية لإبراز صبغتهم الملكية، فقد روي أن الأمير أبا زكريا الحفصي كان يجلس بكل تواضع على كرسي من خشب[3].

كما تذكر المصادر أن من فضائل السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي ملازمته لقراء العلم بمجلسه سفرا وحضرا وتواضعه وجلوسه على الحصير حين قراءة الحديث النبوي[4].وهو ما نسجله للعديد من سلاطين بني زيان ومثال ذلك جلوس السلطان أبي العباس احمد العاقل بإزاء الشيخ الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان دون أن يقطع قراءته لصحيح مسلم في احد مجالسه العلمية[5] .

[1] – مريم سكاكو،المرجع السابق، ص93.
[2] – أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 50.
[3] – روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص26.
[4] – ابن الشماع، الأدلة البينة، ص114.
[5] – ابن مريم، المصدر السابق، ص88.

وهذا الوصف ينطبق لا محالة على العديد من سلاطين دول المغرب وان دل على شيء فإنما يدل على تقديرهم للعلم بل وتقديسهم له،ما يدفعنا إلى الاستنتاج أن طريقة الجلوس هذه مرتبطة بالمجالس العلمية وبين أيدي العلماء،أما فيما يخص سائر الأيام فالأكيد أنها بلغت درجة راقية من الأبهة والفخامة تقتضيها ظروف الحكم إظهارا لقوة الحاكم وفرض هيبته.

وكانت الاستقبالات تتخذ شكلا رسميا بحضر كبار رجال الدولة والمترددين على البلاط، ومهما كان الحاضرون في تلك الجلسات السلطانية سواء أكانوا موظفين سامين أم رؤساء قبائل أم (رجال دين) وأدباء أم مختلف أفراد الحاشية فإنهم يسهرون بكل دقة على احترام ميزانهم الفردية أو الجماعية، في مجال المراسيم وحق التصدر ولقد ظهرت في هذا الميدان تقاليد دقيقة[1]،حيث كان نظام التدريس في مجالس السلاطين يخضع لقاعدة التناوب بين العلماء فيلقي كل عالم درسه في نوبته وكان الحضور من العلماء والطلبة يبدون آراءهم في المواضيع التي تحتاج إلى إثراء ومناقشة وكل هذا في حضرة السلطان[2]،ولعل هذا التصور أقرب ما يكون إلى مجلس المناظرة التي غالبا ما تكون بين فقهاء وعلماء وصلوا إلى درجة معينة من العلم والرواية أو فقهاء الشورى وحتى الطلبة النبغاء وتكون في إطار القضايا الفقهية أكثر من غيرها من الميادين كما يمكن أن تعقد مناظرة بخصوص كتاب واحد معين وتورد بعض الأحاديث على سبيل الشهادة والاحتجاج لتثبيت رأي معين أو عند بداية مجلس المناظرة تبركا[3].

فإشراف الملوك أنفسهم على سير الدروس وتدخلهم لتوجيهها وانتقاء الأساتذة للقيام بهذه المهمة ومثال ذلك مجلس السلطان المريني أبي عنان الذي انتقى أعلم علماء العصر في

---

[1] – روبير برونشفيك، المرجع السابق ، ج2، ص- ص 36- 37

[2] – عبد الجليل قريان،التعليم بتلمسان ، ص214.

[3] – خالد الصمدي:"مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري"في مجلة **الحضارة الإسلامية**، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، إصدار المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، جمادى الأولى/نوفمبر، 1414هـ/1993م، وهران، ص-ص147-148.

الغرب الإسلامي وهم كثير يضيق عددهم عن الحصر فالجاديري في شرحه للبردة يذكر ثمانية وعشرين معتذرا عن الاستيفاء بقوله: "وغير ذلك مما تركنا ذكره ويطول به الكتاب"، ويكفي أن يضم المجلس أمثال المقري الجد والقشتالي وابن مرزوق الخطيب وابن بطوطة وابن الصباغ ... وأمثالهم لندرك مستوى النقاش والمذاكرة ولنبين الميادين المتنوعة التي تكون محور النقاش تبعا لتنوع ميادين هؤلاء واهتماماتهم[1].

كما عقد السلطان أبو الحسن المريني بتونس بحضرة شيوخ جلة منهم الشيخ ابن عبد السلام وأبو عبد الله السطي وأبو عبد الله بن هارون وغيرهم[2] .

هذا مع التأكيد على أن تلك المناقشات العلمية الواسعة كانت تأخذ مجراها دون تردد برعاية سلطانية على الرغم من أجواء الرهبة التي كانت تكتنفها مجالس السلاطين ،فكانت أشبه بملتقيات للفكر ومؤسسة علمية لإقامة الندوات والتباري بين العلماء والأكيد أنها ساهمت في تحسين المستوى العلمي للعلماء والطلبة والوصول إلى مستويات أرقى[3].

كما تتحدث المصادر عن الحرية الممنوحة لجلساء السلطان في مجلسه ومثال ذلك ماورد عن صراحة لسان الدين بن الخطيب في وفادته بين يدي السلطان أبي عنان المريني فبعد إطراء ابن الخطيب على بعض أعداء السلطان ظهر من يعترض وينكر عليه عليه ذلك في مجلس السلطان فكان جوابه:

"أيدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيء، بل غير ذلك أحق وأولى،فان كان السلطان غالبا عدوه كان قد غلب غير حقير وهو الأولى بفخره وجلالة

[1] – الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص30.
[2] – الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص303.
[3] – عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان ، ص-ص216-217.

قدره، وان غلب العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للحسرة وأوكد للفضيحة فوافق رحمه الله على ذلك واستحسنه وشكر عليه"[1].

على أن إشراف السلطان الحفصي على جلسات رجال الفكر والأدب يمثل إحدى الالتزامات المرتبطة بمهامه كما يمثل في نفس الوقت أجلّ وأشرف تسلية يمكن أن يتمتع بها قصره[2].

ومن هنا يمكن القول أنه من الصعوبة إحصاء وحصر عدد الفقهاء والعلماء الذين الحقوا بالمجالس السلطانية لعدة اعتبارات منها:

- عدم استقرارهم في دولهم والانتقال من بلاط الى آخر.
- خدمة عدد كبير منهم في أكثر من بلاط في نفس الدولة حيث احتفظ معظم السلاطين بمن كانوا ضمن المجالس التي سبقتهم .
- ارتباط ذكر العديد من الفقهاء بقضايا معينة كسفارة أو تدريس كتاب معين أو مناظرة بينما لا نجد ذكرا إلا لمن اشتهر منهم وذاع صيته إذ ورد في كتب نصح الحكام:"...ولا تقرب لمجلسك وخدمتك ناقصا في أعين الناس"[3].

وما يسجل عند الحديث عن ظروف انعقاد تلك المجالس السلطانية هو الإشارة إلى تحديد اللقب الذي ينادى به الحاكم فقد أدت الألقاب دورا كبيرا في تاريخ الدول الإسلامية قديما وحديثا وتعددت تلك الألقاب وتباينت من دولة إلى أخرى ومن عصر لآخر وحرص الخلفاء والسلاطين والأمراء المسلمون على اتخاذ ألقاب لها دلالتها الدينية والسياسية والاجتماعية والتي عكست ظهور من تلقب بها في صورة حماة الدين والعقيدة وأنهم خلفاء الله

[1] - المقري، أزهار الرياض، ج1، ص-ص287-288.
[2] - نفسه، ج1، ص 39.
[3] - محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص23.

في الأرض والمجاهدون في سبيله والقائمون على أمر الأمة الإسلامية ومصالحها،وقد عكست تلك الألقاب توجهات الحكام وسياستهم[1] .

ومن هذا المنطلق اهتم الحكام المسلمون باتخاذ الألقاب التي تميزهم عن غيرهم وتبرز مكانتهم وسلطانهم ونفوذهم[2]، بمن فيهم سلاطين دول بلاد المغرب وقد اقتصر حسب إحدى الدراسات على لقب السلطان الذي اتخذ في المجالس والمحاورات[3]،التي حضرها فقهاء وعلماء من شتى فروع العلم،وليس المجال هنا للحديث عن الألقاب السلطانية وإنما اقتصرنا على ما له علاقة بالمجالس السلطانية وكان الحديث ليطول بنا لو فتحنا هذا الجانب خاصة أن اتخاذ تلك الألقاب ارتبط كل منها بظروف إقليمية وعالمية معينة.

[1] ـ عامر حسن احمد عجلان: "ألقاب الحكام الحفصيين النشأة والتطور"في دورية **كان التاريخية** ، تصدر عن مؤسسة كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد37، ذو الحجة/سبتمبر، 1438هـ/2017م، القاهرة، ص124.

[2] ـ نفسه، ص125.

[3] ـ محمد المنوني، ورقات، ص 81 إحالة رقم 01.

المبحث الثاني: المواضيع والقضايا والكتب المتداولة في المجالس العلمية السلطانية.

إن المجالس العلمية في المساجد كانت أول ما نشأت محدودة المواضيع لا تخرج في الغالب عن تلاوة القرآن وتفسيره والأحاديث ورواياتها[1]،أما بالنسبة لمجامع خلفاء الموحدين فكانت حافلة بالمذاكرة والمناظرة في مختلف أنواع العلوم إذ كان يحضرها أدباء وأطباء وفلاسفة مغاربة أو واردون على المغرب، وكانت تفتتح بإلقاء مسألة من العلم يلقيها الخليفة بنفسه أو يلقيها باذنه بعض الجلة من الحاضرين[2].

وبهذا كان الوضع شبيها بما كان عليه في المشرق الإسلامي إذ شارك السلاطين والأمراء في الحياة العلمية مشاركة فعالة فاشتهر عن الظاهر بيبرس ميله إلى التاريخ وأهله وكان يقول أن سماع التاريخ أعظم من التجارب، وحرص السلطان الغوري على عقد المجالس العلمية والدينية عدة مرات بالأسبوع، وكان يبحث فيها مع العلماء مختلف المسائل العلمية ويناقشها، وكثيرا ما كان السلطان نفسه هو الموجه للمناقشة فتبدأ كل مسألة بعبارة: " قال حضرة مولانا السلطان" ثم يجيب العلماء على سؤاله[3].

وبدورهم حرص سلاطين دول بلاد المغرب الإسلامي أن يجعلوا من بلاطاتهم مجالس للعلم ومؤسسات تقوم بدور فعال في مجال التعليم، فكانت المواد المدرسية في مجالسهم منصبة أساسا حول العلوم النقلية والشرعية بالخصوص لملاءمتها وضعية المجلس في الخشوع والاطمئنان وهيبة السلطان ولأنها كانت العلوم المركزية في ذلك العصر يستفيد منها السلطان في إقامة الدولة وإصلاح الرعية والقيام بحقها[4].

[1] – نزهة بن الخياط، المرجع السابق، ص 9.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 246؛ محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص 32.

[3] – عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 57.

[4] – عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص 215.

وعلى هذا الأساس سارت المواد التعليمية في اتجاه المناخ الديني الذي صبغ العصر فكانت موضوعات التعليم تتمحور حول العلوم الدينية أي ما يضبط العبادات والمعاملات بالإضافة إلى العلوم اللغوية لكن الطرق والمناهج الدراسية عرفت نوعا من التطور فعلى سبيل المثال بعدما كان المغاربة يوصفون بالاعتماد على الحفظ ظهر نقد الاعتماد الكلي عليه في التلقين والتعليم [1].

وبالتالي فإنه كان لتلك المجالس دور كبير وأثر إيجابي عظيم في ازدهار الحركة العلمية لما كانت تقوم به من دروس دينية على المستوى العالي الرفيع وتصدره من فتاوى شرعية دقيقة وفي مسائل دينية واجتماعية واقتصادية فكانت تلك المجالس تتميز بطابعها العلمي الاستشاري[2]،وفي نفس الوقت عكست أخلاق العلماء بين عالم صادق لا يبتغي بعلمه غير وجه الله تعالى،وبين من يسعى لإظهار علمه ارضاءا للسلطان وإبهارا للحاضرين،من أمثلة ذلك ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني من أنه كان إذا جالس العلماء في مجالس الملوك لا يجادلهم ولا يباريهم ولا يطلب غلبهم[3].

وفي هذا المقام نسوق موقفا –على طرافته– يعكس جانبا من ردود بعض الحاضرين لمجالس السلاطين،ذكره الزركشي عن أحد مجالس أبي الحسن المريني بتونس وكان القارئ الشيخ ابن عرفة في كتاب مسلم فقرأ حديث ابن مغول بكسر الميم وفتح الواو من مغول فقال له الإمام عبد المهيمن الحضرمي أو الفقيه ابن الصباغ –وكانا من الحاضرين لمجلس السلطان–مغول بفتح الميم وكسر الواو فأعادها القارئ قاصدا خلافه كما قرأهما فضحك السلطان وأدار وجهه

[1] –الحسن الشاهدي،المرجع السابق،ص33.

[2] – آسية الهاشمي البلغيتي، المرجع السابق، ص 3.

[3] – أحمد بن يحيى عبد الرحمن بن أبي عبد الله الشريف التلمساني، مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 314، من الموقع:www.fondation.org.ma، الورقة29/و.

إلى عبد المهيمن وقال له :"أراه لم يستمع منك" فأجابه بقوله:"لا تبديل لخلق الله"، فشتان بين المثالين في أخلاق العلماء و مراميهم،وفي هذا المقام نستشهد بأثر للإمام أبي حنيفة أورده أبو العباس المقري في نفحه يعكس ما نتحدث عنه حيث قال:

"الحكايات عن العلماء أحب إلي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم"[1].

أما عن المواد المدرسة في مجالس السلاطين فكانت منصبة أساسا حول العلوم النقلية والشرعية بالخصوص لملاءمتها وضعية المجلس في الخشوع والاطمئنان وهيبة السلطان ولأنها العلوم المركزية في ذلك العصر يستفيد منها السلطان في إقامة الدولة وإصلاح الرعية والقيام بحقها وحرصه على أن تكون طيعة له في تسيير أمورها [2].

وتجدر الإشارة إلى أن التوجه المذهبي والسياسي للدولة له دور في تحديد مضمون البرامج التعليمية وشجعت الدول ما يناسب مذهبها ومناخها السياسي العام خدمة لمصالحها وهي الراعية الأساسية لفتح مجال الحركة الثقافية والعلمية عن طريق الأموال التي تقدمها لرجال العلم من فقهاء وأدباء ومساهمتها في بناء المدارس والمجالس العلمية التي تعقد في بلاطها، وعادة ما كان الأمراء يميلون إلى الثقافة الأدبية كالشعر والتاريخ ويتدخلون أحيانا لمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف المذهب المالكي،من جهتهم كان بعض الأساتذة ينصحون طلابهم بالابتعاد عن بعض العلوم كالفلسفة والمنطق[3].

وفي هذا المقام نسجل أن المجالس العلمية التي كانت تعقد بحضرة السلاطين منها ما عقد بصفة منظمة لقراءة كتب معينة، مثل ما ذكر عبد العزيز الملزوزي في قصيدة تهنئة السلطان المريني أبي يوسف يعقوب الفطر وذكر فيها أهم العلوم التي ينصب اهتمامه عليها:

---

1 - المقري ، أزهار الرياض، ج1، ص21.

2 - عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص215.

3 - عيسى بن الذيب وآخرون، المرجع السابق، ص-ص162-163.

سِيرَةُ يَعقوبَ بنِ عَبد الحقِ قَدْ حَازَ فيها قَصَبَاتِ السَّبْقِ

سِيـرتُـهُ أَنْ يَقْـرَأَ الكِـتابَا وَيَــذْكُــرَ العُلُـومَ والآدَابَا

يَـقْـرَأُ أَوَّلًا كِـتَابَ السِّيَرِ وَالقَـصَصِ التِي بِكُـلِ خَبَرِ

ثُمَ فُتُـوحَ الشَّـامِ بِاجْـتِهَادِ وَبَعْـدَهُ المَعـروف بالأنجاد

سُؤالُـه تَعجَـزُ عنه الطلبـه وَمَنْ لديهِ مِنْ أَجَلِّ الكَتبة[1]

ولعل تفسير هذا الأمر يرجع إلى ضعف التكوين العلمي لهذا السلطان ووعيه بضرورة التحصيل العلمي فالدولة المرينية ذات أصول بدوية فأخذ أمراؤها المسألة التعليمية بعين الاعتبار وأيضا لافتقار الدولة إلى أسس مذهبية وتقاليد تعليمية في أوساط المجتمع[2].

وبدوره كان السلطان أبو الحسن يتخير من علماء مجلسه من يقرأ بين يديه أمّهات الكتب والمؤلفات العربية، وبصفة خاصة الحديث والتاريخ والتصوف و فروع الفقه المالكي وتفسير القرآن الكريم[3].

وهو ما يسجل عن تونس الحفصية فقد نال علم الفقه النصيب الأوفر من اهتمام العلماء تدريسا وتأليفا وافتاءا وعلى أيديهم تخرجت طبقات الفقهاء والقضاة والشهود وسائر أصحاب الخطط الشرعية على المذهب المالكي الذي انتصبت بتونس إحدى مدارس الكبرى التي تمد التعاون العلمي إلى مدارس أخرى بمصر وسائر بلاد المغرب[4] .

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص300.

[2] - احمد بوزيدي، المرجع السابق، ص67.

[3]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص339.

[4]- محمد أبو الأجفان: "الفائق في معرفة الوثائق لأبي عبد الله محمد بن راشد القفصي" في مجلة **آفاق الثقافة والتراث**، العدد8، شوال1415هـ/مارس1995م، ص74.

وهذا التنوع في المواد المدروسة كان سمة العصر بخلاف سابقه الموحدي حيث اقتصر على القرآن الكريم وعقائد ابن تومرت في التكوين العلمي مع تدخل السلطة المباشر في توجيه التعليم بما يخدم اديولوجيتها[1].

فكان ابن مرزوق الخطيب يقرأ بين يديه صحيح البخاري ومسلم[2]. وكتاب الشفاء وتهذيب ابن هشام سيرة ابن إسحاق وجملة من كتب الوعظ والحديث والتاريخ إلى جانب القصائد[3]، وتظهر منزلة بعض الكتب بدليل تكرار الإشارة إلى وقفها مثل صحيح البخاري والشفاء[4]، وتتحدث المصادر عن العمل اليومي للسلطان أبي الحسن فيحتلّ الجلوس لأهل العلم والفضل قسما كبيرا منه قد يستمر الليل بأكمله، فبعد عودته إلى قصره «....تحضر العلماء والفضلاء والأعيان إلى مسامرته [5] ...».

كما أن السلطان أبا عنان كان مثل والده يجلب كبار العلماء إلى قاعدة ملكه ويجبرهم على حضور مجلسه العلمي فيعطون الدّروس ويتلقونها [6]، وبدوره أشادت المصادر بالمجالس العلمية التي كان يعقدها في قصره:

«... وأمّا اشتغاله بالعلم فهاهو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كلّ يوم بعد صلاة الصبح و يحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين

[1] – احمد بوزيدي، المرجع السابق، ص68.

[2]– ابن مرزوق، المسند، ص276،275،271.

[3]– وتجدر الإشارة هنا إلى مكانة صحيحي البخاري ومسلم في الوسط العلمي للمغربين الأوسط والأقصى وتمكن علمائه منهما،فاحتلوا الصدارة في إقرائهما ينظر: (مؤلف مجهول، القول الأحوط فيما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم3185، الورقتان14و15؛ ابن مرزوق، المسند.، ص277؛ القلصادي، المصدر السابق، ص103).

[4] – عبيد بوداود، الوقف، ص169.

[5]– ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص565.

[6]– عبد الله العمراني ، المرجع السابق، ص68.

يديه تفسير القرآن العظيم و حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة .....[1] » ومثال ذلك الإمام أبو عبد الله المقري كان يقرأ بين يدي السلطان أبي عنان صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس[2].

المبحث الثالث: أنواع المجالس العلمية السلطانية.

يمكن التمييز بين المجالس العلمية التي عقدت بحضرة سلاطين دول بلاد المغرب الإسلامي من خلال المواضيع المطروحة فيها أو حتى من خلال الأهداف المرجوة منها، فمنها ما كان تقليديا ونقاشا بين عالمين في مجلس السلطان، ومنها ما خصص لعالم معين لدراسة كتاب في صنف من صنوف العلوم السائدة آنذاك وأحيانا كثيرة كان الأمر يتعلق بقضية يستفتي فيها السلطان علماء مجلسه وغالبا ما تنتهي بمناظرة بين البعض منهم.فقد كان السلاطين يعقدون المجالس للمناظرة و المحاضرة و مطارحة الأدباء ومحاورة الشعراء[3].

ونجد أيضا أن مجلس السلطان قد يتخذ شكل حفل ديني وكثيرة هي المناسبات التي يشارك فيها السلطان الاحتفال مع رعيته مثل الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى أو الاحتفال بموكب الحج ومن أبرز المناسبات الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

يعد الاحتفال بعيد الفطر والأضحى من أبرز المناسبات في المجتمعات الإسلامية مع ما يرافق هذه المناسبة من تحرٍّ لرؤية الهلال[4]، كما نلاحظ أن موكب الحج أخذ مظهرا احتفاليا، فقد كان انطلاق ركاب الحجيج قد انقطع مدة من الزمن بسبب الفتن والثورات التي رافقت انهيار الدولة الموحدية (668هـ/ 1269م)، وفي هذا يقول عبد الرحمن بن خلدون في كتابه

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص433.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص162.

[3] – عبد الله كنون، النبوغ المغربي،ج1،ص185؛ انظر الملحق رقم 11.

[4] – صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 201.

العبر: " استجد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج في السفر إلى مكة...[1]".

فكان أول ركب قد نظمه السلطان يوسف ابن يعقوب المريني وقد استمر نموذجا للركاب بعده وكان يدخل في تنظيم الركب بعث الأموال برسم توزيعها على سكان الحرمين مكة المكرمة والمدينة المنورة ومصاحف للحرم المكي بخط أمهر الخطاطين وفي أبهى الأشكال وأحسنها بل وتذكر بعض الروايات أنه تم توجيه الكسوة للكعبة المشرفة[2]، وكل هذا يعكس الرابط الروحي لأهل المغرب نحو بلاد الحرمين مهبط الوحي ومولد أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان من بين المناسبات التي يحرص أهل بلاد المغرب على إحياءها مناسبة المولد النبوي الشريف.

وجد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مند عهد الفاطميين بمصر في فترة حكم المعز لدين الله الفاطمي (341- 365)هـ (953- 975)م حيث كانوا يحتفلون به ضمن ستة مواليد وهي مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ومواليد آل البيت رضوان الله عليهم: علي بن أبي طالب، فاطمة الزهراء، الحسن والحسين، والسادس هو مولد الخليفة الحاضر وتوسع الفاطميون في إحياء هذه المناسبة أكثر ممن سبقهم وأضفوا عليها مظاهر الجلال والعظمة فعمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة الهجرية الأولى[3].

ثم ظهرت في نواحي الموصل بالعراق في مدينة أربيل في عهد ملكها مظفر الدين كوكبري (ت630هـ/ 1232م) الذي بالغ في تعظيم الاحتفال بالمولد النبوي، حيث كانت

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر ،ج7، ص298

[2] – ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 275؛ محمد المنوني ، ورقات، ص 172.

[3] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 274.

مدينته تفيض بوفود الفقهاء والقراء والشعراء فتقام مجالس الإنشاد ومواكب بهيجة بحضور عموم الناس.

ويذكر الرحالة الأندلسي ابن جبير في رحلته (ت 579هـ- 1183م) أن مقام مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة يفتح في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين بصفة خاصة ليدخله كافة الناس ويذكر في رواية أخرى أن يوم المولد النبوي يتخذ عطلة عامة بمكة المكرمة وتفتح فيه الكعبة المشرفة أمام الزوار[1].

أما إذا انتقلنا إلى الجانب الغربي للعالم الإسلامي فأول من دعا إلى الاحتفال بالمولد هو قاضي سبتة أبو العباس أحمد ابن القاضي محمد بن أحمد اللخمي ثم العزفي السبتي (ت 633هـ- 1236م) وألف في هذا الموضوع كتابه (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) ولم يكمله وألف بعده ابنه أبو القاسم محمد بن الإمام أبي العباس (ت 677هـ) تكملة الدر المنظم في مولد النبي المعظم أكمل فيه تصنيف أبيه[2].

وقد ساهم الموحدون في الاحتفال بليلة المولد النبوي رغم أن المصادر لم تتوسع في الحديث عن الاحتفال بمراكش، أما في العهد المريني فقد كان في البداية مع مؤسس الدولة يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/ 1258- 1286م)لكن ابنه يوسف بن يعقوب (685- 706هـ/ 1286- 1308م) عممها ودعا إلى تعظيمها وأصدر مرسوما سلطانيا (691هـ/ 1292م) يجعل المولد في الأعياد الرسمية[3].

---

[1] - محمد المنوني، ورقات، ص 518.

[2] - نفسه، ص 521 ؛ عبد الرحمن حمادو:" تجريد الكتب المؤلفة في المولد" في مجلة **رسالة المسجد**، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 3 ربيع الأول 1430هـ/ مارس 2009م، ص- ص 7- 27.

[3] - محمد المنوني، ورقات، ص 521 ؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 276.

وقد اكتمل الاحتفال بهذه المناسبة في عهد السلطان أبي الحسن المريني حيث تبنت الدولة جميع النفقات، يذكر ابن مرزوق صاحب كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " أنه كان يقيمها سفرا وحضرا لا يشغله عن إقامتها شاغل، كان يصل الشرفاء والقضاة والفقهاء والخطباء من أهل البلاد لشهودها والعادة أن يستعد لها بأنواع المطاعم والحلاوات وأنواع الطيب والبخور وإظهار الزينة والتأنق في المجالس، ويستمر الاحتفال إلى الصبح" وقد أقام هذه الليلة بمحضر العلماء أهل تونس وغيرهم[1].

ونفس الأمر نجده عند خلفاء أبي الحسن خاصة ابنه أبو عنان المريني الذي تصفه المصادر ب: "هذه مكرمة خص الله بها هذه المملكة الشامخة والسلطة المرينية" ،"وكان السلطان المرحوم أبو عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني يجل هذا الشريف –أبو العباس الشريف صاحب سبتة–ويعترف له بالفضل ويعطيه العطاء الجزل وكان يستدعيه كل سنة إلى حضرته فاس لحضور المولد السعيد الذي سنه ببلاد المغرب الشيخ أبو العباس العزفي"[2].

ثم ظهر في تونس في دولة السلطان أبي يحي أبي بكر بن الأمير أبي زكريا يحي، أما في الأندلس فقد وجد هذا الاحتفال من أيام السلطان أبي الحجاج يوسف الأول 733- 755هـ لتعرف الاحتفالات تطورا في عهد ولده محمد الخامس الغني بالله[3].

أما الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط فقد تأخر الاحتفال بهذه المناسبة مقارنة بجيرانها وفق ما تشير إليه معظم المصادر التي تجمع على أن تاريخ شيوع الاحتفال بذكرى المولد النبوي في تلمسان كان مع تولي السلطان أبي حمي موسى الثاني مقاليد الحكم سنة (760هـ/ 1359م) ومع هذا نجد في بعض المراجع إشارات إلى أن المجتمع التلمساني كان قد عرف الاحتفال بالمولد

[1] – الأنصاري،المصدر السابق، ص24.

[2] – المقري، أزهار الرياض، ج1،ص–ص38–39.

[3] – محمد المنوني، ورقات، ص 537 ؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في عهد الزياني، ج1، ص 276

النبوي قبل هذا التاريخ إلا أنه لم يكن منظما لعدم تبنيه من قبل الأوساط الرسمية وظل فقط على المستوى الشعبي[1].

يذهب بعض الدارسين إلى أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في المشرق كان في البداية مع أهل مصر بغرض استمالتهم بمختلف المبرات والعطايا في فترة عانت فيها المنطقة ضروبا من الفتن والمجاعات، والظهور بمظهر الراعي للدين عبر ما تشمله هذه المناسبات من إقامة للشعائر الدينية وما تكسبه الدولة من سمعة طيبة، وهي في نفس الوقت فرصة لإظهار قوة الدولة وهيبتها عن طريق استعرض الجند[2]، فالاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالمشرق ارتبط بتعظيم الرسول – صلى الله عليه وسلم- وممارسة الشعائر الدينية التي استقطبت عددا من المتصوفة والفقهاء ومشاركة واسعة لعامة المجتمع وما رافق ذلك الاحتفال من تمجيد للسلطة في شخص الحاكم، وبالتالي يذهب أصحاب هذا الطرح إلى أن تبني الأوساط الرسمية لهذه المناسبة والنفقات الباهضة لم يكن حبا لله ورسوله فقط وإنما اتخذ الموضوع أبعادا سياسية أيضا[3].

لكن هذا لا ينفي البعد الاجتماعي لإحياء هذه المناسبة فإشراك مختلف فئات المجتمع بداية بكبار الفقهاء والعلماء وانتهاء العامة ما يحقق قدرا من التماسك الداخلي لكل دولة واصطناعا لأبنائها، فمثل هذه المناسبة مطلب نفسي اجتماعي يدفع الناس إلى التمتع بحياة أفضل بعث الحياة الدينية وتجديد أواصر الاتصال مع الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم – عن طريق الاسترجاع الجماعي للماضي الذي يسهم بشكل فعال في تحصين الذات وبالتالي منحها القدرة على مجابهة الأخطار الخارجية وهو ما كان في مكة الحرم النبوي في القرن السادس الهجري ، فقد عرف العالم الإسلامي خلال هذا القرن خطر الحروب الصليبية[4].

[1] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في عهد الزياني ، ج1، ص 278.
[2] – صابرة خطيف، المرجع السابق ، ص 229.
[3] – نفسه ، ص– ص 232- 233.
[4] – نفسه، ص 230.

هذا عن المشرق فماذا عن المغرب الإسلامي؟ أهم ما دفع "أبا العباس السبتي إلى التفكير في إحياء ليلة المولد النبوي شغلُ الناس عن البدع والقضاء على المناكر بأمر مباح، فوقع في نفسه أن ينبه أهل زمانه إلى الإعتناء بمولد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وابتدأ أولا مع أطفال الكتاتيب القرآنية لتلقينهم المغزى الحقيقي لهذا الاحتفال كما دعا إلى اتخاذ هذا اليوم عطلة وبهذا نشأ الاحتفال لمقاومة التقليد الديني للمسيحيين الذي اعتبر آنذاك أحد عوامل ضعف الشخصية الأندلسية[1].

ونسجل أن الاحتفال بالمولد النبوي رافقه ظهور ما يعرف بالرسائل النبوية التي اعتبرت تعبيرا صادقا عما يعتري الأمة الإسلامية في الأندلس من خوف و قلق على مصيرها بعدما اشتد خطر الأسبان عليها فكانوا يبعثون الرسائل إلى ضريح الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- يستجيرون به من كل ما يتهددهم من خطر الأسبان و سقوط الأندلس بأيديهم[2]،وقد وصل إلينا من عهد بني الأحمر عدة أسماء لعلماء كتبوا هذا النوع من الرسائل بأسماء سلاطينهم نذكر منهم ما كتبه لسان الدين بن الخطيب عن أبي الحجاج يوسف و عن الغني بالله محمد الخامس.

ومن المسائل التي طرحت في مجالس الخلفاء وحفظتها المصادر قضية تعد من بين أشهر القضايا التي شغلت الفقهاء وهي أخذ المال من ذوي الجنايات كالقتل والجرح والقطع والسرقة وسائر الفواحش؛ وقد طرحت المسألة في مجلس السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز سنة828هـ/1425م وقد شغلت هذه المسألة حيزا كبيرا من اهتمام فقهاء المذهب المالكي - كما سبقت الإشارة-حيث أملى الفقيه البرزلي بمجلس السلطان جوابا مطولا في قدر ساعتين

[1] - محمد المنوني، ورقات، ص 518.

[2]- عزيز حسين علي الموسوي، النثر الأندلسي الرسائل السلطانية في عصر بني الأحمر، دار المنهجية، الأردن، 1437هـ/ 2016م، ص31.

وبعد أن وصلت هذه الفتوى إلى فقهاء المغرب ناقشوها وألفوا فيها رسائل صغيرة منها: **مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام في رد القول بإباحة اغرام ذوي الجنايات والإجرام زيادة على ما شرع الله من الحدود والأحكام** [1].

ومن المسائل التي طرحت بحضرة السلطان أبي الحسن المريني قضية ستر الموتى بثياب الحرير والذهب وقد نزلت هذه المسألة أواسط القرن الثامن بمجلس السلطان أبي الحسن المريني في المسجد الجامع بمحل ضريح الشيخ الصالح أبي مدين شعيب من عباد تلمسان إذ لونت قبلته وذهبت واحتفل فيها فأفتى الفقيهان الإمامان الشيخان ابنا الإمام ومن حضر من أئمة المغرب بزواله[2]، فالملاحظ اذن عقد مجلس سلطاني وطرح قضية للنقاش عرضا ودون سابق تحضير بين يدي السلطان، وفي نفس الوقت احترام ما أشار به علماء المجلس وأفتوا به .

ومن المواضيع التي نشير إليها أيضا قضية النسب الشريف وهذه المسألة نجد لها حيزا كبيرا ضمن اهتمامات الفقهاء ومؤلفاتهم ومثال ذلك: **إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم** لابن مرزوق الحفيد عالج فيه النسب الشريف من جهة الأم معتمدا على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية خاصة مع أهمية الموضوع لدى الكثير من العلماء لدوره في قيام الدول ومسارها التاريخي في بلاد المغرب الإسلامي[3] ، وقد ذكر هذا الموضوع مطولا الشيخ الونشريسي في معياره[4] ولو أوردنا ما ذكره لخرج البحث عن سياقه.

ومن أشهر المجالس التي طرح فيها هذا الموضوع مجلس السلطان أبي عنان المريني ذكره أبو العباس المقري في حديث له عن جده أبي عبد الله المقري حيث ذكر: "انه كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم،وكان نقيب الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم

---

[1] - ابن الشماع الهنتاتي، المصدر السابق، ص57، 77وما يليها.

[2] - الونشريسي، المصدر السابق،ج1، ص346.

[3] - بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص236.

[4] - للتفصيل ينظر: الونشريسي،المصدر السابق، ج2، ص540 وما يليها؛ ج12، ص –ص207-211.

له السلطان وجميع من في المجلس إجلالا له إلا الشيخ المقري فانه لا يقوم في جملتهم فأحس النقيب من ذلك وشكاه إلى السلطان ،فقال له السلطان:هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله إلى أن ينصرف ، فدخل النقيب في بعض الأيام على عادته فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس فنظر إلى المقري وقال له: أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه إكراما لجدي وشرفي؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي؟ فنظر إليه المقري وقال له :أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ سبعمائة سنة ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا –وأشار إلى السلطان أبي عنان– وأجلسناك مجلسه[1].

وهنا نكتفي بالإشارة إلى الموضوع المطروح للنقاش بحضرة أحد السلاطين أما مناقشة المضامين الفقهية فالأرجح أن نتركها لأهلها.

---

[1] – المقري، نفح الطيب، ج5، ص281 ؛ والقصة مذكورة في العديد من المصادر ينظر مثلا: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص191؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص426.

الفصل الثالث:

أثر المجالس العلمية السلطانية في الحياة الفكرية لبلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول : التواصل بين العلماء والفقهاء.

المبحث الثاني: الوظائف والمهام الموكلة للعلماء المنتسبين للمجالس السلطانية.

المبحث الثالث: الإسهام الحضاري للمجالس العلمية السلطانية

المبحث الأول: التواصل بين العلماء والفقهاء.

إن طالب العلم إذا وصل إلى مرتبة علمية تؤهله لأن يكون فقيها لا تعني انقطاع صلته بغيره من فقهاء عصره، بل إن ذلك سبب لوجود تلك الصلة أحيانا، إذ واجه بعض الفقهاء مواقف احتاجوا فيها إلى الاتصال بغيرهم من الفقهاء، وقد تم ذلك الاتصال بوسيلتين رئيسيتين هما المراسلة والتنقل بين المدن[1].

فقد هيأ تنقل الفقهاء بين المدن وسيلة مباشرة للاتصال فيما بينهم مما أتاح أمامهم فرصة مناسبة للتواصل العلمي، فوجب حسن اختيار الفقهاء للمدن التي يستقرون فيها، حيث وجدوا في المدن الكبيرة مراكز استقطاب لهم، وذلك لمصلحة العلم الذي يحملونه من ناحية نشره والاستفادة منه، أو تطويره بالاختلاط مع علماء آخرين وحتى الاستفادة منه بنيل وظائف لدى الدولة[2].

ولم تقف أمام طلبة العلم وتبليغه حدود، خاصة أمام إمكانية التنقل بحرية بين مختلف حواضر دول المغرب والأندلس وترحيب الشيوخ بكل طالب علم وحرية الطلبة في اختيار الشيوخ والانتقال من شيخ إلى آخر لاستكمال العلم[3].

[1] – علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب في منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، أطروحة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، 1424هـ/ 2003م، ص 16.

[2] – علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، المرجع نفسه، ص 56.

[3] – عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 465- 467.

فقامت شبكة بناء من الصلات الثقافية شملت كل بلاد المغرب والأندلس بين الطلبة والشيوخ وبين الشيوخ صلات مباشرة أو بالمراسلة، فيتبادلون الكتب والرسائل والإجازات[1]،وكان الهدف من السعي إلى لقاء العلماء و الاتصال بهم أحيانا لاكتساب مناهج علمية جديدة وطرق وأساليب متطورة في التعليم والتأليف وحتى تصحيح بعض المناهج الفكرية والتعليمية فيكون الإعجاب والتعلق بأحد العلماء سببا في بقاء حتى بعد العودة إلى الأوطان عن طريق المراسلة لاستيضاح مشكل أو لاستفتاء أو للمزيد من التعلم و التحصيل[2]،حيث استخدم الفقهاء المراسلة في إطار العلاقات العلمية أو الوظيفية بينهم ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

1- **مراسلات شخصية:** وهي التي تبادلها الفقهاء لأسباب خاصة بهم كأن تكون رسائل توصية لطلابهم أو للمساعدة في الحصول على المعلومات في أثناء تأليف الكتب، أو إبداء الرأي أو التقديم لها.
2- **مراسلات وظيفية:** تعد رسائلها من ضرورات المنصب الإداري الذي تولاه الفقيه، وبمقتضاه تراسل مع غيره من الفقهاء واستخدام هذا القسم من المراسلات بالدراسة الأولى للقضاة ثم الفقهاء المشاورون[3].

فبالنسبة للأولى نذكر على سبيل المثال مراسلة الفقيه أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني لابن زمرك[4] يطالب فيها أمداحا لكتاب الشفاء للقاضي عياض ليجعلها مقدمة لشرحه[1]، وكان إذّاك مقيما بمدينة فاس[2]، فبعث ابن زمرك بهذه الأبيات:

---

[1] - عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 467.

[2] - الحسن الشاهدي، المرجع السابق،ص96.

[3] - علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، المرجع السابق، ص 16.

[4] - محمد بن يوسف الصريحي ابن زمرك توفي بعد 795هـ/ 1393م، يكنى أبا عبد الله أصله من شرق الأندلس يعدّ من أشهر شعراء الأندلس، أخذ عن العديد من علماء عصره منهم أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب ينظر: (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص- ص 300- 303 التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 478)

يا مَنْ سمَا لِمراقي النجم مَقصَدُه ونفسُه بنفيس العلم قد كَلِفتْ

هذي رياض يورقُ العقلَ مَخبَرُها هي الشِفا لنفوسِ الخَلْق إن دَنِفَتْ

يُجْنَى بها زَهَرُ التكريم أو ثَمَر التعظِيم والفوزُ للأيادي التي قَطَفتْ

أَبْدتْ لنَا من سناها كلَّ واضحة حسابُها دُونَها الأطماع قدْ وَقَفتْ

وشيَّدَ العقلُ أَركانًا مُوطَّدَةً بها على مَتْن أصل الشرعِ قد وُصفتْ

قُوتُ القلوب وميزانُ العقول متَى حادَتْ عن الحجة الكبرى أو انْحرفَتْ

فيا أبا الفضل حُزتَ الفضلَ في عرضٍ به أقرَّت لكَ الأعلام واعترفتْ

لَأَنْتَ بحْرُ علومٍ ضلَّ ساحِلُه منه استمَدَّت عيونُ العلم واغترفتْ

زارتْه من جَنباتِ الفرس ناسِمةُ فحرَّكتْ منهُ فوْج الفكر حينَ وفَتْ

حَتَّى إذا ما طَمَتْ أرجاؤه قَذَفَتْ لَنَا بدُرتِها الحسناءُ وانْصرَفَتْ

إن العنايةَ لا يَحظَى بِنَائِلِهَا حَريصَها بَلْ علَى التخْصيصِ قدْ وَقفتْ[3]

وأورد لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة الأبيات التالية:

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعُها

بمرآت حُسْن قد جَلَتها يد النهى فأوصافه يلتاح فيه بديعُها

نجوم اهتداء والمداد يُجنها وأسرار غَيْبِ واليراع تذيعُها

لقد حُزت فضلاً يا أبا الفضل شاملا فيُجْزِيكَ عن نصح البرايا شفيعُها[4]

---

[1] - برج الخفاء في شرح الشفاء هو شرح لكتاب الشفا للقاضي عياض، نال مكانة متميزة عند من اطلع عليه في عصره، وكان مناسبة للعديد منهم لمدحه والثناء عليه ينظر: إبن مرزوق الخطيب، المسند، ص 48 من مقدمة التحقيق.

[2] - الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 143.

[3] - نفسه، ج 11، ص143.

[4] - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 310.

وللسان الدين بن الخطيب نفسه مدائح شعرية في شرح ابن مرزوق الخطيب لكتاب الشفا للقاضي عياض بعدما اضطلع على فصول منه، منها الأبيات التي بعثها من مدينة سلا:

أَأَزاهــيــر ريــاض أم شـــــفاء لِعِياض
جدّل الباطل للحق بأســيــافٍ مــواض
وخـلا الأنـوار برها نًا بحـــقٍ وافــتراض
وشـفـى من يشتـكـي الغلّـــة في زُرْق الحياض
أَيُّ بُـــنيان مُــغارٍ آمــنٍ فَوْق انقضاض
أَيُّ عـهدٍ ليس يُرمى بانـتــكاثٍ وانـتقاض
ومعــانٍ في سطــور كَأُسُـــودٍ في غِيــاض
وشـــفاء لصـــدور من ضَن الجَهل مُراض[1].

كما صدرت عدة مراسلات من لسان الدين بن الخطيب إلى علماء عصره منها: مخاطبته أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون عند ارتحاله من الأندلس إلى تلمسان[2]، وهو الذي كان خاطبه عند قدومه إلى غرناطة سنة 764هـ/ 1362م بقوله:

حَلَلْت حلول الغيث في البلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسَّهْلِ
يميــنًا بمـن تَعْنُـو الوجـوه لوجهـه من الشيـــخ والطفـل المهدَّإِ والكَهْلِ
لقــد نَشَأَتْ عنـدي لِلُقباكَ غبــطة تُنْسَى اغتباطِي بِالسَّبِيبَــةِ و الأَهْلِ[3]

[1] - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص- ص 127- 128.
[2] - نفسه، ج4، ص 593.
[3] - نفسه، ج3، ص- ص 499- 500.

ومن الأمثلة الشاهدة على المراسلة بين العلماء ودورها في الحياة العلمية الفقهية أبو عبد الله الشريف التلمساني الذي استفاد منه عدد كبير من فقهاء عصره عن طريق المراسلات الكتابية بإيفاد أسئلة دقيقة في مختلف العلوم لحل غموضها أو بعرض كتب مؤلفة لإبداء الرأي بها وتقويمها أو حتى تقييد فتوى لحفظها وتدوينها فكان له عدة تلاميذ بالمراسلة[1] أشهرهم:

- **أبو سعيد بن لب** (ت 782هـ/ 1380م) الذي له عدة أسئلة وجهها لأبي عبد الله الشريف التلمساني أجابه عنها وفصل فيها[2]، وكان كلها أشكلت عليه مسألة كاتبه بها وطلب منه بيان ما أشكل مقرا له بالفضل[3].

وكان **لسان الدين بن الخطيب** إذا ألف تأليفا بعثه للشريف التلمساني وعرضه عليه طالبا منه أن يكتب عليه بخطة حيث يذكر ابن مريم: " أن العالم الشهير لسان الدين صاحب الأنباء العجيبة والتآليف البديعة كلما ألف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه[4] ".

أما بالنسبة للمراسلات الوظيفية والتي سبق وقلنا أنها تخص بصفة أوسع القضاة والفقهاء المشاورين فمن أبرز الأمثلة مراسلة الإمام محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي علماء فاس وتونس وتلمسان حول قضية يهود توات فتوالت الردود من العديد من العلماء كالحافظ التنسي والإمام السنوسي والرصاع مفتي تونس وأبو مهدي الماواسي مفتي فاس وابن زكري مفتي تلمسان والقاضي أبو زكريا يحي بن أبي البركات الغماري وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان،

[1] - أبو عبد الله الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص 111.
[2] - عن بعض القضايا الفقهية بين العالمين بنظر: أبو عبد الله الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص 166 ومايليها.
[3] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 175.
[4] - نفسه، ص 175.

كلها توافق ما انتهى إليه الإمام المغيلي[1] وهذا يدل على دور المراسلة في مناقشة العديد من القضايا والإشكالات الفقهية بين كبار العلماء.

ومن أهم مظاهر التواصل بين الفقهاء والعلماء في شتى الاختصاصات الإجازة التي هي إباحة المجيز للمجاز له رواية ما يصح عنده أنه حديثه وتكون مشافهة أو اذنا أو كتابة ومن شروطها كون المجيز عالما بما يجيز وكونه ثقة في دينه وروايته معروفا بالعلم ،وكون المجاز من أهل العلم حتى لا يوضع العلم في غير أهله،وقد اتسع مجال الإجازة ليشمل إلى جانب الأحاديث النبوية مختلف الفنون العلمية وقد حرص الطلبة على ربط أسانيدهم إلى أصحابها[2].وكانت تتم بحضور الطرف المجاز أو إرسالها من بلد لآخر وبواسطتها يحق لصاحبها رواية ما أجيز له حسب قواعد توثيق الرواية باستخدام كلمة حدثنا أو أخبرنا [3].

وهكذا تم التواصل بين العلماء من تونس وتلمسان وفاس وغرناطة وتبادلوا الرسائل والفتاوى والمؤلفات الإجازات وخاضوا مجال المناظرة في مسائل الخلاف الفقهي والتعاون في مجال الاجتهاد في المسائل المستجدة[4]، وعلى العموم كان الاتصال بتداول المعارف وتبادل الكتب ومنح الإجازات في مختلف العلوم إما باللقاء المباشر أو بالمكاتبة وهو ما كان اثر كبير في تفعيل الحركة الفكرية بين حواضر بلاد المغرب.

---

[1] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص- ص 576- 577.

[2] – المجاري، المصدر السابق،ص50، 53؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص460.

[3] – علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص39.

[4] – محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص75.

المبحث الثاني: الوظائف والمهام الموكلة للعلماء المنتسبين للمجالس السلطانية.

تمتع الفقهاء وأهل العلم بنفوذ ديني ومعنوي مما جعلهم في رتب بعض أصحاب الجاه من أعوان السلطان،[1] فإلى جانب أدوارهم في تعليم السلاطين كانت مجالسهم حافلة بالعلماء من مختلف الاختصاصات تذاكروها مع سلاطينهم على مدار اليوم والليلة كل حسب برنامجه، اختص بعض العلماء بالصلاة بالسلطان ومنهم من كانت مهامه تدخل في إطار تسيير أمور الدولة وكانت مشاركتهم واضحة حيث ساهموا بشكل فعال في تدعيم واستقرار الدولة والدفاع عن شرعيتها ونفوذها وتنمية خزينتها في مساندتها في مهامها وكان ذلك بشكل مباشر أو عن طريق الفتوى الفقهية[2] فمن الخطط الدينية البارزة: القضاء والإمامة والفتيا والحسبة وغيرها.

وتتمثل أعلى وظيفة يتولاها العالم في الفتوى، ذلك أنها تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث والقياس ونحو ذلك، كما تتطلب قوة الشخصية والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، وفي هذا الإطار ذكر أبو عبد الله العقباني التلمساني عن الإمام المازري[3] في كتاب الأقضية: "الذي يفتي في هذا الزمان أقل مراتبه فيما ينقل عن المذهب أن يكون مضطلعا على الروايات ،قاصدا لمحالها وتأويل الشيوخ عليها وتوجيههم لما وقع فيها من اختلاف ظواهر و تشبيههم مسائل بمسائل قد يسبق النفس تباعدها وتفريقهم بين مسائل و مسائل قد يقع في النفس تقاربها فهذا يقتصر على نقله عن المذهب ألحقنا الله بأقل مراتب هذه الدرجة"[4].

---

[1] – إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص151.

[2] – أحمد بوزيدي، المرجع السابق، ص98.

[3] – هو محمد بن علي بن عمر التميمي المشهور بالمازري ت536هـ إمام أهل افريقية وصاحب جامع الأحكام ينظر: موسى لقبال، الحياة اليومية، ص79.

[4] – أبو عبد الله العقباني، المصدر السابق، ص83.

ونسجل هنا العديد من المواقف لعلماء و فقهاء ثبتوا على آرائهم ولم يخافوا في الله لومة لائم بداية من ابني الإمام الذين عدا "...من جلّة العلماء وبقية من السلف العظماء، لم يكن في زمانهم أعظم منهم قدرا ولا أعلى ذكرا ولا أوقع محيا عند الملوك ولا أمرا..."[1]، فكانا موضع استشارة السلطان أبي الحسن في جميع أمره، وحضرا معه أهم معاركه، بل وكانا من يشير عليه بعلماء آخرين ممن ينظمهم في مجلسه[2].

ونسوق كمثال على مدى امتثال السلطان أبي الحسن بما يشير عليه به ابنا الإمام قضية ندبه الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد: "لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-"[3].

ونسجل أيضا موقفه من طلبهما العفو عن السكان عند استيلائه على تلمسان بقولهما:"العفو يا سلطان كفاك الله شر الانتقام" فقال لهما: "قد عفوت لله وعاملت وجه الله"[4].

فهذه أمثلة واضحة على محاولات أبي الحسن المريني استمداد الشرعية من العلماء والفقهاء خاصة أمام نشاطه التوسعي ،فاحتواء أي فقيه هو احتواء لكافة طلبتهم خاصة مع مكانتهم الاجتماعية مغربا ومشرقا[5].

1- أحمد بن أبي يحي، المخطوط السابق، الورقة 7 / و.

2- إبن مرزوق الخطيب، المسند،ص265.

3- إلى جانب فتاوى من هذين الإمامين وعلماء آخرين في عدة قضايا انظر بعضها عند: (ابن مرزوق، المسند، ص133، 303، 287-289، 192؛ المازوني، المصدر السابق، ج2، ص112، 183، 293، 253؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص329 على سبيل المثال فهو في الأصل مجموع لفتاوى عدد كبير من العلماء).

4 - ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص209.

5 - صابرة خطيف، المرجع السابق، ص114.

وفي العهد الحفصي برز دور المفتي أساسا مع تولي ابن عرفة خطة الإفتاء مما أدى إلى تطور دور المفتي في القرن التاسع الهجري/15م وصارت رتبته أرفع من درجة القاضي؛واتخذت هذه الخطة صبغة رسمية وكانت بداية لتكون نخبة دينية مستقلة نسبيا عن السلطة لكن نفوذها بقي معنويا وأحيانا كثيرة دافعت عن السلطة القائمة[1].

ثم نجد أن عددا كبيرا من العلماء الذين ألحقوا بالمجالس السلطانية نصبوا خطباء مع أن مقاييس اختيار الخطيب صعبة، لأن الجمهور يشترك في الحكم عليه، بخلاف المفتي والقاضي اللذين يتوليان وظيفة سياسية دينية ،ومن شروط الخطيب الفصاحة وجودة الصوت وسعة الإطلاع والجرأة الأدبية[2]،فالظاهر أن الكفاءة العلمية والتقوى والصلاح هي أهم المعايير لتولي الخطابة رغم بعض المحاولات لحصرها في بيوتات معينة مثل محاولة ابن عبد الرفيع سنة 726هـ/1326م حصر الخطابة في بيوتات تونس عندما قدم ابن عبد الستار خلفا لأبي موسى هارون وأخر ابن عبد السلام بدعوى انه ليس من أهل تونس لكن هذه المحاولات على أساس الانتماء الجغرافي كانت فاشلة [3] .

في حين نجد أن إشادة وثناء بعض العلماء على السلاطين في خطبهم كانت ربما من أسباب توليتهم الخطابة وتقريبهم،وأوضح مثال نسوقه هو ابن مرزوق الخطيب الذي عينه السلطان أبو الحسن خطيبا بجامع العباد[4].وصفة يحي بن خلدون بقوله:"...الخطيب المصقع ذو وجاهة عند السلطان...."[5].

---

[1] - إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص173.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص401.

[3] - إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص167.

[4]- ابن مرزوق ،المناقب المرزوقية، ص304؛ بوبة مجاني: "تاريخ أسرة المرازقة من خلال مخطوط لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المعروف بالخطيب والجد والملقب بشمس الدين (ت781هـ/1476-1476-1477م)" في مجلة: **حوليات** يصدرها المتحف الوطني للآثار، العدد الثامن، 1420هـ/1999م، الجزائر، ص126.

[5]- يحي بن خلدون ،المصدر السابق، ج1، ص125.

فبلاغات الدولة الرسمية كانت تقرأ عند إقامة صلاة الجمعة،وكانت خطبة الجمعة تبدأ بالصلاة على النبي الكريم-صلى الله عليه وسلم-، والتسليم على خلفائه الأقربين، والدعاء للسلطان القائم، فإذا كان ثمة نزاع على السلطة بين عدة متنافسين كان لخطبة الجمعة شأن سياسي كبير[1].

فالمسجد وإلى جانب الأدوار التي اضطلع بها منذ مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في سائر مصالح المجتمع ليشمل ذلك الدور في العصر الوسيط الجانب السياسي أو ما يمكن وصفه بالتوظيف السياسي للمسجد.

كما انتظم العديد من أولئك العلماء في سلك القضاة رغم أن تاريخ القضاء في الإسلام يشهد أن كثيرا من العلماء كانوا يرفضون وظيفة القضاء، ويعتذرون عنها خوفا من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها وتقديرا منهم لخطورتها[2] كونها " من الوظائف الداخلة تحت الخلافة[3]"، فالقضاء " منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للنزاع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة[4]"،مع الإشارة إلى أن القضاء يقع حسب المذهب المالكي[5].

1- روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص45.

2- الأنصاري، فهرست الرصاع، ص34؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص-ص401- 498 ؛ Atallah Dhina, op.cit,p.321.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص229.

4- المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

5- احمد بن عامر، المرجع السابق، ص33.

ولقد نظّم سلاطين المغرب الإسلامي هذه الوظيفة فكان لسلاطين بني مرين مجالس يترأّسونها بأنفسهم للنّظر في القضايا المهمّة وسماع الشّكايات منها مجلس الفصل بالقصر الملكي بفاس[1]، وعلى غراره أسس أبو الحسن المريني قبة العدل بكل من سبتة وتلمسان وهي عبارة عن مجلس للمظالم يترأسه بنفسه أو ينيب عنه شخصية يثق بها من الوزراء أو الفقهاء[2].

وهو ما نجده عند سلاطين بني حفص الذين عقدوا مجالس للنظر في المسائل المستعصية بحضور أكثر من قاض وفقيه حتى أصبح مجلسا شبه قار ومؤسسة رسمية حيث أن سلاطين بني حفص "كانوا يجعلون يوم الخميس لاجتماع القاضي والعلماء في مجالسهم ..."[3].

ويرجع تنظيم خطة القضاء بافريقية إلى العهد الحفصي حيث ارتكز النظام القضائي على هذه الخطة التي يشرف صاحبها على بقية القضاة المنتشرين في مختلف المدن وكان يساعده قاضي الأنكحة ثم ظهر في فترة لاحقة منصب قاضي المعاملات وقاضي الأهلة[4].

من جهة ثانية كان لأولئك القضاة رئيسا أكبر يدعى قاضي القضاة[5]، كما كان للجيش قاض خاص يتنقل بتنقله، ويفصل في خصوماته[6].

ومن الأمثلة التي نسوقها تولي القاضي أبي عبد الله المقري منصب قاضي الجماعة بفاس، وهو كبير القضاة والرئيس على القضاء[7]، وله مكانة عظمى في التقدير والإجلال،

---

[1]- محمد المنوني، ورقات،ص-ص81-82.

[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص566؛ محمد المنوني، ورقات ، ص82؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص127.

[3] - ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص292؛إبراهيم جدلة،المرجع السابق،ص164.

[4] - ابراهيم جدلة،المرجع السابق،ص151.

[5]- إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص127.

[6]- المرجع نفسه، ص127؛ إبراهيم بحاز: " مدخل إلى القضاء عند الزيانيين" في مجلة: **الوعي**، العدد المزدوج (3-4)، جمادى الثانية / ماي، 1432هـ / 2011م، ص63.

[7]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص245؛ المقري ، رحلة المقري،ص52؛ إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص63

والشخصية الكبرى في مجالات العلم والسياسة[1]، تظهر من خلال ما وصفته به المصادر، فهذا لسان الدين بن الخطيب يقول عنه: " فاستقل أعظم الاستقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القاله وأحبته الخاصة والعامة[2]"، ووصفه صاحب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتي بقوله: " كان هذا الفقيه رحمه الله في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبيرة، قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل ويستدرك ويكمل قاضيا ماضيا عدلا جذلا[3] ".

".

ومن العلماء البارزين في القضاء أبو عثمان سعيد العقباني (811هـ / 1408م) الذي ولي قضاء بجاية في عهد السلطان أبي عنان[4]، أمّا منصب قاضي العسكر فمن أشهر العلماء الذين تولوه القاضي أبو عبد الله بن عبد النور[5].

وأمام الوضع السياسي لبلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/14و15م الذي تميز بحدة الصراع والمنافسة بين دولها، وهو ما دفع في الكثير من الأحيان إلى تدخل بعض العلماء للتخفيف من تأزم تلك الأوضاع[6]، لكن دور العلماء برز بصفة أوضح من خلال تلك تلك السفارات التي تولوها والتي كانت لأغراض مختلفة.

[1]- الأنصاري، فهرست الرصاع، ص35.

[2]- لسان الدين بن الخطيب ،الإحاطة، مج2، ص195.

[3]- أبو الحسن النباهي، المصدر السابق ، ص128.

[4]- هو سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، كنيته أبو عثمان، ولد سنة 716هـ، أخذ عن أبي الإمام والآبلي وغيرهما، عدّ من أكبر علماء عصره ت (811هـ/ 1408م): (البخاري ، المصدر السابق، ص132؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص107؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج، ج1، ص205؛ الداودي، المصدر السابق، ج1، ص183؛ المراغي، المرجع السابق، ص19؛ رابح بونار، القاضي سعيد العقباني، ص-ص 65- 67.

[5]- ابن مرزوق، المسند، ص142،173،267.

[6]- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص263.

فبعد أن انتهت سفارة أبي الحسن التنسي بين أبي سعيد عثمان الزياني وأبي يعقوب المريني باستخلاص هذا الأخير للفقيه التنسي وضمه لمجلسه[1]، نجده يتولى السفارة لصالح السلطان أبي الحسن المريني لكن سفارة من نوع آخر، فهي ليست من أجل الصلح وإنما قد تكون مهمة بعض السفارات المرينية حمل الهدايا الملكية إلى سلاطين مصر مع رسائل في شأن هدايا البقاع المقدسة وفي التوصية بالحجاج، وفي هذه الحالة كانت تذهب السفارات في رفقة واحدة مع ركاب الحجاج[2]، ومن بينها سفارة سنة 704هـ / 1304م بين يوسف بن يعقوب المريني والناصر محمد بن المنصور الصالحي في دولته الثانية (698-741هـ / 1299-1341م) وممن ذهب فيها أبو الحسن التنسي إذ كثيرا ما يرافق بعض ركاب الحجيج رجالات العلم والصلاح[3].

كما استعمل السلطان أبو الحسن المريني بعد انهزامه في معركة طريف ابن مرزوق الخطيب في سفارة إلى النصارى من أجل إبرام معاهدة الصلح وفداء ابنه الأمير أبي عمر تاشفين إلى جانب تفقد بعض الثغور وسد حاجاتها[4]، وقد نجح ابن مرزوق في مهمته وأظهر مقدرته الدبلوماسية في تمثيل السلطان والدفاع عن مصالح الدولة[5].

فقد كان ملوك وسلاطين بلاد المغرب عموما يراعون في تعيين الوفود اختيار الشخصيات التي كانت تتمتع بنفوذ معنوي وروحي وبثقافة متينة وبذلك وقع الاتصال والاحتكاك والتبادل في الأفكار وفي الآراء وتقع المناظرات والمناقشات التي ترجع بالفائدة

[1]- ابن مرزوق، المسند،ص479.
[2]- محمد المنوني، ورقات، ص171.
[3]- المرجع نفسه، ص174.
[4]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص305؛ وله أيضا: المسند، ص467، 495؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص25؛ الناصري، المرجع السابق، ج4، ص 34
[5]- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص261.

الكبرى على الطرفين[1]، ولماّ تمكّن أبو عنان المريني من انتزاع عرش أبيه عهِد بكتابة عهد البيعة إلى الإمام أبي عبدالله المقري[2] بتلمسان وذلك للأسباب التالية:

- مكانته العلمية بتلمسان بعد تكوينه بها منذ نشأتهم خروجه لطلب العلم في الحواضر المختلفة.
- مصاحبة جل العلماء لوالده في حملته على افريقية، وكان أبو عبد الله المقري من العلماء القلائل الذين لم يتعاملوا مع والده [3].

وبعد هذا ضمه إلى مجلسه العلمي حيث تولى عدة مهام منها سفارته إلى الأندلس أين بقي سنتين، ولم يعد إلى فاس إلاّ بعد تدخّل جماعته من العلماء بطلب من السلطان نفسه[4].

كما استدعى أبو عنان ابن مرزوق الخطيب وضمه إلى مجلسه العلمي وكلّفه بالخروج في عدة سفارات باسمه منها:

- افتداء طرابلس من أيدي النصارى بملغ خمسين ألفا من الذهب العين[5].
- بعته إلى تونس ليخطب ابنة السلطان التي ردت الخطبة واختفت، ووشي إلى السلطان إن ابن مرزوق كان مضطلعا على مكانها فسجن لذلك[1]، لكن مكانة ابن مرزوق استمرت إلى عهد السلطان أبي سالم –كما سبقت الإشارة – ورأس عنده رئاسته كبرى[2].

---

[1] –محمد بن شقرون،المرجع السابق،ص50.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ص68؛ التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج2، ص76.

[3]– صابرة خطيف، المرجع السابق، ص88.

[4]– عبد الرحمن بن خلدون، التعريف ،ص60؛ أبو العباس المقري، نفح الطيب، ج5، ص209 .

[5]– ابن الشماع، المصدر السابق، ص103؛ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص308؛ يحي بوعزيز، الأوضاع السياسية والاقتصادية، ص70.

فقد كان للعلماء الذين الحقوا بالمجالس العلمية أدوار حساسة ولا ننسى أن نشير إلى الدور الدعائي الذي لا يقدر عليه غيرهم حيث كانوا مستشرفين لمستقبل الدولة وفي نفس الوقت موصلين لخطابها الجديد.[3]

من خلال ما سبق يتضح أن الفقهاء والعلماء على اختلاف اختصاصاتهم تولوا مختلف الخطط في مختلف الدول[4] ، حيث لم يشكل الانتماء الجغرافي ولا أي مانع آخر حاجزا في وجه استضافتهم في بلاط غير بلاط دولهم الأصلية و التصدر لمختلف الوظائف والمهام .

المبحث الثالث: الإسهام الحضاري للمجالس العلمية السلطانية في بلاد المغرب الإسلامي.

لقد حرص سلاطين المغرب الإسلامي على أن يجعلوا من بلاطهم مجالس للعلم ومؤسسات تقوم بدور فعال في مجالس التعليم، إذ توفر تلك المجالس الفرصة لأكبر العلماء والطلبة للإفادة والاستفادة إذ تدرس فيها العلوم وتعقد الندوات العلمية والفكرية والفقهية وتثار فيها المناقشات التي يشارك فيها مجموعة من كبار العلماء[5].

فقد عمل السلاطين على تصحيح الأخطاء وإذكاء روح المنافسة بين العلماء والمثقفين ليدفعوهم إلى مزيد من البحث وإعمال النظر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاول أولئك السلاطين جعل مجالسهم منبعا للعلم لتعليمهم هم أنفسهم قبل غيرهم، ما يعني أن تلك

---

[1]- ابن خلدون، التعريف، ص52

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص115.

[3] - احمد بوزيدي، المرجع السابق، ص95.

[4]- توجد عدة دراسات صنفت الوظائف التي تولاها الفقهاء كل حسب اختصاصه انظر مثلا : عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان، ص-ص90-93حول وظائف الفقهاء في البلاط الزياني على سبيل المثال.

[5] – عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص 215.

المجالس ساهمت في تعليم السلاطين وأبنائهم كما مست المناهج التعليمية وطرائق التدريس في بلدانهم من خلال التأثير الواضح لبعض العلماء الوافدين من أقطار أخرى.

فمجالس المناظرات من أهم وسائل التعليم، وإذا كان الفقهاء يجلبون إليهم أكثر التلاميذ لأن الفقهاء يعلّمون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولي مناصب في الدولة[1]،وهكذا كانت طريقة المناظرة تستخدم بصفة خاصة بين الأساتذة بعضهم بعض وبصفة أخص في مجالس السلاطين العلمية[2].

لقد كان الملوك يشاركون العلماء في المجالس العلمية ويناقشونهم فيما يتناولونه ويطرح عليهم من مسائل ويبدون رأيهم العلمي في المسائل التي تكون مثار خلاف ونقاش قوي بين العلماء، ويحاورون ويقنعون بالحجة والدليل ويكتبون ويؤلفون، ويشجعون العلماء على الكتابة والتأليف، ويجتهدون في اختيار هذا المنهج أو ذاك في التعليم والتلقين وانتقاء المواضيع التي ينبغي أن تكون محل دراسة وتدوين وكتابة وتأليف[3].

فالمصادر التاريخية لا تتحدث عن مكانة فئة من العلماء والفقهاء لدى أولئك الحكام في بلاد المغرب الإسلامي وحسب، وإنما تصفهم هم أنفسهم بالعلم والحرص على تحصيله وإكرام أهله.

1- سلاطين الدولة الحفصية:

ساهم سلاطين بني حفص في تشجيع الحركة العلمية في بلادهم، فاهتموا بالعلم والعلماء بل أكثر من ذلك حرصوا هم أنفسهم على تحصيله، فهذا الأمير أبو زكريا مؤسس

[1] - اسماعيل سامعي، المبع السابق، ص 69.
[2] - محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 18.
[3] - آسية الهاشمي البلغيتي، المرجع السابق، ص 4.

الدولة تصفه المصادر بأنه: " كان معدودا من العلماء وفي الشعراء النبلاء[1]" وأن دولته: " جمعت من رؤساء العلماء وأصحاب المعارف وأرباب البصر ما لم يكن عند غيره، وكان يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة...[2]" وأنه كان: "فقيها أديبا [...] وله وصية بليغة وقصيدة في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم-[3]"، ومن شعره ما كتبه إلى الحضرة النبوية الشريفة:

سَلَامٌ كَعُرْفِ الرَّوْضِ بَاكِرُهُ القَطْرُ إِذَا مَا خَطَا قِطْـرٌ تَـدَاوَلَـهُ قَطْـرُ

تَحَيَّةُ مَنْ قَدْ قَسَـمَ الشَّـوْقُ قَلْبَـهُ فَفِي طِيْبَـةَ شَطْرٌ وفي تُونَسَ شَطْرُ

أَطَارَتْ قسِيُّ الشَّوْقِ أفلاذَ صَدْرِهِ فَلِلَّهِ مـا أَوْدَى بِـهِ ذلكَ الأطـــرُ[4]

وتشيد المصادر أيضا بأبي حفص عمر بن أبي زكريا وأنه كان " نزيه النفس محبا للعلم وأهله[5]" وأن "أيامه كانت أيام هناء وأمن وعدل، وكان يعظم الفقهاء والصلحاء، ويبرّهم ويبادر إلى حوائجهم[6]" حتى أن هذا السلطان لمّا بنى مدرسة المعرض حبس عليها كتبا نفيسة في كل فن من فنون العلم، ولما كمل بناؤها جلس فيها المدرس الشريف أبو العباس أحمد الغرناطي صاحب كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق[7]، ووجه للمدرس قرطاسين بذهب وفضة وقال وقال له: فرّقها على كل من تجد في المدرسة، فسمع الناس ذلك فجاؤوها من كل مكان حتى

[1] – ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 109.

[2] – المصدر نفسه، ص-ص 112- 113.

[3] – ابن الشماع، الأدلة البينة، ص- ص 54- 55.

[4] – تكملة القصيدة وغيرها من قصائد أبي زكريا الحفصي مجموعة من مختلف المصادر ينظر: الربعي بن سلامة، المرجع السابق، ص- ص 187- 191.

[5] – الزركشي، المصدر السابق، ص 51.

[6] – ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية...، ص 148 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص 82.

[7] – أبو العباس أحمد الغرناطي (ت 692هـ/ 1296م)، عرف بحفظه للكتب المصنفة كتاريخ الطبري والثعلبي وشرح القرآن، عكف على التدريس بإفريقية إلى غاية وفاته: الغبريني، المصدر السابق، ص 347 ؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 52.

امتلأت ولم يجد أحد أين يجلس، وكان يحضر مجلسه للوعظ يومي الاثنين والجمعة، فيطلق العنبر والعود ما دام المجلس، وأجرى على المدرّس رزقا كثيرا وجعل بين دار سكناه وبين المدرسة نافذة يسمع منها ما يقرأ في المدرسة[1]، وفي هذا الأمر دلالة واضحة على اهتمام هذا السلطان بالعلم وشغفه به وتقديره لأهله.

ومن أسماء السلاطين البارزة في إعزاز العلم وأهله أبو زكريا يحيى الذي:" اشتغل بابتناء المدارس واقتناء الكتب وجمعها وضع أنواع من العلوم لها...[2]،" وأبو يحيى أبو بكر الذي دخل تونس سنة 717هـ/1300م، الذي يروي ابن قنفذ القسنطيني موقفا طريفا يعكس تقدير هذا السلطان للعلم ونزوله عند أهله حيث قال: " كان معلمه الذي علمه القرآن قاضي بلدنا الشيخ الفقيه أبو علي عمر الجبالي، وكان حفيده ابن ابنه إذا سافر إلى تونس، ودخل يسلم على السلطان يجعل السوط الذي كان جدّه يضرب به الخليفة زمان التعليم على كتفه الأيمن ظاهرا، فإذا رآه أحسن إليه وقضى حوائجه[3]".

2- سلاطين الدولة الزيانية:

لقد عرف ملوك بني عبد الواد بالمغرب الأوسط بنصرتهم للعلم وتأييدهم للعلماء، فظهر فيهم المؤرخ والشاعر والأديب والمتصوف، غير أن ذلك كان أحيانا ضربا من ضروب المنافسة مع غيرهم من ملوك بني حفص وبني مرين، فقد عمل ملوك بني زيان على تقريب العلماء من مجالسهم[4].

[1] - الزركشي، المصدر السابق، ص 51.
[2] - ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 155.
[3] - نفسه، ص- ص 162- 163.
[4] - مبخوت بودواية، العلاقات، ص 59.

فكان أبو يحي يغمراسن بن زيان (633- 681)هـ / (1236- 1283)م أول ملوك بني عبد الواد "يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم[1]" ويعمل على استقدام أكبر عدد منهم إلى تلمسان، فقيادته لقبيل بني عبد الواد لم تكن على الصعيد السياسي فحسب وإنما قيادة ركب الحضارة أيضا[2].

فالبنسبة لأهل العلم فقد كان: "... يبحث عنهم أين ما كانوا ويستقدمهم إلى بلده[3]" ومن أبرز تلك الأسماء نذكر أبا اسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي[4] الذي ركب إليه السلطان يغمراسن بن زيان بنفسه لاستقدامه وأكرم مثواه وأحسن إليه سعيا للاستفادة من نشر علمه في بلده وهذا ما صرّح به يقول:"ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاجه[5]".

[1] - ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص153.

[2] - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 99.

[3] - التنسي، المصدر السابق، ص 126.

[4] - هو إبراهيم بن يخلف ابن عبد السلام بن عيشون المطماطي التنسي سليل أسرة معروفة بالعلم والصلاح، نشأ بمسقط رأسه مدينة تنس وأخذ عن مشايخها ثم انتقل إلى مدن مليانة وشلف والجزائر وبجاية، وانتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في تلك الأقطار ثم رحل إلى المشرق فزار مصر والشام والحجاز، وبعد عودته إلى بلاد المغرب استقر بتلمسان يدرس بها إلى غاية وفاته سنة 680هـ/ 1281م ودفن بالعباد بطلب منه، له شرح كبير على كتاب تلقين المبتدئ وتذكرة المنتهي للقضي أبي محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي في عشرة أسفار، ضاع في حصار تلمسان ينظر:يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص114؛ ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص 151، 273- 278، 281، 283، 293؛ التنسي، المصدر السابق، ص126؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص- ص 66- 67؛ التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1، ص81؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م، ص 122).

[5] - التنسي، المصدر السابق، ص126 وذكرها ابن مرزوق الخطيب في مناقبه بالعبارة التالية: "جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا لتحيي بها العلم" ينظر: ص 275.

ولم يكن السلطان أبو سعيد عثمان أقل همة من والده في العناية بأهل العلم والاحتفاء بهم، فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه وألحق بهم من توسّم فيه النباهة والتميز وأبرز مثال أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني[1].

كان السلطان أبو حمو موسى الأول أول من دشّن مشروع بناء المدارس في المغرب الأوسط ببناء مدرسة باسم الأخوين المعروفين بابني الإمام وأسند لهما مهمة التدريس بها، إلى جانب كونهما محل اهتمامه ومرجع استشارته[2].

وفي عهد أبي تاشفين الأول بنيت المدرسة التاشفينية التي طارت شهرتها في الآفاق، وليس أقل شهرة منها العالم الذي تصدّر للتدريس بها وهو أبو موسى عمران المشدالي " أعرف أهل عصره بمذهب مالك "[3]، كما شهدت مجالس هذا السلطان أكثر المناظرات والمناقشات علما وفضلا بين خيرة علماء العصر وأجلهم، شملت مختلف الجوانب العلمية[4].

ليستمر النمو الثقافي مع محيي الدولة الزيانية السّلطان أبو حمو موسى الثاني[5] الذي أهّله ما تحمله من العلم وهو صغير أن يصبح في كبره سلطانا أديبا شاعرا[6] يشهد على مكانته كتابه " واسطة السلوك في سياسة الملوك" الذي يدل على " ذهنه الثاقب وعباراته الطلقة إذ

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني العالم الصوفي، ولد بتلمسان سنة 650هـ/1251م، عرف بآرائه الفلسفية فاتهم بالزندقة وتمت محاكمته ثم قتله 708هـ/1308م ينظر: (يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص-ص 109-112؛ أبو الحسن النباهي المالقي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط5، 1403هـ/1983م،ص 135؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص51).

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص139؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي،ص 21.

[3]- التنسي، المصدر السابق،ص141.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6،ص-ص 361-362؛ ابن مريم، المصدر السابق،ص 127، أبو العباس أحمد المقري، نفح الطيب، ج5،ص-ص 218-219؛ ولنفس المؤلف، أزهار الرياض، ج5،ص-ص 218-219.

[5]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 227.

[6]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2،ص305.

طالع الكتب فاستخرج دررها وأحسن نظمها "[1]،فأبو حمو موسى لخّص في كتابه واسطة السلوك: كتاب سلوان المطاع[2] وزاد عليه فوائد[3]، حيث نقل ثلاث قصص هي أطول ما ورد في سلوان المطاع من الحكايات[4]، إلى جانب استعانته بكتب السياسة التي توافق نظريته[5]، وكان "يجلس لمصالح العباد طرفي النهار وزلفي من الليل مصطفيا من أعلام قومه أولي الشهرة والفضل جلساء قد عرف لهم الحق وسلم إليهم بميدان السن والمعرفة السبق..."[6] .

كما اعتنى السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو (ت 801هـ/1399م) بالعلم، فعقد المناظرات في مجلسه، ونسخ الكتب بيده، كما ألف كتابا في التصوف سماه " الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة "[7].

من جانبه السلطان أبو العباس أحمد (ت 866هـ/1462م) أعاد إحياء ما اندثر من مراكز العلم وأوقف الأوقاف عليها[8].

---

[1]- حاجي خليفة، المرجع السابق، مج2،ص43.

[2]- سلوان المطاع في عدوان الأتباع لأبي عبد الله بن أبي محمد عبد الله بن محمد بن ظفر الصقلي، يعد من أهم ما أنتجه الأدباء العرب في فن أخلاق الملوك، وهو يحتل مكانة مرموقة ضمن التراث الفكري العالمي وقد طبع ونشر عدة مرات، للمزيد من التفصيل عن شخصية ابن ظفر الصقلي ومؤلفه، أنظر(عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص194؛ ولنفس المؤلف:" نظرية ابن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك (من خلال كتاب سلوان المطاع) " في مجلة: **الثقافة**، العدد 92، جمادى الثانية وجب/ مارس أفريل السنة 16، 1406هـ/1986م،ص-ص77-89).

[3]- أبو عباس المقري، أزهار الرياض،ج1، ص149.

[4]- عبد الحميد حاجيات، نظرية ابن ظفر الصقلي،ص 89.

[5]- محمد محمود عبد الله بن بية،المرجع السابق، ص113؛ محمد الأمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1410هـ/1989م، ص-ص 65-66.

[6] - يحيى بن خلدون،المصدر السابق،ج2،ص11.

[7]- التنسي، المصدر السابق، ص211.

[8]- نفسه، ص-ص247 -248.

3- سلاطين الدولة المرينية:

يمثل عهد أبي يوسف يعقوب الدور الأخير من نشأة الدولة المرينية وبداية عهد الازدهار والعظمة في آن واحد[1]، كما يعتبر هذا السلطان أول من عقد مجلسا علميا[2]، وقد وصفته المصادر بأنه كان:"مكرما للصالحين موقرا لهم معظما للعلماء مقرّبا لهم" ويذكر ذات المصدر أن: "الفقهاء يبيتون عنده في كل ليلة منه- أي من شهر رمضان- فيذاكرهم في فنون العلم[3]" وهذا أيضا ما أشار إليه عبد العزيز الملزوزي في قصيدته التي قدمه له تهنئة بعيد الفطر وأشاد فيها بمآثر هذا السلطان بما فيها مجلسه العلمي حيث قال:

فإنك قد رفعت العلم قـدرا وصنت ذويه كي تحوي ثوابا

وبالصلحاء قد زدت اعتناءا وبـرا واعـتـلاءا واقـتـرابا[4].

وبدوره الأمير عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق أشادت المصادر بعلمه وفضله فتذكر أنه:"كان على غاية الفضل والكرم، والشجاعة، والحزم، ومكارم الأخلاق، وكان عالي الهمّة محبا للأدب مقربا لأهله، يجلس العلماء والأدباء والشعراء، ويتخذهم بطانة وقد اختص جماعة من العلماء بمجالسته ومنادمته منهم القاضي يوسف بن الحكم والأديب مالك بن المرحل..."[5]

ويضيف ذات المصدر أنه كان محبا للشعر وراويا له ومن نظمه:

---

[1] - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص28.

[2] - أحمد بوزيدي، المرجع السابق، ص 67.

[3] - ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص 263.

[4] - المصدر نفسه، ص 372.

[5] - نفسه، ص 308.

فرقت في الميــدان كـل مليــك وجمعت بين جراءة ونسوك

وجعلت في الميدان حدا مالكا كي لا تغيره العـدا بسلـوك[1].

كما عرف البلاط المريني في عهد السلطان أبي الحسن أعظم مجالس العلم التي شهدتها الدولة المرينية[2]، وأصبح مدرسة يطمح إلى التعلم فيها، فتخرّجت منها شخصيات لها وزنها في تاريخ الفكر الإنساني[3]، حيث احتضن بلاط السلطان أبي الحسن حشدا من العلماء لا يحصى عددا على حدّ قول عبد الرحمن بن خلدون:" هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان أبي الحسن من أشياخنا وأصحابنا....[4].

بل يمكن القول أنهم المشهورون فقط حسب ابن مرزوق الخطيب من خلال قوله:"ولنسرد الآن من حضرني ذكره من المشاهير الملازمين له..."[5]،"فقد قيل أن عدد من غرق غرق من العلماء في أسطول هذا السلطان أربعمائة عالم فما بالك بمن لم يركب الأسطول ونجا؟.....وهذا يعني أن العلماء كانوا متوافرين بحيث بلغ عدد الذين يصحبون السلطان- ولا يكونون عادة إلا من جهابذة أهل العلم- ذلك الرقم[6]".

وقد اعتبر أحد الباحثين اصطحاب جماعات العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والمحدثين والفلاسفة في الرّحلات والحملات العسكرية لهذا السلطان إلى جانب إلزامهم بحضور

---

[1] - ابن أبي زرع ،المصدر السابق، ص 308.

[2]- عيسى الحريري،المرجع السابق، ص338.

[3]- عبد الله العمراني:"البلاط المغربي في المجالين الروحي والزمني" في مجلة: **دعوة الحق**، صدرت عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد 3محرم، مارس، 1391هـ/1971م، ص66.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص55.

[5]- ابن مرزوق، المسند، ص261.

[6]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ج3، ص190.

مجلسه العلمي أثناء الإقامة «ظاهرة علمية [1]» ويعرّفها على أنها نوع من المدارس المتنقلة[2]، إلى جانب المدارس التي شيدها هذا السلطان في الأماكن التي وصل إليها حكمه.

وتتحدث المصادر عن العمل اليومي للسلطان أبي الحسن فيحتلّ الجلوس لأهل العلم والفضل قسما كبيرا منه قد يستمر الليل بأكمله، فبعد عودته إلى قصره «....تحضر العلماء والفضلاء والأعيان إلى مسامرته [3] ...».

كما أن السلطان أبا عنان كان مثل والده يجلب كبار العلماء إلى قاعدة ملكه ويجبرهم على حضور مجلسه العلمي فيعطون الدّروس ويتلقونها، وبدوره أشادت المصادر بالمجالس العلمية التي كان يعقدها في قصره: «... وأمّا اشتغاله بالعلم فهاهو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كلّ يوم بعد صلاة الصبح و يحضر لذلك أعلام الفقهاء و نجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم و حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه و كتب المتصوفة .....[4] » .

ومنها ما ذكره صاحب روضة النسرين في دولة بني مرين من انه كان"فقيها يناظر العلماء،فيصيب ويخطئهم ومعرفته بالفقه تامة،وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب،وكان حافظا للقران...[5].

[1]- عبد الله العمراني، المرجع السابق، ص66.

[2]- نفسه، ص66.

[3]- ابن فضل الله العمري،المصدر السابق،ص565؛ وترد عن القلقشندي عبارة :"تحضر العلماء وفضلاء الناس وأعيانهم إلى محاضرته...":المصدر السابق،ج5،ص206.

[4]- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ب، ت، ص433.

[5]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص- ص27-28.

وفي معرض حديثه عن مجالس العلم التي كان يعقدها هذا السلطان، وصفه ابن بطوطة "..وفي كل علم منها له القدح المعلى، يجلو مشكلاته بنور فهمه،ويلقى نكته الرائقة من حفظه..."[1].

كما نشير أيضا إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه سلاطين الأندلس وملوكها المتعاقبون بالجانب الثقافي منذ دخول الإسلام إلى شبه الجزيرة الايبيرية من خلال تشجيع العلماء والأدباء ومنهم سلاطين بني الأحمر الذين بذلوا جهودا كبيرة في هذا المجال رغم الأوضاع السياسية الصعبة، بداية مع مؤسس الدولة محمد بن يوسف بن نصر الذي تصفه المصادر بحبه للعلم وحرصه على أن يحضروا مجالسه[2].

وسار خلفاؤه على نهجه في تقدير العلم وتقريب العلماء على الرغم من الأزمات والفتن التي عصفت بالدولة طيلة فترات حكمهم في مقدمتهم محمد الثاني 672-701هـ/1273-1302 مالمعروف بالفقيه لاهتمامه بالعلم واشتغاله به[3].

ومن أهم ثمار إلحاق تلك الشخصيات العلمية بالمجالس السلطانية؛ الكتابة بأسماء أولئك السلاطين أو إهداؤهم مؤلفات حفظت لنا جوانب هامة من تواريخ دولهم سيما بعض التفاصيل عن الحياة داخل القصر الحاكم والتي قلما نجدها في مصادر أخرى،فقد كان الواقع في كل عصر وكل دولة تأليف الكتب للخلفاء والأمراء، فما من أمير ولا ملك محب للعلم إلا اجتمع العلماء حوله وألّفوا له الكتب فيما يحبّ من فروع العلم[4].

[1]- ابن بطوطة،المصدر السابق ،ص433؛ ووصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة بـ:"العالم المتبحّر"مج1،ص304؛ وأما المقري فيصفه بقوله "كان محبا للعلم وأهله، يحصّل المسائل العلمية ويطالع الكتب ليله أجمع":(أزهار الرياض ، ج5، ص87).

[2]- لسان الدين بن الخطيب،اللمحة البدرية، ص44.

[3]- نفسه، ص50.

[4]- جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص189.

وهو ما كان بين سلاطين بلاد المغرب الإسلامي والعلماء الذين نظموهم في مجالسهم العلمية، فبينما وجد فيهم أولئك السلاطين مرجعا للنصح والمشورة لقي هؤلاء العلماء الدعم والرعاية لأعمالهم الفكرية والعلمية والثقافية مما سمح لهم بالإبداع وإنجاز أعمال حضارية رائدة في مختلف التخصصات[1]،كما أجزل سلاطين بني مرين الهبات والعطايا للعلماء على مؤلّفاتهم واختراعاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل[2].

وعلى العموم، فإن العلماء الذين ألحقوا بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين كانوا مقلين في التأليف، فرغم وصولهم إلى مراتب راقية في العلم، والاجتهاد إلا أنهم لم يتركوا لنا ثمرات تلك الجهود الفذة في شكل مؤلفات[3].

وإذا ناقشنا أسباب هذه الظاهرة فلعل أول ما يلفت الانتباه مواقف بعض العلماء من قضية التأليف ذاتها فهذا أبو عبد الله الآبلي يقول:" إنما أفسد العلم كثرة التأليف[4]" وما من شك أن موقف عالم بحجم الآبلي ترك أثره في تلامذته من بعده وذلك بالاهتمام بأخذ العلم من أفواه المشايخ، وعدم الجنوح نحو الكتابة وتدوين الأفكار نسبيا[5]، ولعله كان يرى أن هذا الأمر يؤدي إلى أن يصير (العلم والخطط بالتوارث)[6] هذا دون إغفال دور الجانب السياسي والأمني وأثره في تدوين الكتب مع ما يحتاجه هذا الأمر من الاستقرار وهو ما لم يتوفر لعلماء المغرب الإسلامي[7].

---

[1]- يحي بوعزيز، الأوضاع السياسية والثقافية،ص65.

[2]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص339.

[3]- عبد الجليل قريان، التأليف بتلمسان، ص173؛ رابح بونار، عبقرية المشداليين، ص307.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص216.

[5]- عبد الجليل قريان، التأليف بتلمسان، ص174.

[6]- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص55.

[7]- عبد الجليل قريان، التأليف بتلمسان، ص174.

عرف العصر عناية كبرى بالمصنفات الفقهية والأصولية تحشية واختصارا وشرحا حتى وصلت حدّ الغموض في بعض المتون والمختصرات التي لا يتيسر فهمها إلا بالشروح أو الحواشي، فشكلت بذلك خطرا على العلم لأن الأصول قد أهملت[1].

والأكيد أنه لم يخف عن أولئك العلماء أنهم علماء بلاط، وعالم البلاط يضطر – في كثير من الأحيان – إلى التنازل عن بعض المبادئ وعندئذ تنقص الدقة والصدق لإنتاجه، وهو الاتجاه الذي سلكته التواريخ السلطانية وهو ما أدى إلى جعل قسم هام من نتاج المؤرخين في خدمة الحكام على حساب الموضوعية والصدق[2].

فنسبة هامة من الفقهاء الذين عملوا في البلاط عبر مزاولتهم الوظيف وجدوا السند في الملوك والأمراء والسلاطين الذين أسهموا بشكل واضح في فتح الباب أمام مصنفات لدعم الشرعية لمواجهة ما يتهدد الدولة من أخطار[3]، وما وجد من تأليف كانت نزولا عند طلب السلطان بنفسه، أو ألفها ذلك العالم تقربا من ذلك السلطان، أو حتى مساهمة منه في الحركة العلمية، كما نسجل خروج العديد من العلماء صحبة ملوكهم وكانوا معهم وسجلوا مراحل رحلاتهم والأحداث المختلفة التي رافقتها [4]ومنها على سبيل المثال:

- **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**: للإمام أبي عبد الله محمد الشريف الحسني التلمساني والذي فرغ من تأليفه سنة 754هـ/1354م في أصول الفقه[5] باسم

[1]- بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص 29.
[2]- عبد الحميد حاجيات، مقدمة تحقيق بغية الرواد، ج1،ص-ص61-62.
[3]- صابرة خطيف،المرجع السابق،ص-ص73-74.
[4]- الحسن الشاهدي،المرجع السابق،ص98.
[5]- أحمد بن أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف، المخطوط السابق، الورقة 27 / ظ.

السلطان المريني أبي عنان فارس، وهو ما يظهر من مقدمة الكتاب المسجوعة[1]: "...مولى الأنام، الخليفة الإمام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أبو عنان أبقاه الله تعالى...[2] " وقد وصفه بأحسن النعوت وأقوى الأسماء معترفا بجلال هيبته وعظيم قدراته العلمية رغم ما عرف عن الشريف التلمساني من عدم التودد للحكام والملوك ويرجح أنه ألفه نزولا عند رغبة السلطان أبي عنان بعد الحاقة[3] بمجلسه العلمي.

- **الشهب اللامعة في السياسة النافعة** لأبي القاسم ابن رضوان المالقي ت783هـ/1381م والذي ألفه نزولا عند طلب السلطان أبي سالم المريني[4].
- **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** لابن مرزوق الخطيب أنهى تأليفه سنة 772هـ/1371م،وهو منتخب من سفر المسند الصحيح الحسن في أحاديث السلطان أبي الحسن [5] أطنب في مدح السلطان أبي الحسن وأشاد بالمكانة التي التي خص بها في عهده، فجمع فيه بين التأريخ للبلاط المريني والترجمة الشخصية[6]، فأبواب فأبواب الكتاب الخمسة والخمسين تتحدث عن مآثر السلطان أبي الحسن المريني في شتى الميادين: الإدارية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعمرانية وهي بهذا تقدم مادة تاريخية خصبة عن البلاط المريني[7]، وهذا ما لم يتوفر في مصادر أخرى معاصرة أو لاحقة.

[1]- الحجوي، المرجع السابق، ج4، ص254؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص206،159؛ محمد بن رمضان شاوش والغوتي بن حمدان، المرجع السابق، ص 26.

[2]- أبو عبد الله الشريف، المصدر السابق،ص296.

[3]- نفسه، ص- ص228-229.

[4]- أبو القاسم ابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح: علي سامي النشار، دار الثقافة، المغرب، 1404هـ/1984م، ص33.

[5]- ابن سودة ،المرجع السابق،ص111.

[6]- ابن مرزوق، المسند، ص66؛ وله أيضا: المناقب المرزوقية، ص80؛ ابن سودة، المرجع السابق، ص 111.

[7]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص80.

- **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** لأبي العباس احمد بن قنفذ القسنطيني الذي أهداه إلى السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز وأطلق عليه اسمه وهو سرد مدقق للأحداث التاريخية المرتبة حسب السنين من بداية نشأة الدولة الحفصية إلى تاريخ انتهاء الكتاب أوائل سنة 806هـ/1403م[1].

وبهذا نلاحظ مدى التأثير الذي خلفته تلك المجالس من إسهام في تعليم السلاطين وفتح باب النقاش والحوار بين العلماء في مختلف القضايا التي تهم الدولة في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية وحتى مناقشة مناهج التعليم،بل إن المؤلفات التي ألفها العلماء المنضوون تحت تلك المجالس رغم ما يسجل فيها من تحيز في كثير من الأحيان كان لها دورها في الحياة الفكرية في بلاد المغرب فقد نجد معلومات ربما لا نجدها في مصادر أخرى .

[1]- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص99؛ روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص414.


الخاتمة

نال الجانب الفكري في تاريخ الدولة الموحدية مكانة كبيرة وكان للدول التي ورثتها في حكم البلاد المغرب الإسلامي نصيب منه، والذي من أبرز مظاهره إعلاء مكانة العلم والعلماء ورفع مكانتهم، وتجلى ذلك الأمر من خلال المجالس العلمية التي حرص حكام وسلاطين تلك الدول على عقدها وتزيينها بعلماء وفقهاء وأدباء وشعراء من مختلف الأصقاع، تلك المجالس التي اختلفت شكلا وأبهة باختلاف الدول في الدولة الواحدة اختلاف ظروف انعقادها والمراد منها،وأهم ما يمكن استنتاجه من هذه الدراسة ما يلي:

- وجد السلاطين تلك المجالس فرصة لبعث الحياة العلمية في بلدانهم، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال نكران دورها في التعليم والمناقشة والجدل والمناظرة والفتوى وإسداء النصح والمشورة للحكام وتدريس مختلف العلوم والفنون.

-كان للأوضاع السياسية والاقتصادية دور أساس في عقد تلك المجالس لما لها من أثر مباشر في استقرار السلطان في مقر حكمه واهتمامه بالجوانب الفكرية من جهة، ومن جهة ثانية ضمان موارد مالية لدولته، فقد اعتبر استقطاب العلماء والفقهاء والشعراء إلى الحواضر مظهرا من مظاهر أبهة الملك وقوة السلطان وعظمته، مع ما تتطلبه من كرم وإحسان وتشجيع مادي وتشييد وتعمير لمؤسسات علمية ودينية مختلفة كالمساجد والمدارس وتعميرها بمختلف صنوف الكتب في شتى العلوم، وتعيين القائمين على تسييرها.

-يمكن اعتبار تلك المجالس مظهرا من مظاهر الحركة العلمية والنهضة الفكرية ومدى تقدير الملوك للعلم والعلماء، لما لها من أثر إيجابي في ازدهار الحركة الفكرية إذ يعقد على مستوى تلك المجالس دروس دينية على المستوى العالي، ونقاشات جادة ينتج عنها إصدار فتاوى شرعية دقيقة بمشاركة أنبغ وأشهر العلماء، والتي تساهم في حل مختلف قضايا المجتمع الدينية والاجتماعية والاقتصادية وحتى القضايا السياسية التي تهم الدولة في أوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، تلك العلاقات التي غلب عليها الصراع والتناحر والمواجهة العسكرية بين

دول بلاد المغرب، لكنها لم تقف يوما عائقا في وجه حركة العلماء، والدليل الذي أثبتناه من خلال هذه الدراسة هو وجود أسماء علماء من مختلف الأقطار في المدن والحواضر بل وفي المجالس العلمية الرسمية لمختلف الدول، وإن كان العداء قائما، وحظوا بالمكانة السامية وكانوا موضع ثقة سلاطينهم.

-يمكن القول أنه لا مجال لتأثير الحدود الجغرافية، ولا مجال للحديث عن الجنسية الإقليمية، فقد سقطت كل الاعتبارات أمام أهل العلم مع ما توفر لهم من ظروف ساهمت في تسهيل حركتهم بين البلدان مشرقا ومغربا، في مقدمتها الرحلة العلمية وما تمخض عنها من نتائج جنى ثمارها أهل العلم وطلبته، وتجسدت في ما خلفوه من تلاميذ ومؤلفات.

-تأثير القرب الجغرافي والظروف السياسية وأبرز مثال اشتداد الفتن والأزمات في وجه أهل الأندلس ما دفعهم إلى الهجرة والنزول في مختلف حواضر بلاد المغرب، وكان تأثيرهم واضحا في كل مكان حلّوا به، بما فيها المجالس العلمية للسلاطين.

-كما نسجل إظهار تلك المجالس أخلاق العلماء ومستوياتهم من ذكاء وفطنة وقدرة على الجدل والنقاش بالحجة والبرهان واحترام رأي الآخر، وظهرت درجة تمكن كل واحد من خلال الحجج والبراهين التي يقدمها أثناء الحوار والمناظرة بين يدي السلطان.

وفي نفس الوقت أظهرت تلك المجالس أخلاق السلاطين في ميدان العلم من تواضع بين أيدي العلماء وتقدير مكانتهم وحرية في النقاش، يستدل على ذلك ما عرضناه من مواقف وردت في العديد من المصادر من عملهم بنصائح وإرشادات العلماء في عدة قضايا، بل واستشارتهم في العديد من المسائل قبل الفصل فيها.

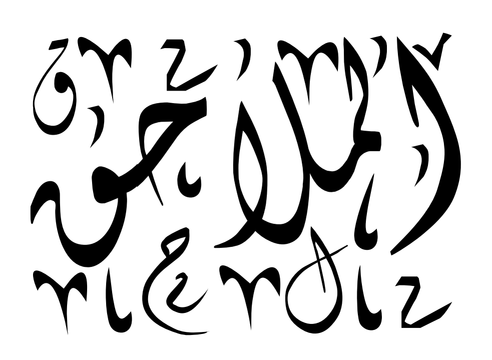
-أما بالنسبة لطريقة جلوس السلاطين في مجالس العلم اقتصرت على الحصر وحتى الأرض بدلا عن الكراسي والأرائك الفاخرة في سائر المناسبات، مع التأكيد على أن تلك المجالس كان لها آداب يجب أن تراعى بين يدي السلطان، فكثيرا ما نجد إشارات إلى أنه هو المبادر بطرح موضوع النقاش والمشاركة في إطرائه، وكثيرا ما كان الرأي الفاصل له إذا احتدم النقاش بين الحاضرين.

-من أهم ثمار تلك المجالس قضايا ونقاشات بين جلة العلماء حفظتها لنا مختلف المصادر، في مقدمتها كتب النوازل والفتاوى، وخلقت فرصا للتواصل والاحتكاك بين علماء وفقهاء من مختلف الأقطاب في فرص ما كانت لتسنح لبعضهم في الظروف العادية، وأبرز مثال تحدثنا عنه المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن المريني الذي يعد الأبرز في هذا المجال، والذي جمع أكبر عدد من العلماء في مجلس واحد.

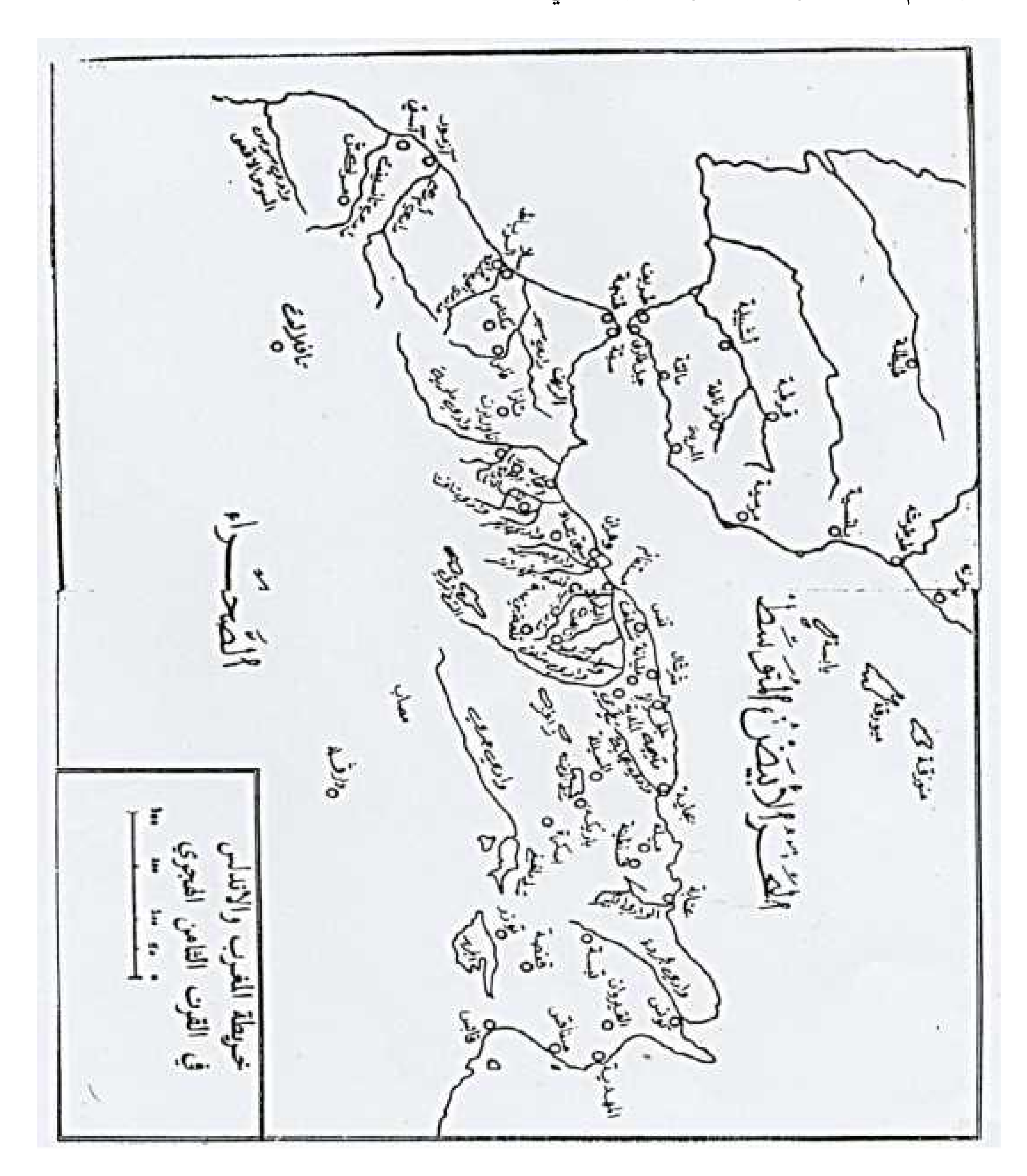
-ومن أهم آثار تلك المجالس أيضا، اكتساب مناهج علمية جديدة، وطرق وأساليب متطورة في التعليم والتأليف، وحتى تصحيح بعد المناهج الفكرية والتعليمية التي كان في مقدمة المستفيدين منها السلاطين أنفسهم، إلى جانب الوظائف والمهام التي تولاها العلماء الملحقون بالمجالس السلطانية على اختلاف موقفهم بين مؤيد لخدمة باسم السلطان ومعارض لها، ولكل حججه ووجهة نظره التي احترمت أحيانا، وأحيانا نجد أن علماء ألحقوا بتلك المجالس عنوة لا عين طيب خاطر ورغبة، وهو ما كان غالبا سببا في تعرض عدد منهم لنقمة الحكام عليهم ومحنتهم.

-وما تجدر الإشارة إليه ضمن ما توصلنا إليه من نتائج هو صعوبة حصر أعداد وتحديد أسماء الفقهاء والعلماء الذين نظموا في تلك المجالس بنوع من الدقة لأسباب سبق شرحها.

وعليه يظل موضوع المجالس العلمية مجالا واسعا للبحث، وهو في غاية الأهمية لما لها من آثار يمكن استثمارها في مناهجنا الحالية سيما ما تعلق بطرح المواضيع وطريقة الوصول إلى حلول متكاملة بعد نقاشات ومناظرات بين خيرة العلماء هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد أن مشهد تلك المجالس العلمية في جناح الشرقي للعالم الإسلامي قد سلطت عليها الأضواء ونالت دراسات في مختلف المراحل التاريخية على عكس نظيرتها في الجناح الغربي التي لا تزال بها العديد من الفجوات تنتظر جهود الباحثين.

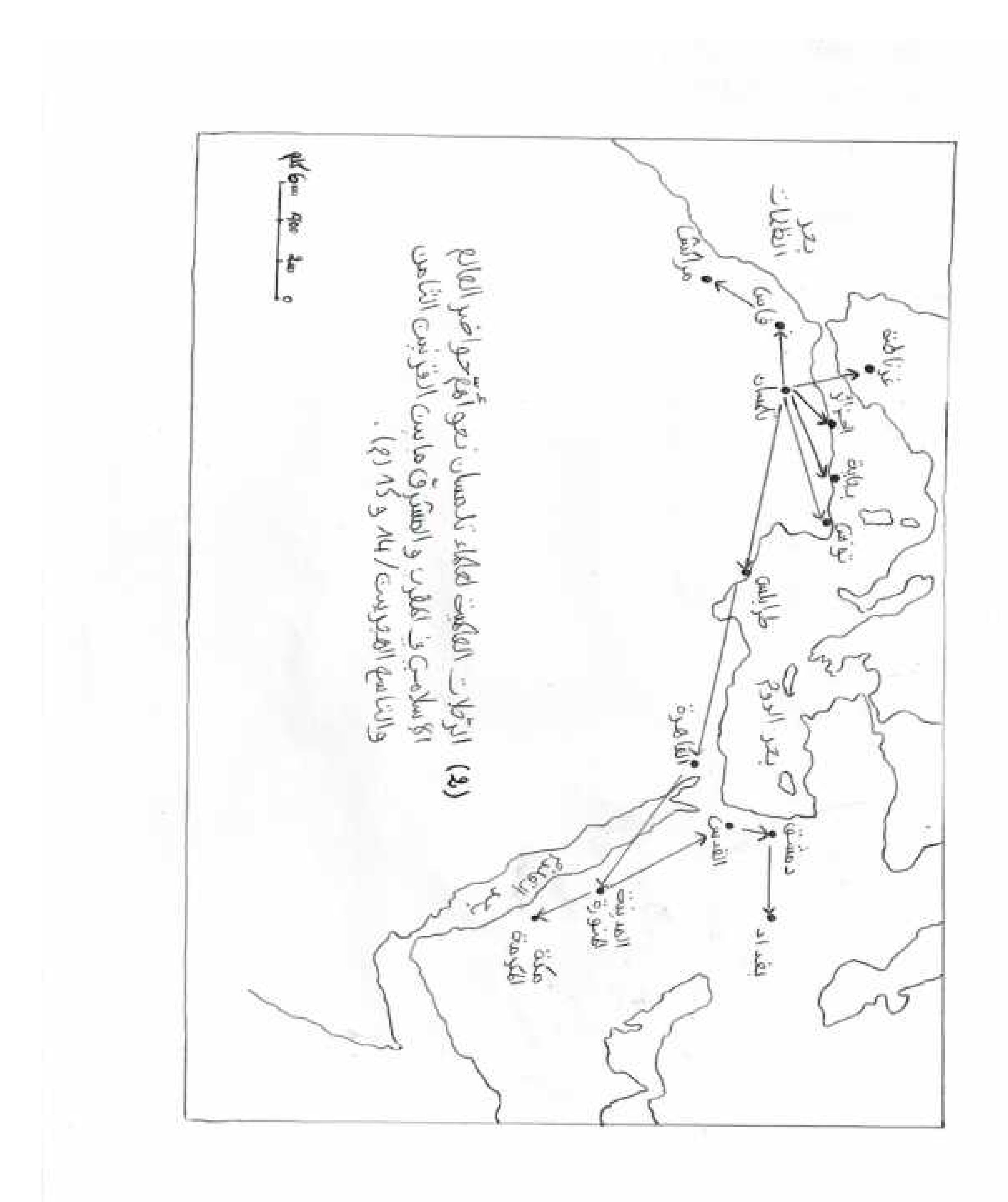


الملحق رقم 01: خريطة المغرب الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية.



عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/ 1974،ص398.

الملحق رقم 02: خريطة توضح الرحلات العلمية بين الحواضر الإسلامية.



نصر الدين بن داود ،المرجع السابق، ص 291.

الملحق رقم 03 :قوائم سلاطين دول المغرب الإسلامي

1- سلاطين دولة بني حفص.

1-أبو محمد عبد الواحد	603- 618هـ/	1207- 1221م
2-أبو زكريا يحي الأول	625- 647هـ/	1228- 1249م
3-أبو عبد الله محمد المستنصر	647- 675هـ/	1249- 1277م
4-أبو زكريا يحي الثاني الواثق	675- 678هـ/	1277-1279م
5-أبو إسحاق إبراهيم الأول	678-681هـ/	1279-1283م
6-الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة	681-683هـ/	1283-1284م
7-أبو حفص	683-694هـ/	1284-1295م
8-أبو عبد الله محمد أبو عصيدة	694-709هـ/	1295-1309م
9-أبو يحي أبو بكر الشهيد	10ربيعالآخر709هـ	1309 م
10-أبو البقاء خالد الأول	709-711هـ/	1309-1311م
11-أبو يحي زكريا الأول بن اللحياني	711-717هـ/	1311-1317م
12-أبو عبد الله محمد أبو ضربة	717-718هـ/	1317-1318م
13-أبو بكر	718-747هـ/	1318-1346م
14-أبو حفص عمر (للمرة الأولى)	747هـ/	1346م
15-أبو العباس أحمد	747هـ/	1347م
16-أبو حفص عمر (للمرة الثانية)	748هـ/	1347م
17-استيلاء أبي الحسن المريني على إفريقية	748 – 750هـ/	1347 / 1350

18-أبو العباس أحمد الفضل	**750-751هـ/**	**1350-1351م**
19-أبو إسخاق إبراهيم الثاني	**750-770هـ/**	**1350-1369م**
20-أبو البقاء خالد الثاني	**770-772هـ/**	**1369-1370م**
21-أبو العباس أحمد	**772-796هـ/**	**1370-1394م**
22-أبو فارس عبد العزيز	**796-837هـ/**	**1394-1434م**
23-أبو عبد الله محمد السادس المنتصر	**837-839هـ/**	**1434-1435م**
24-أبو عمرو عثمان	**839-894هـ/**	**1435-1488م**
25-أبو زكريا يحي الثالث	**894-895هـ/**	**1488-1489م**
26-عبد المؤمن	**895هـ/**	**1489م**
27-أبو يحي زكريا الثاني	**895-899هـ/**	**1489-1494م**
28-أبو عبد الله محمد الخامس	**899-932هـ/**	**1494-1526م[1]**
		1526م[1]

[1]- ابن الشماع أبو عبد الله محمد ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1404هـ/1984م،ص-ص139-140.

2- **سلاطين الدولة الزيانية.**

1-أبو يحيى يغمراسن بن زيان 633 -681هـ/1235-1282م.

2-أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن 681-703هـ/1282-1303م.

3-أبو زيان محمد بن عثمان الأول 703-707هـ/1303-1307م.

4-أبو حمو موسى بن عثمان الأول 707-718هـ/1307-1318م.

5-أبو تاشفين الأول عبد الرحمن 718-737هـ/1318-1337م.

6-أبو سعيد عثمان الثاني 749-753هـ/1348-1352م.

7-أبو حمو موسى الثاني 760-791هـ/1359-1389م.

8-أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن 791-795هـ/1389-1392م.

9-أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني 795-796هـ/1392-1393م.

10-أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني 796-797هـ/1393-1394م.

11-أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني 797-801هـ/1394-1399م.

12-أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو الثاني 801-804هـ/1399-1402م.

13-أبو عبد الله محمد الأول المعروف بإبن خولة 804-813هـ/1402-1412م.

14-عبد الرحمن الثالث 813-814هـ/1411-1411م.

15-السعيد بن أبي حمو الثاني 814-814هـ/1412-1412م.

16-أبو مالك عبد الواحد بن حمو الثاني (المرة الأولى) **814-827**ه/**1412-1424**م.

17-أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بإبن الحمراء (المرة الأولى) **827-831**ه / **1424-1428**م.

18-أبو مالك عبد الواحد (المرة الثانية) **831-833**ه/**1428-1430**م.

19-أبو عبد الله محمد الثاني (المرة الثانية) **833-834**ه/**1430-1431**م.

20-أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني **834-866**ه/**1431-1462**م.

21-أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله **866-873**ه/**1462-1468**م.

22-أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي **873-910**ه/**1468-1505**م.

23-أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي **910-922**ه/**1505-1516**م.

24-أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الأولى) **922-923**ه/**1516-1517**م.

25-أبو زيان أحمد الثالث **923-924**ه/**1520-1521**م.

26-أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الثانية) **924-934**ه/**1521-1528**م.

27-عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي **934-947**ه/**1528-1540**م.

28-أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني **947-949**ه/**1540-1542**م.

29-أبو عبد الله محمد بن أبي حمو 949-949هـ/1542-1542م.

30-أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (المرة الثانية) 949-957هـ/1542-1550م.

31-الحسن بن عبد الله الثاني الزياني 957-962هـ/1550-1554م[1].

[1] - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،1423هـ/ 2002م، ج2،ص-ص500-501.

3- سلاطين دولة بني مرين

1-أبو محمد عبدالحق المريني	592-614هـ/	1195-1217م
2-أبو سعيد عثمان بن عبد الحق	614-637هـ/	1217-1239م
3-أبو معرف محمد بن عبد الحق	637-642هـ/	1239-1244م
4-أبو يحي أبو بكر بن عبد الحق	642-656هـ/	1249-1258م
5-أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق	656-685هـ/	1258-1286م
6-أبو يعقوب يوسف الناصر بن يعقوب	685-706هـ/	1286-1306م
7-أبو ثابت عامر بن عبد الله	706-708هـ/	1306-1308م
8-أبو الربيع سليمان بن عبد الله	708-710هـ/	1308-1310م
9-أبو سغيد عثمان بن يعقوب	710-731هـ/	1310-1331م
10-أبو الحسن علي بن عثمان	731-749هـ/	1332-1348م
11-أبو عنان فارس بن علي	749-759هـ/	1348-1357م
12-أبو زيان محمد بن فارس	759هـ/	1357م
13- أبوبكر محمد السعيد بن فارس	759-760هـ/	1357-1358م
14-أبو سالم إبراهيم بن علي	760-762هـ/	1358-1360م
15-أبو عمر تاشفين بن علي	762-763هـ/	1360-1361م
16-أبو زيان محمد الثاني	763-767هـ/	1361-1366م
17-أبو فارس عبد العزيز	767-774هـ/	1366-1372م
18-أبو زيان محمد الثالث	774-776هـ/	1372-1374م

19-أبو العباس محمد المستنصر بالله 776-786هـ/ 1374-1384م

20-موسى بن أبي عنان المتوكل على الله 786-788هـ/ 1384 -1386م

21-أبو زيان الثالث محمد المنتصر 788هـ/ 1386م

22-أبو زيان الرابع الواثق بالله 788-789هـ/ 1386-1387م

23-أبو العباس احمد بن أبي سالم 789-796هـ/ 1387-1393م

24-المستنصر بالله أبو فارس 796-799هـ/ 1393-1396م

25-المستنصر بالله أبو عامر 799-800هـ/ 1396-1397م

26-أبو سعيد عثمان الثاني 800-823هـ/ 1397-1420م

27-أبو محمد عبد الحق 823-869هـ/ 1420-1465م[1]

[1]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني609-869هـ/1212-1465م، منشورات عكاظ، الدار البيضاء،1432هـ/2010م، ص559.

4- سلاطين بني الأحمر في غرناطة

1-محمد بن يوسف بن محمد بن نصر إبن الأحمر الأول المعروف بالشيخ والغالب بالله	**29 هـ/635 هـ**	**1232 م/1238**
2-محمد الثاني الفقيه	**671 / 672**	**1272 / 1273**
3-أبو عبد الله محمد الثالث المخلوع	**701**	**1302**
4-نصر بن محمد أبو الجيوش	**708**	**1309**
5-أبو الوليد إسماعيل الأول	**713**	**1314**
6-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الرابع	**725**	**1325**
7-أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الأول الغالب بالله	**733**	**1333**
8-الغني بالله محمد بن يوسف الأول (للمرة الأولى)	**755**	**1354**
9-إسماعيل الثاني أخ الغني بالله	**760 / 761**	**1359 / 1360**
10-**أبو سعيد محمود بن اسماعيل**	761	**1359**
11-محمد الخامس المرة الثانية	763	**1361**
10-الغني بالله (للمرة الثانية)	**794**	**1392**
11-أبو الحجاج يوسف الثاني بن محمد الخامس	**795**	**1393**
12-الغني بالله محمد السادس بن يوسف الثاني	**810**	**1408**

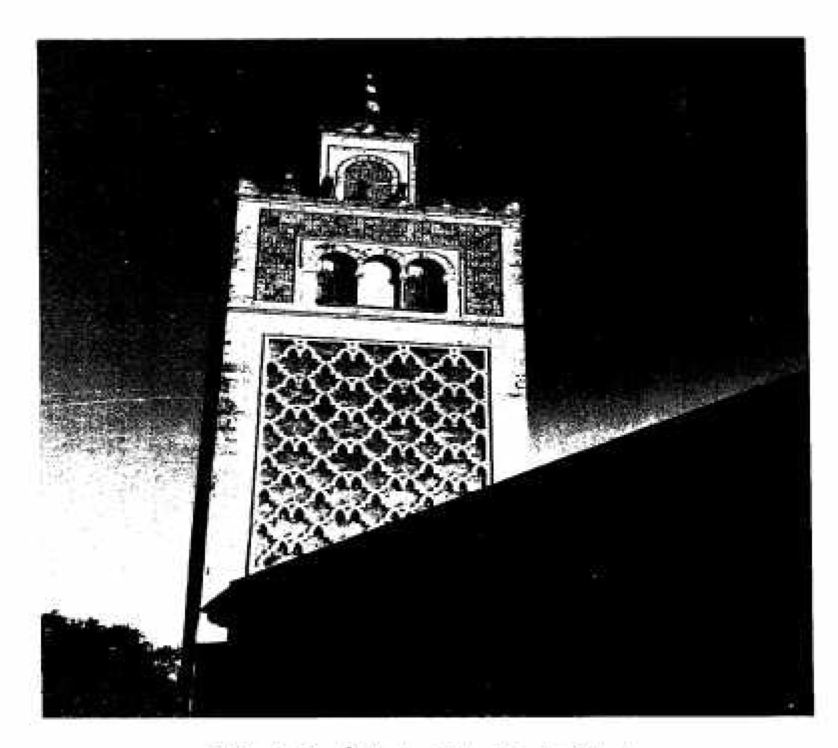
يوسف الثالث	820	1417
13–محمد السابع بن يوسف الثالث	858	1454
14–سعد بن إسماعيل النصري	868	1464
15–أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل (للمرة الأولى)	887	1482
16–أبو عبد الله محمد (للمرة ألولى)	888	1483
17–أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل (للمرة الثانية)	890	1485
18–أبو عبد الله الزغل	892	1487
19–أبو عبد الله محمد (للمرة الثانية)	897	1492 / 1491



الملحق رقم 04: بهو المدرسة الشماعية[1]

[1] – مبطي المسعودي جميلة، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص مند قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893 هـ، رسالة ماجيستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/ 2000 م ، ص245 .

الملحق رقم 05: جامع القصبة بتونس[1]



جامع القصبة بتونس العاصمة بناه أبو زكرياء الأول

(*) أمدنا بهذه الصور المعهد القومي للآثار فنشكراً لمديره الدكتور محمد حسين فنطر ومساعديه.

---

[1]– محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص131.

الملحق رقم 06:الجامع الكبير بتلمسان[1]



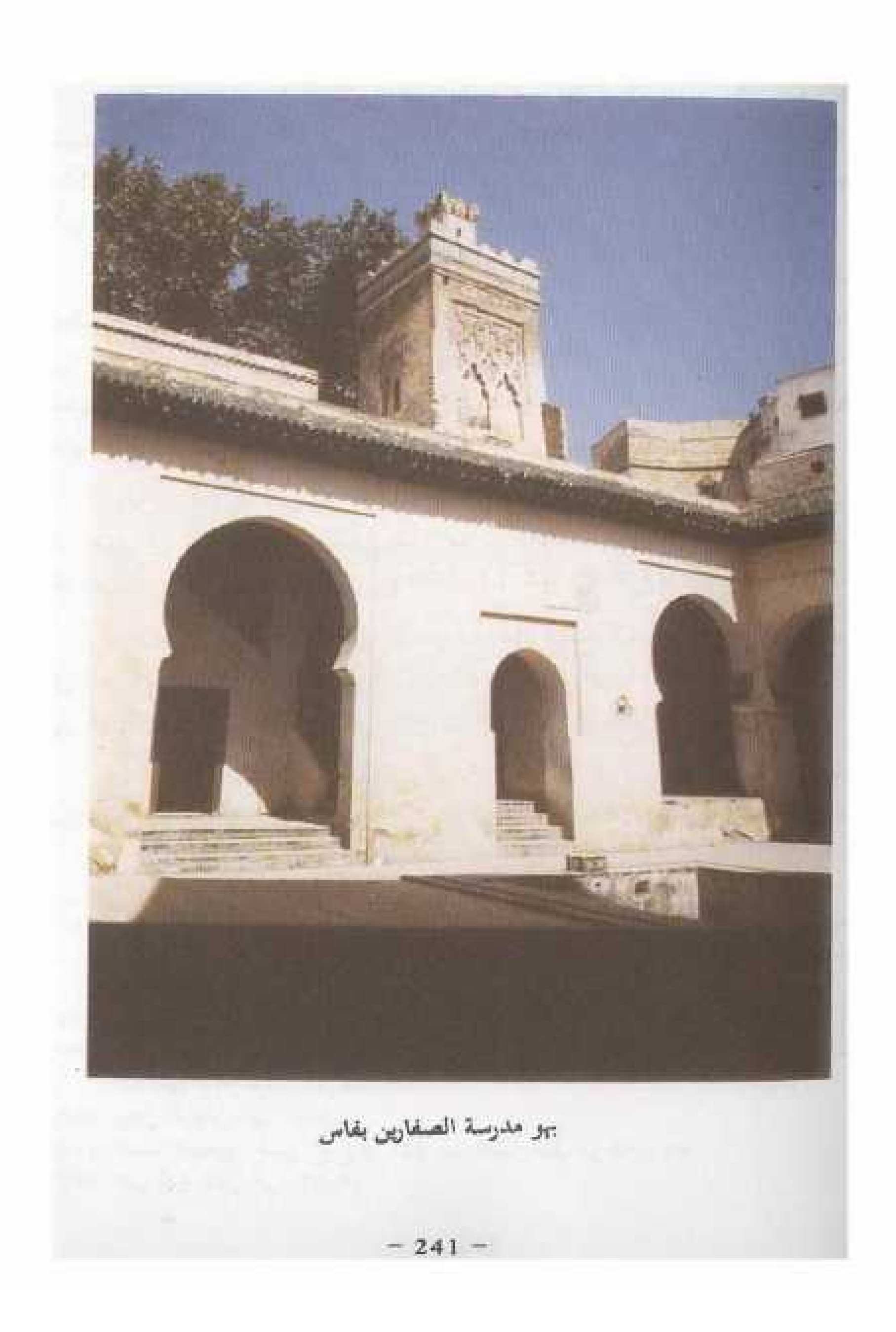
1-Architecture et histoire des sites et monuments de :Catalogue d expositition [1]
Tlemcen ;ministere de la culture,p51.

الملحق رقم 07:صومعة المنصورة بتلمسان[1]



1-Architecture et histoire des sites et monuments de :Catalogue d'expositition [1]
Tlemcen ;ministere de la culture,p127

الملحق رقم 08: مدرسة الصفارين بفاس[1]



[1] ـ محمد المنوني، ورقات ....، ص241.

الملحق رقم 09: بهو مدرسة العطارين بفاس.


بهو مدرسة العطارين بفاس

الملحق رقم 10



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
قال الشيخ الفقيه العالم الورع
العارف بالله الشريف الحسني
مؤلف هذا السفر المبارك
الكريم أبو عبد الله محمد
الشريف مؤلف ديوان الشرف
المعز رحمه الله تعالى ورضي عنه
قال أبو عبد الله محمد الشريف الحسني

رضي الله

الورقة الأولى من مخطوط روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار – صلى الله عليه وسلّم– لأبي عبد الله الشريف التلمساني .المكتبة الوطنية رقم 2608.

الملحق رقم 11: نماذج من أوراق مخطوطة تحيل إلى مناظرات بين فقهاء من بلاد المغرب.



مناظرة جرت بين الشيخ الإمام الراوية أبي علي ناصر الدين المشدالي البجاوي والشيخ العلامة البحر الفهامة النظار أبي موسى عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن الإمام التلمساني رحمهما الله

مناظرة بين أبي علي ناصر الدين المشدالي وأبي موسى عيسى بن الإمام في مخطوط نوازل ابن مرزوق. المكتبة الوطنية 1342.



بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

مناظرة بين سعيد العقباني وأبي العباس القباب حول درهم الإعانة من مخطوط نوازل ابن مرزوق.



إشارة إلى مناظرة أخرى بين سعيد العقباني والقباب في مخطوط نوازل ابن مرزوق حول مسألة الإيلاء



بعض الأوراق مخطوط : سيدي أبي عبد الله الشريف ، مخطوط بمؤسسة آل سعود، الدار البيضاء، رقم: 314.


أنشأه الله في صدر هذه الأمة وكان علما من أعلامها [illegible]
لواءها، وكشف كتيبتها، وعلا محتدها، وأحيى به السنة،
وأمات به البدعة، ونشر به العلم النافع، وأيد به البرهان القاطع
فنور رحمه الملة، [illegible] وسد سبيل الحق، وحمل
أمانة الصدق، ولم تزل [illegible] بها الأنوار، وتطلع بها
أقمار [illegible] أوصاف الجلالة، ونظم فيها أنوار الرسالة، [illegible]
بها الأمة، وتنشر به الرحمة، وتتم به النعمة، وتظهر فيهم آثار الحكمة
[illegible] ملك الظاهر والباطن، [illegible] من أنفس المعادن [illegible]
النبوة والخلافة فيهم [illegible] وكان
أول من [illegible] أمير المؤمنين إدريس بن عبد الله
ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة اثنتين وسبعين
ومائة فملك المغرب بأسره، وقام بتقويم أمره، واستقل بالإمامة
فيه حتى توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين ومائة، ثم ولي الأمر بعده
ولده إدريس بن إدريس فأخذت له البيعة من أهل المغرب فاستقام واستتب
له الملك وبنى مدينة فاس وجعلها دار ملكه وهي كانت دار ملك
[illegible] سنة ثم زال الملك فيهم نحو مائتي سنة [illegible] من أربعين
وأكثر من أن يوصف [illegible] من الكتب التاريخية [illegible] أخبار
النبوة ثم [illegible] الملك [illegible] بأسرها

15

بحث أبي عبد الله الشريف مع شيخه أبي زيد بن الإمام

لتقدمه في فنون العلوم العقلية وبحث يوما مع شيخه أبي زيد
ابن الإمام في قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم
الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا
هل يقتضي وجوب الإحداد أو ما يقتضيه فاختار الشيخ انتفاء
الوجوب بناء على أن أربعة أشهر وعشرا في الحديث منصوب
بفعل تقديره فلتحد أربعة أشهر وعشرا بناء على ما تقدم من قوله
صلى الله عليه وسلم تحد فوق ثلاث واختار أبو عبد الله عدم
انتفاء الوجوب بناء على أن أربعة أشهر وعشرا منصوب
بفعل محذوف تقديره فلتحد أربعة أشهر وعشرا الدالة قوله صلى
الله عليه وسلم لا يحل واشتد الكلام بينهما حتى أدى وأعرضا
خيفة أهم الحكم على أبي عبد الله فأنشد له الشيخ قول الشاعر
أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
وسمعت الشيخ الفقيه أبا يحيى المطغري يقول إن السلطان أبا عنان
عندما اجتمع لديه علماء المغرب وغيرهم أمر الفقيه العالم العلامة
القاضي أبا عبد الله المقري أن يقرأ التفسير فامتنع من ذلك وقال
إن أبا عبد الله الشريف أحق بذلك مني فقال له السلطان إنك
عالم بعلوم القرآن وأهل للتفسير فاقرأه فقال له إن أبا عبد الله أعلم
بذلك مني فلا يسعني أن أقرأ بحضرته فعجبوا من إنصافه وتس...



أبو عبد الله [illegible] علماء المغرب وكان [illegible]

[illegible] وجلس معه على [illegible] أبو عبد الله

عن شيء من [illegible] الحكمة [illegible]

[illegible] حتى قال السلطان [illegible]

من [illegible] المجلس [illegible]

جاء الفقيه القاضي أبو عبد الله [illegible] رحمه الله تعالى [illegible]

[illegible] ذلك اليوم فقال له انه من كتاب كذا وكتاب

كذا كتبا معروفة عنده [illegible] القاضي [illegible] وأن

ذلك من غير مكتسب وحدثني أبي حفظه الله

أن الخطيب الفقيه الشهير أبا عبد الله [illegible] وكان يقول [illegible]

أبي عبد الله [illegible] تونس [illegible] أبا عبد الله [illegible]

الله [illegible] أهل إفريقية من بلاد المغرب وحدثني أن الشيخ

الفقيه الصالح [illegible] كبير فقهاء [illegible]

كان [illegible] عن أبي عبد الله [illegible]

وكان [illegible] أبي عبد الله رحمهما الله وحدثني أبي حفظه الله

أنه سمع الفقيه المحدث القاضي أبا علي منصور [illegible]

يقول كل فقيه رأيته في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم [illegible]

أبو عبد الله الحسني [illegible] والله أعلم [illegible]

[illegible] الخطيب [illegible] أبا عبد الله



من تعلمه من درسه وإن عسر فإنما أنفق ما أنفق على طلب العلم من مال أبيه

كان أبوه أبو العباس رحمه الله ترك له نفقة من ماله فيكتفي بها [illegible]

وما أخذ مما رتب له أشياخه في مدارس [illegible] قال ولقد كنت

أراه يديم الصيام في رمضان وغيره وربما اشتغل له أهله من أطايب

الطعام فيوضع بين يديه وهو مكب على النظر فلا يلتفت إليه ويتركه

حيث وضع ثم يتناوله أيضا السحور فيجدونه على حاله فيرفعون له

الطعام فيتركه حتى يطلع الفجر ويصبح مواصلا للصوم والنظر

وكان رحمه الله مقصور الغرض من لقاء الرتب لو [illegible]

أن الماء يشينه ما شربه وكانت الغفلة بينه جميلة وشيمته [illegible]

[illegible] يستعمل العفو والصفح على نزاهته وعفته وصدق لهجته

ويستخبر [illegible] والعاج في محبته وكان مثابرا على الخير مواظبا

على البكور وإقبالا على الجود مستنشطا لرسوم العبودية كثير

الجد والجهد في امتثال الأوامر والنواهي لا يعلم عنه أن [illegible]

شيء من أمور الدنيا في غالب أمره وكان مع رفعة منزلته

عند الملوك يتباعد عنهم مع شدة إقبالهم عليه وحرصهم على تقريبه

ولم يتول [illegible] أمر [illegible] بل [illegible] مع العلم حيث [illegible]

عقبه وانكره [illegible] مع تمكنه منه. كان السلطان

أبو سعيد رحمه الله يجيء [illegible]

37

وأما قولكم: إن المصنفين يصنفون بسطرين الأقوال ويعقبون
فيها ولم يعين ظاهر ومنع لصعوبة الإشكال وبعيد أن يجمعوا على الخطأ فقد أ
من أجل أن لم تميز فيه النكتة التي هي مستندها إلا الإجماع السكوتي
وهو ما أشرنا إليه وأما ما أجاب به الفقيه بالتعقيب عن الفاضل
والله أعلم وبه التوفيق انتهى كلامه في الجوابين وهو لعمري
من القوم ونحو التحقيق وأقوى أدلة الفقه الدقيق وأوضح وجوه
الشفاء على رسوخ قدمه في هذا الطريق
أنباء السادة شريف وهبي
ونشر بيته ومروءته وأما تقية
كان رضي الله عنه زاهدا فيها أبعد الناس عن هوى النفس
بالوساوس الخاطئة كثير الشفقة على أهل البيت وغيرهم قليل الإمساك
على ما يحصل بيده من الدنيا قليل التفكر في أمرها غير مفتون بها ولا
مستشرف لنيل ما يليها إنما كان أمله العلم وطالبه الحكمة
ومنتهى بغيته التفكر في أمر الله فلم يشغله عنه أهل ولا مال
حدثني شيخنا ورئيسنا عبد الله ولده أنه بقي في بعض الأزمنة
التي كان يطلب فيها العلم نحو ستة أشهر لم ير أولاده فيها يقوم صبحا
بين جميع نائمين ويأتي ليلا بعد ما هم نائمين وحدثني
أيضا خليفة أنه إن كان عبد الله يطول قراءته وطلبه العلم بالجد

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

اولا : المصادر

1– المصادر المخطوطة:

1. ابن الأعرج، حمد السليماني الحسني، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ ،ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية، الأردن،7رقم الشريط 1966 الحرف ز.
2. الشريف التلمساني ،أحمد بن يحيى عبد الرحمن بن أبي عبد الله ، مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 314، من الموقع:*www.fondation.org.ma*
3. ابن مرزوق، أبو عبد الله علي بن محمد بن أحمد (ت: 842هـ/ 1438م) ، نوازل ابن مرزوق، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1342، 42 ورقة.
4. مؤلف مجهول ،القول الأحوط فيما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية،رقم3185، 195ورقة.

2- المصادر المطبوعة:

5. ابن الأحمر إسماعيل(ت: 807هـ/1404م)، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م.

6. – الإدريسي أبو عبد الله الشريف (ت: 560هـ/1164م) ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطابع بريل، ليدن M. J DEGOEJE, Par :R.Dozy et 1865.

7. الأنصاري أبو عبد الله محمد (ت: 894هـ/1489م)، فهرست الرصاع ، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ب، ت.

8. الأنصاري السبتي محمد بن القاسم ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور،الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م.

9. ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي(ت: 776هـ/1373م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،دار الكتاب اللبناني،بيروت،دار الكتاب المصري،القاهرة،ب،ت.

10.–البكري أبو عبيد الله(ت: 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1274هـ/1857م.

11. التنبكتي أحمد بابا (ت: 1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتريز الديباج ، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/ 2004م.

12. (ــــــــــ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425هـ/2004م.

13. التنسي محمد بن عبد الله (ت: 899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ/1985م.

14. الجزنائي علي (كان حيا 766هـ/1364م) ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، 1411هـ/1991م.

15. ابن الخطيب لسان الدين (ت: 776هـ/1374م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة 1393هـ/1973م.

16. (ـــــــــ)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة،1400هـ/1980م.

17. -ابن خلدون عبد الرحمن (ت: 808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1428هـ/2007م.

18. (ـــــــــ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، اعتنى به: خليل شحادة وراجعه: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/200م.

19. (ـــــــــ)، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق: محمد ابن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية،الجزائر،1428هـ/2007م.

20. ابن خلدون يحيى (ت: 780هـ/1378م) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 1428هـ/ 2007م.

21. ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن القاسم(بعد 1092هـ/1681م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة، 1387هـ/ 1967م.

22. ابن أبي زرع علي الفاسي (ت بعد 712هـ/ 1312م)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1392هـ/1972م.

23. (ـــــــــ)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 1393هـ/1973م.

24. ابن سحنون محمد ، كتاب آداب المعلمين تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة للنشر والتوزيع، الجزائر،الطبعة الثانية، 1401هـ/1981م.

25. الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد (ت: 771هـ/ 1359م)، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة، تحقيق: محمد فركوس، المكتبة الملكية السعودية، مكتبة الريان، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

26. ابن الشماع أبو عبد الله محمد ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1404هـ/1984م.

27.العبدري البلنسي (ت أواخر 7هـ/ 13م)، الرحلة المغربية، تقديم:ط سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007م.

28. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تح: محمد ابراهيم الكتاني و آخرون ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م.

29. العقباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاسم (ت: 871هـ/ 1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967م.

30. القلقشندي أبو العباس أحمد (ت: 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ب.ت.

31. ابن القاضي أحمد المكناسي (ت: 1025هـ/ 1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 1394هـ/1974م.

32. (ــــــــ)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة المكتبة العتيقة، تونس، 1390هـ/1970م.

33. ابن القطان المراكشي أبو محمد حسن بن علي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد علي مكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط2 د.ت.

34. القلصادي أبو الحسن علي(ت: 891هـ/ 1486م) ، رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1398هـ/1978م.

35. ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني (ت: 809هـ/ 1406م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1385هـ/1965م،

36. (ــــــــ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1388هـ/1968م.

37. ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان (ت بعد 957هـ/ 1550م)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية،1403هـ/1983م.

38. مؤلف مجهول (عاش ق 6هـ/ 12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1405هـ/1986م.

39. المجاري أبو عبد الله محمد ، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1402 هـ/1982 م .

40. المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان،لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ/1963م .

41. ابن مرزوق التلمساني أبو عبد الله محمد(ت: 781هـ/1379م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

42. (ـــــــــــ)، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.

43. ابن مريم التلمساني (ت بعد 1025هـ/1616م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1406هـ/1986م.

44. المغيلي المازوني أبو زكريا يحي (ت: 883هـ/ 1478م) ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1425هـ/2004م.

45. المقري أبو العباس أحمد (ت: 1041هـ/1632م)، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 1425هـ/2004م.

46. (ـــــــــــ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر،بيروت 1408هـ/1988م.

47. (ـــــــــــ)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1358هـ/1939م، الجزء الأول.

48. (ـــــــــــ)،أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 1400هـ/1980م، الجزء الخامس.

49. النباهي المالقي أبو الحسن (كان حيا 793هـ/ 1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ/1983م.

50. النعمان بن محمد المغربي،كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة،تحقيق:محمد كامل حسين،دار الفكر العربي،الاسكندرية،1423هـ/2002م.

51. النميري بن الحاج (ت بعد 774هـ/1373م) ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1990م.

52. الونشريسي أبو العباس أحمد(ت: 914هـ/1511م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403هـ/1983م.

ثانيا – المراجع:

53. –أبو الأجفان محمد عبد الهادي ، أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1408هـ/1988م.

54. –بشارة أنطون، جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية، دار المشرق، بيروت، 1418هـ/ 1997م.

55. –برونشيفك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.

56. –بل ألفرد ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثانية، 1401هـ/1981م.

57. -بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633- 681هـ/ 1235-1282م، مطبعة R.N تلمسان، 1426هـ/ 2005م.
58. -بلغيث محمد الأمين ، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1410هـ/1989م.
59. بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م)، دار الغرب وهران، 1424هـ/2003م.
60. بوداود عبيد ، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين/13-15م و دوره في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ،مكتبة الرشاد،الجزائر،1432هـ/2011م.
61. بوروبية رشيد ، الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/ 1984م.
62. بوعزيز يحيى ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1417هـ/1995م.
63. -يحي بوعزيز،الموجز في تاريخ الجزائر،الجزائر القديمة و الوسيطة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2، 1430هـ/2009م.
64. -بوعياد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1402هـ/1982م.
65. -بولقطيب الحسين ، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ،د.ت.
66. -بن بية محمد محمود عبد الله ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء، جدة /دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م.
67. -تركي عبد المجيد ، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي نصوص ودراسات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1988م.
68. -التليسي بشير رمضان،الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،دار المدار الاسلامي ،بيروت،1424هـ/2003م.

69. -تيتاو حميد ،الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني609-869هـ/1212-1465م،منشورات عكاظ،الدار البيضاء،1432هـ/2010م،

70. - توات محمد الطاهر ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1414هـ/1993م.

71. -الجبوري يحي وهيب ، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة العربية الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

72. -الجحمة نواف عبد العزيز ، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ/2008م.

73. -جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.

74. -حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

75. -حاجيات عبد الحميد وآخرون، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة، 14هـ/2007م.

76. -حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ب.ت.

77. -الحجوي محمد بن الحسن ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، 1335هـ/1916م.

78. -حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398هـ/1978م.

79. -الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م) / (869هـ/1465م)، دار القلم الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.

80. -حسن علي حسن،الحضارة الاسلامية في المغرب و الأندلس عصر المرابطين و الموحدين،مكتبة الخانجي ،مصر،1400هـ/1980م.

81. -إبراهيم جدلة،المجتمع الحضري بافريقية في العهد الحفصي ،منشورات وحدة البحث المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات،جامعة قفصة،2010.

82. -عبد الله حمادي،دراسات في الأدب المغربي القديم،دار البعث،الجزائر،1406ه/1986م

83. -بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1414ه/1993م.

84. -بن الذيب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 1428ه/2007م.

85. -رزوق محمد ، التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تأصيل تاريخي: ضمن دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق 1412ه/1991م.

86. -أبو رميلة هشام،علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس،

87. دار الفرقان ،الأردن،1404ه/1984م.

88. -زغلول سعد عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف الإسكندرية 1406ه/1986م .

89. -زيتون محمد محمد، القيروان و دورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1408،1ه/1988م.

90. -سامعي اسماعيل،قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د.ت.

91. -سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16-20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401ه/1981م.

92. - سكاكو حورية ، التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (06-10)ه/ (12- 16) م، دارزهران للنشر والتوزيع، الأردن ، ط1، 1437ه/ 2016م.

93. -بن سلامة الربعي،الشعراء و الملوك في المغرب و الأندلس،دارالهدى،الجزائر،1435ه/2014م.

94. -السلاوي الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ/ 2007م.

95. -ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر ، بيروت، 1418هـ/ 1997م.

96. -شاوش محمد بن رمضان وبن حمدان الغوتي، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، طبع هـ. داود بريكسي، تلمسان، 1422هـ/ 2001م.

97. -ابن شقرون محمد بن أحمد ،مظاهر الثقافة المغربية،دار الثقافة ،الدار البيضاء،1406هـ/1985م.

98. -الشوابكة نوال عبد الرحمن ، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حت نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون، الأردن، 1429هـ/2008م.

99. -الصعيدي عبد الحكم عبد اللطيف ، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1417هـ/1996م.

100. -أبو ضيف مصطفى ، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1402هـ/1982م.

101. -الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1403هـ/1983م.

102.-عبد الكريم يوسف جودت ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10)م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1413هـ/1992م.

103.-عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1428هـ/ 2007م.

104. -العروسي المطوي محمد ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1406هـ/1986م.

105.-عزاوي أحمد، الغرب الإسلامي خلال القرنين (7و8هـ)، مطبعة ربانيت، الرباط، 1427هـ/2006م.

106. -عمراني محمد،الشرف و المجتمع و السلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 9-13هـ/و نهاية 15-19م،دار أبي الرقراق، المغرب، 1436هـ/2015م.

107. -أبو الفضل محمد احمد،شرق الأندلس في العصر الاسلامي515-686هـ/1121-1287م دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية،مصر،1416هـ/1996م.

108. -فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني ،موفم للنشر، الجزائر، 1423هـ/ 2002 م.

109. -فيلالي عبد العزيز، اندماج اليهود في الشعر و الموسيقى الأندلسية من اشبيلية إلى قسنطينة و موقفهم من الثورة التحريرية ،منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس،سلسلة البحوث و الدراسات،دار الهدى ،الجزائر،1437هـ/2016م.

110. -القادري بوتشيش إبراهيم ،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت،د.ت.

111. -قبول أبو سليمان عبد الكريم ، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر، الجزائر، 1427هـ/2006م.

112. -بن قربة صالح ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م.

113. -بن قربة صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1428هـ/2007م. عبد الرزاق

114. -عبد الرزاق قسوم،عبد الرحمن الثعالبي والتصوف،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،د.ت.

115. -الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م.

116. -كريم حمد العتابي أريج،الحياة العلمية في الثغور الشمالية الأندلسية المجاورة للممالك النصرانية95-484هـ/713-1092م،دار غيداء،الأردن،1437هـ/2016م.

117. -كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الدار البيضاء، ب.ت.

118. -لقبال موسى ، الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، دار هومة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1423هـ/2002م.

119. -لعرج عبد العزيز، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، زهراء الشرق، 2002م، القاهرة، 1427هـ/ 2006م.

120. -لطيف محماد ، الزواج والأسرة في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، طباعة ونشر سوس، أكادير ،ط1، 2015.

121. -لوتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيويورك، مكتبة لبنان، بيروت، 1387هـ/1967م.

122. -مارسي جورج، مدن الفن الشهيرة: تلمسان، ترجمة: سعيد دحماني دار النشر التل، الجزائر ، 1425هـ/2004م.

123. -محمد بن محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،دار الكتاب العربي، بيروت،ب.ت.

124. -المراغي عبد الله مصطفى، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، طبع: عبد الحميد حنفي، مصر، ب.ت.

125. -المنوني محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ، 1420هـ/2000م.

126. (ــــــــــ)، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1412هـ/ 1991م.

127. (ــــــــــ)، حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء 1410هـ/ 1989م.

128. -محمد المنوني، العلوم والأداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط2، 1397هـ/1977م.

129. -موسى عزالدين ، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

130. -موسى عزالدين ، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

131. -موسى عزالدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط2، 1424هـ/2003م.

132.-عزيز حسين علي الموسوي،النثر الأندلسي الرسائل السلطانية في عصر بني الأحمر،دار المنهجية،الأردن،1437هـ/2016م

133. -النجار عبد المجيد،المهدي بن تومرت حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب،دار الغرب الإسلامي،1403هـ/1983م.

134.-مصطفى نشاط،إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الأول،وجدة،2003م.

135.-نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ/1996م.

136.- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة ، 1403هـ/1983م.

137.-الهاشمي البلغيتي آسية،المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية،1416هـ/1996م.

138.-الواركلي حسن ،مباحث في تراث الغرب الإسلامي،مركز الدراسات و الأبحاث و إحياء التراث،الرباط،1434هـ/2013م.

139.-الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1405هـ/1985م.

ثالثا- الاطاريح والرسائل الجامعية:

140. -بلبشير عمر ، جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والفكرية في المغرب الأوسط والأقصى من القرن 6هـ-9هـ / 12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحةدكتوراه في التاريخ، جامعة وهران، 1431هـ / 2010 م.

141. -بودواية مبخوت ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1427هـ/2006م.

142. -بوشقيف محمد ، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14و15هـ)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1432هـ/2011م.

143. - بوزيدي احمد ،العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز،فاس،1429هـ/2008م.

144. -بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ) وجهوده الأصولية الفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، 1414هـ/1993م.

145. -بن داود نصر الدين ، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ-13م إلى القرن 10هـ-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة تلمسان، 1431هـ/2010م.

146. -لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية ومعمارية وفنية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 1420هـ/1999م.

147. - بالأعرج عبد الرحمن ،العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان و المماليك ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،1429هـ/2008م.

148. -بوشامة عاشور ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس626-981هـ/1228-1573م رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1412هـ/1991م.

149. -لقريز العربي ، مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة سيدي أبو مدين نموذجا دراسة أثرية وفنية، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1422هـ/2001م.

150.-مبطي المسعودي جميلة ، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص مند قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893 هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/ 2000 م.

151. -ولد خسال سليمان ،جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ/922هـ، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1429هـ/2008 م.

152.- عباسي يحي أبو المعاطي محمد ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (238-488)هـ/(852- 1095) م، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1421هـ/ 2000 م.

153. -مريم سكاكو،مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجرتين/14و15م،مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،قسم التاريخ،جامعة تلمسان،1433هـ/2012

المقالات:

154.-بحاز إبراهيم: " مدخل إلى القضاء عند الزيانيين" في مجلة: الوعي، صدرت عن دار الوعي في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 1432هـ/ 2011م، العدد المزدوج (3-4)، جمادى الثانية / ماي، 1432هـ / 2011م، ص-ص 62- 66.

155. -حمد أبو الأجفان:"الفائق في معرفة الوثائق لأبي عبد الله محمد بن راشد القفصي"في مجلة آفاق الثقافة والتراث،العدد8،شوال1415هـ/مارس1995م،ص-ص74-81.

156.-بدوي أحمد جلول، " الشريف أبو عبد الله التلمساني " في مجلة: الأصالة، صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد الرابع، شعبنان أكتوبر، 1391هـ/ 1971م، الجزائر، ص-ص 48-55.

157. -بلحاج معروف ، "مدينة منصورة الأثرية من خلال المصادر التاريخية" في حولية: المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد الخامس، جوان 1426هـ/ 2005م، الجزائر.

158. -بودواية مبخوت:" الحياة الاقتصادية بالمغر الأوسط في العهد الزياني" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر، 1429هـ/2008م.

159. -بورويبة رشيد: " جولة عبر مساجد تلمسان" في مجلة: الأصالة ،صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26 ، 1395هـ/1975م،ص -ص171- 182.

160. -بوعزيز يحيى: " الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد ابن مرزوق وأحمد بن قنفذ الخطيب" في مجلة: دراسات جزائرية، العدد الأول، جوان، 1418هـ/ 1997م.

161. -بوعياد محمود: " مخطوطات لم تكتشف زهر البستان في دولة بني زيان" في مجلة: الثقافة، صدرت عن وزارة الإعلام والثقافة، العدد 13 صفر/ مارس 1393هـ/ 1973م، ص-ص 55- 66.

162. -بومهرة عبد العزيز :"التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري" في مجلة: التواصل، العدد11 ديسمبر 1424هـ/2003م، ص-ص127- 140.

163. -بونار رابح : "عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر" في مجلة: الأصالة، العد 19، ربيع الأول/ أفريل، 1394هـ/1974م، الجزائر،ص-ص 303- 316.

164. (ــــــــــ): " القاضي سعيد العقباني التلمساني " في مجلة: الأصالة، العدد الخامس، ذو الحجة / جانفي، 1391هـ/1973م، ص-ص 65-72.

165. حاجيات عبد الحميد: "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط " في مجلة: الحضارة الإسلامية، صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، العدد الأول، شوال/أفريل 1414هـ/1993م، وهران،ص -ص35- 46.

166. (ــــــــــ):"مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط" في مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، عدد خاص بالذكرى العشرين للاستقلال 1963م- 1982، الجزائر، 1982م ص- ص 89- 97.

167. (ــــــــــ):" الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي" في مجلة: الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة والاتصال، العدد 22، 1418هـ/1997م، الجزائر، ص-ص 19- 26.

168. (ـــــــــــــ):" تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقيان لأبي عبد الله التنسي المتوفى سنة 899هـ/1494م" في مجلة: التاريخ، يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد التاسع، 1400هـ/1980م، الجزائر.

169.(ـــــــــــــ):" أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه" في مجلة: تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الجزائر، العدد الخامس، 1388هـ/1968م، الجزائر، ص-ص10- 29.

170.(ـــــــــــــ):" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان" في مجلة: الأصالة، العدد 26 ، أوت، 1395هـ/1975م،ص-ص 136- 156.

171. (ـــــــــــــ):" نظرية ابن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك (من خلال كتاب سلوان المطاع) " في مجلة: الثقافة، العدد 92، جمادى الثانية، رجب/ مارس، أفريل ، 1406هـ/1986م.

172.-حركات إبراهيم ، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، في مجلة: الأصالة، العدد 26 1395هـ/1975م، الجزائر، ص-ص 183- 194.

173. -حميد عبد العزيز: "مجالس وقاعات الاستقبال في القصور الإسلامية حتى نهاية القرن الثاني هجري" في مجلة: المورد، العدد32، 1426هـ/2005م.

174.عفاف عبد الجبار:" الحياة السياسية و الحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز796- 837هـ/1393-1433م"في مجلة كلية الأداب،العدد95،الجامعة المستنصرية،ص-ص98-144.

175. ابن الخياط نزهة: "مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ" في المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات، منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات، العدد الثالث، مارس 1405هـ/1985م، تونس، ص-ص 9- 25.

176.-محمد الشريف سيدي موسى: " التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط" في حولية: المؤرخ، العدد الثاني، 1423هـ/ 2002م، ص-ص 91- 100.

177. الصمدي محمد: " حركة التجارة البحرية بين المغرب والأندلس أيام المرابطين" ضمن ندوة: دور مضيق جبل طارق في علاقات المغر الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان 27-28 فبراير- 1مارس 2001م.

178. الصمدي خالد :"مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري"في مجلة: الحضارة الإسلامية،صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية،العدد الأول ، جمادى الأولى/ نوفمبر، 1414هـ/ 1993م، وهران، ص-ص 135- 163.

179. عجلان عامر حسن احمد:"ألقاب الحكام الحفصيين النشأة والتطور"في دورية كان التاريخية، تصدر عن مؤسسة كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد37، ذو الحجة/سبتمبر،1438هـ/2017م،القاهرة،ص-ص124-132.

180. عزوزي حسن : "التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري " في مجلة: الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1414هـ/ 1993م،ص-ص239- 274.

181. العمراني عبد الله: "البلاط المغربي في المجالس الروحي والزمني" في مجلة:دعوة الحق،صدرت عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية،العدد الثالث، محرم،مارس،1391هـ/1971م.

182. ابن عميرة لطيفة:" الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية "في مجلة: الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الثامن، 1415هـ/1994م،ص-ص 71- 77.

183. قريان عبد الجليل ، "حركة التآليف بتلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1554م" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة تلمسان العدد التجريبي، ديسمبر، 1429هـ/2008م، ص-ص151- 176.

184. لعرج عبد العزيز:" المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها " في حوليات جامعة تلمسان، العدد السادس، ديوان المطبوعات الجامعية، 1413هـ/ 1992م، الجزائر، ص -ص 101- 122.

185. (ـــــــــــ): "العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية" في حولية: المؤرخ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (3-4)، 1426هـ/2005م، الجزائر ،ص-ص 69-97.

186. (ـــــــــــ):" تلمسان عمرانها وعماراتها الدينية" في مجلة: الوعي، تصدر في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 1432هـ/ 2011م، العدد المزدوج (3-4)، جمادى الثانية / ماي 1432هـ/2011م، الجزائر، ص-ص 22- 35.

187. مجاني بوبة: "تاريخ أسرة المرازقة من خلال مخطوط لأبي عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق المعروف بالخطيب والجد والملقب بشمس الدين (ت781هـ/1476-1476-1477م)" في مجلة: حوليات، يصدرها المتحف الوطني للآثار،العدد الثامن، 1420هـ/1999م ، الجزائر، ص-ص126- 134.

188. مشنان محمد :" المؤسسة العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية" في مجلة: رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد التجريبي، جمادى الأول/جويلية، 1424هـ/2003م، الجزائر،ص-ص 56- 62.

189. ابن معمر محمد: "مركز تلمسان الثقافي في أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية" في حولية: المؤرخ ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (3-4)، 2005م، ص-ص 99- 114.

190. مكيوي محمد : "المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8هـ/14م" في مجلة: الفكر الجزائري، يصدرها مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي، العدد الرابع، 1430هـ/2009م، الجزائر، ص-ص 91-107.

191. مصطفى داودي :"الحركة العمرانية الاسلامية و الدلالات الحضارية خلال العصر الوسيط " ضمن أعمال الملتقى الدولي:تلمسان الاسلامية بين التراث العمراني و الميراث الفني،3-4-5أكتوبر 2011،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف،لبجزائر،2011،ص-ص49-65.

192. بودواية مبخوت وبكاي هوارية : "العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنيين 7-9هـ" قسم التاريخ ، جامعة تلمسان من الموقع: *www.Fastat.com* تاريخ الاضطلاع: 25 جمادي 1431هـ/10 ماي 2010م.

خامسا- المراجع باللغة الاجنبية:

193. *Barges J ,J,L, Complément de l'histoire des Béni Zeiyan rois de Tlemcen,Paris,1407/1887.*

194.*Bourouiba Rachid, L'art religieux musulman en Algérie S.N.E.D,Alger,1983.*

195. *Brosselard (ch) : « les inscriptions arabes de Tlemcen », revue Africaine, 3^{esme} année, N^{0} 14 Décembre 1858 P83.*

196. *Dhina Atallah, Les états de l'occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles O.P.U, Alger, S,D.*

197. *Hajiat Abde Lhamid, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyanide Abou Hammou Mousa II760-91/1359-89, édition Errached, Algérie, 1430/2009.*

198. *Madani Tariq, L'eau dans le monde musulman médiéval l'exemple de Fés (Maroc) et de sa région, thèse pour obtenir le grade de docteur de l'université Lyon II en histoire, 2003.*


الفهارس

فهرس الأماكن

فهرس القبائل والأجناس

فهرس الأعلام

فهرس المحتويات

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع المجالس العلمية التي عقدها سلاطين دول بلاد المغرب الإسلامي في قصورهم، وحرصوا على أن يحضرها أكبر عدد من العلماء من سائر أقطار العالم الإسلامي في مختلف الاختصاصات ، والذين خصوا بمكانة متميزة لدى أولئك السلاطين، لدورهم الكبير في تفعيل الحركة العلمية في بلادهم من خلال مؤلفاتهم وتأثيرهم في مناهج التعليم وكانوا موضع استشارة في أهم القضايا الدينية والسياسية.

الكلمات المفتاحية:

العلماء- السلاطين - المغرب الإسلامي - المجالس العلمية-التواصل الفكري.

Résumé :

Cette étude est sur les conseils organisés par les sultans maghrébins dans leurs palais. C’est avec ardeur et enthousiasme que ses derniers ont fait pour qu’assistent à leurs assemblées un grand nombre de savants des pays du monde islamique qui avaient une place particulière chez les sultans grâce à leur grand rôle pour actionner le mouvement scientifique dans leurs pays. Au cours de leurs écrits et de l'influence dans les programmes d'enseignement et ont été consultés dans les questions religieuses et politiques les plus importants.

Mots clés : les savants-– les sultans – les conseils scientifiques- Maghreb Islamique - Communication intellectuelle. .

Summary :

The subject of this study concerns councils organized by the sultans in their palaces, and they do their best to attend the largest number of scientist from all over the Islamic world. These latter had a great rank of those sultans due to their great role to the activation of scientific movement in their countries During their writings and influence in the educational curricula and were consulted in the most important religious and political issues.

Key words:

Scientist –– the sultans – scientific councils - Islamic Maghreb - intellectual communication.